الأدب العصري
في العراق العربي

رفائيل بطي

الأدب العصري في العراق العربي

القسم الأول (المنظوم)

تأليف
رفائيل بطي

هنـــداوي

الأدب العصري في العراق العربي

رفائيل بطي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: خالد المليجي

الترقيم الدولي: ٩ ٩ ١٥٠٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٨.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

الجزء الأول ١١
كلمة ١٣
ملاحظات ثلاث ١٥
جميل صدقي الزهاوي ١٧
معروف الرصافي ٦٥
عبد المحسن الكاظمي ٨٧
رضا الشبيبي ٩٩
محمد حبيب العبيدي ١١٣
خيري الهنداوي ١٣٩
كاظم الدجيلي ١٦١

الجزء الثاني ١٨٩
بيانٌ موجز ١٩١
ملاحظتان ١٩٣
علي الشرقي ١٩٥
محمد الهاشمي ٢٠٥
عبد الحسين الأزري ٢٣٣
محمد الحسين كاشف الغطاء ٢٤٩
محمد مهدي البصير ٢٦٥
باقر الشبيبي ٢٨٩

محمد حسن أبو المحاسن ٢٩٧
محمد السماوي ٣١٣
عبد العزيز الجواهري ٣٢٣

صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، ملك العراق.

رفائيل بطي، مؤلف الكتاب.

الجزء الأول

كلمة

هذا كتاب جديد، أردت بتأليفه إبراز صورة مجسمة للأدب العصري في العراق، وتبيان الطريقة التي يتبعها شعراؤنا وكتابنا في نَظْمهم ونثرهم، فما أحوجَنا اليوم إلى درس أدبائنا ونقد أساليبهم، وقد تطورت الآداب العربية في مصر والشام والمهجر بطَورٍ جديدٍ يُلائم روح العصر الحديث! عسى أن يكون لعراقنا نصيب من هذا التطوُّر؛ حينذاك يتضح الغرض الذي قصدت إليه في كتابي هذا.

بغداد: ١ أيلول، ١٩٢٢
رفائيل بطي

ملاحظات ثلاث

(١) يُقسم هذا الكتاب إلى قسمين في أربعة أجزاء: اثنان للمنظوم واثنان للمنثور، وقد خُصَّ كلُّ جزأين من الكتاب بقسم.

(٢) لم يَتَسَنَّ لي درسُ أدبائنا كلِّهم درسًا مُدَقَّقًا؛ لذلك أسهبتُ في تعريف بعضهم، وأوجزتُ في ذكر الآخرين.

(٣) كان بودِّي أنْ أفتتحَ الكتاب بنبذة في الأدب قديمًا وحديثًا، وبالخاصة في العراق، لكني رأيتُ أخيرًا تَرْكَ ذلك إلى كتابٍ خاصٍّ أؤلِّفه في نَقْدِ الأدب العصريِّ في العراق العربي.

المؤلف

جميل صدقي الزهاوي

جميل صدقي الزهاوي.

فيلسوف عربي، انكشفت له من الحياة أسرار، فأودعها شعرَه الراقي ونثرَه المتين.
نابغة من ذوي العقول الكبيرة، خلب لبَّه نظامُ هذا الكون فراح يفكر في معجزاته غير مُعتمدٍ في تفكيره على أجنبي.

شاعر سبَّاق في حلبة البلاغة، يُصَوِّر ما يخفق به قلبه في أبياتٍ عامراتٍ وقوافٍ مُحكمات، وينظم منثورات الحقائق العلمية في قلائد شعرية ليجمع بين العلم والفن.

لم ينفرد ببحث، بل أحبَّ أن يستجمع حبل الأبحاث التي لم يفتحِ الله بها على قلوب وطنييه؛ فنبذ هؤلاء أفكاره أولًا وضربوا بأقواله عُرض الحائط — وهذا شأن النوابغ والمصلحين — حتى إذا ما انبعثت إلى نشئهم الحديث أنوار التهذيب من كوى العلم، تجلت لهم محاسن أفكاره فأكبروها، وتبيَّنوا قدر أقواله فصفقوا لها تصفيقًا عاليًا؛ فهو اليوم شاعر الشبيبة الناهضة على شيخوخته.

نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت أزاهير الأدب فيها بعد الازدهار، ودرست معالم العلم بعد أن ناطحت بعلوها أجواز الفضاء، فراعه الجمود الهائل المستولي على الفهوم والأقلام، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظَّامون في بنائهم الأبيات، مُقَلِّدين غير مُبتكرين ينسجون على منوال الشعر للسالفين من غير ما تأثر بالرُّوح الجديد، فلم تأنس روحه الناهضة بهذه الحطة، وعزَّ على عقله المتوقد ذكاءً أن يبقى مصفَّدًا بأغلال التقليد؛ ففر إلى حيث يغرد له فؤاد في شواهق صروح الفن الحديث، بعد أن فك الأغلال وحطم القيود، داعيًا قومه إلى النهضة والانتعاش في الفكر والقول والعمل.

نزل إلى الميدان؛ ميدان مكافحة القديم البالي، ليطرده ويحل مكانه الجديد العصري، وهو لا يملك غير فؤادٍ حساس، وفكرٍ ناضجٍ وقلمٍ محدد، فتجافى عن المديح والثناء، وكفكف دموع الرثاء والبكاء على الطلول الهمد، ونظم في أبوابٍ من الشعر جديدة، مخرجًا للناس قصائد تحوي روائع المعاني، مُتبعًا في نظمه السَّنن المُستحدث، كما أنَّه أغار على العادات السقيمة والأخلاق المُنحطة، التي كوَّنتْها في مجتمعه عصورُ الانحطاط، فمزقها أيَّ ممزق، ورأى ذلك المخلوق اللطيف — المرأة — أسيرًا بدار الظلم أعياه أسره، واستبد به، فعز على مروءته إهمالها؛ فجرد لذلك قلمه البليغ، وكتب في الدِّفاع عن حقوق ضلع الرجل مقالات، ونظم قصائد أقامت العراق، بل الشرق العربي، وأقعدته، وقد نكب بمحن صعبة من جراء نصرته للجنس الضعيف، فإذا تسنَّى لابنة العراق أن تنتبه غدًا من رقدتها، وتبلغ ما بلغته أختها السورية أو المصرية من الرُّقي، فلتذكرنَّ فضل «الجميل» عليها، ولتغنِّ بشعره الخالد الذي نظمه في المطالبة بحقوقها المسلوبة.

شُغف الأستاذ الزهاوي بالعلوم الطبيعية في شبابه، فشرع يطالع ما تكتبه المجلات العلمية في هذا الباب وفي مُقدمتها «المقتطف»، مطالعةَ الباحث المُنقب، يُريد إدراك أسرار الوجود،

ثم أظهر نتيجة درسه للطبيعة في كتابه «تعديل الجاذبية»، الذي جاء فيه غير مُترجم عن أجنبي — وهو لا يُحسن لغة أجنبية — ولا ناقل، بل أبرز به ثمرةً من ثمار القرائح الشرقية. ومع أنَّ جُلة العلماء الغربيين والشرقيين لم يُوافقوه على آرائه تلك، فحسبه فخرًا أنه أول عربي هجر التقليد، وحاول حل غوامض العلم الطبيعي مُعتمدًا على عقله وحسه.

وهو ابن العلامة محمد فيضي الزهاوي مُفتي بغداد، ينتسب أبوه إلى أمراء الأكراد من آل بابان، وهؤلاء يمتون إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وكذلك أمه فيروزج، فهي من أسرة كردية كريمة، وأمَّا شهرته بالزهاوي فنسبة إلى «زهاو»، أحد أعمال ولاية كرمنشاه الفارسية، كانت موطن جدته لأبيه.

وُلد جميل صدقي في بغداد، في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هجرية، يوم الأربعاء الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ ميلادية، وهو اليوم في الستين من عمره نحيف البدن لا يستطيع أن يمشيَ على رجليه أكثر من بضع دقائق؛ لذلك قد اتخذ له أتانًا بيضاء يقطع عليها الشوارع عندما يسير من محل إلى آخر، ويشكو فوق آلامه الروحية آلامًا عصبية قد برحت به.

عُيِّن المترجم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره في ٢ تموز سنة ١٣٠٣ هجرية عضوًا في مجلس المعارف في بغداد، ثم مديرًا لمطبعة الولاية فيها في ١ نيسان سنة ١٣٠٦ هجرية، ومحررًا للقسم العربي من جريدة «الزوراء» الرسمية، وانتُخب بعدها عضوًا لمحكمة الاستئناف في بغداد في ٥ نيسان سنة ١٣٠٨ هجرية.

وقد أصابه في سن الخامسة والعشرين داء عضال في نخاعه الشوكي سلبه الراحة، ولم يبرأ منه إلى الآن برغم معالجة نُطُّس الأطباء له، كما أنَّ رجله اليُسرى أصيبت بشللٍ وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

وكبر شأنه بعد سفره إلى الآستانة سنة ١٨٩٦، مدعوًّا إليها بإرادة سُلطانية، فمَرَّ في طريقه بمصر حيثُ قابل نُخبة من أكابر العلماء وأساطين الأدب، أمثال الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر صاحبي «المقتطف»، و«المقطم»، والدكتور شبلي شميل، وجرجي بك زيدان مؤسس الهلال، والشيخ إبراهيم اليازجي الشهير، ولقي منهم كل حفاوة.

ذهب إلى الآستانة فأخذ الجواسيس يتأثرونه، ولَمَّا علم السلطان عبد الحميد أنَّ عددًا من محرري الجرائد يترددون عليه أوجس منه خيفة، وأوعز إلى أبي الهدى الصيادي ألا يغفل عنه، وأراد الأستاذ الزهاوي بعد سنة أن يرجع إلى بغداد؛ فإذا السلطان يأمره بإرادة سنية أن يلحق بالبعثة التي كانت قد تألفت هناك للذهاب إلى اليَمن لإصلاحه؛ فذهب إليها ورجع بعد سنة إلى الآستانة، وأحسن السلطان مكافأته على خدماته بالوسام المجيدي الثالث، ورتبة (البلاد الخمس الموصلة)، ورأى في رجوعه أنَّه لم يزل محاطًا بالجواسيس فساءه ذلك، وطلب الرُّجوع إلى وطنه فلم يُسمح له خشية أن تكون وجهته غير بلاده.

وقد قاسى بعد رجوعه إلى الآستانة الأمرَّين، حتى ضاق صدره فنظم قصيدة يذم فيها سياسة عبد الحميد وسلوكه، منها:

أيأمر ظلُّ الله في أرضه بما ... نهى اللهُ عنه والرسولُ المبجلُ
فيُفقر ذا مال وينفي مبرَّأً ... ويسجن مظلومًا ويَسبي ويَقتلُ
تمهَّلْ قليلًا لا تغظْ إنه إذا ... تحرك فيها الغيظ لا تتمهلُ
وأيديك إن طالت فلا تغترْ بها ... فإنَّ يد الأيام منهن أطولُ

وأنشدها أبا الهدى في داره، وهذا كتب بها تقريرًا إلى السلطان؛ فكان ذلك سببًا لسجنه مع الشهيد العربي المرحوم عبد الحميد الزهراوي، وصفا بك الشاعر التركي الشهير، ثم نفيه إلى بلاده.

وكان بعد رجوعه من الآستانة إلى مدينة السلام، أنَّ أحد رؤساء الوهابية في بغداد أخذ يُحرض عليه الحكومة تارة، بحجة أنَّه يطعن بسياسة السلطان عبد الحميد، وطورًا يرميه بالكفر والزندقة، وذلك على عهد عبد الوهاب باشا الألباني والي بغداد، وكان الوالي هذا يُعاديه، فكتب إلى المراجع يطلب إبعاده عن الديار العراقية إلى بلادٍ قَصِية، فاضطُر الأستاذ إلى أن يؤلف كتابه «الفجر الصادق» في الرد على الوهابية، مُصَدِّرًا إياه بمدائح السلطان عبد الحميد مخافة أن يناله المعتدون بسوء، وتبكيتًا لذلك المحرض الوهابي.

ولما جاء الدستور أخذ الأستاذ جميل الزهاوي يخطب في الناس، ويعلمهم فوائده وحسناته.

ورحل المترجم في السنة الأولى من الانقلاب العثماني إلى القسطنطينية، فعُيِّن في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٣٢٤ هجرية أستاذًا للفلسفة الإسلامية في أكبر مدارسها، وهو المكتب الملكي، وعُيِّن كذلك في تشرين الثاني سنة ١٣٢٤ هجرية مُدَرِّسًا للآداب العربية في فرع الآداب من جامعة «دار الفنون»، وكان يكتب في أوقات فراغه في مجلات الآستانة التركية مقالات فلسفية حتى اشتدت عليه أمراضه بعد سنة، فهاجه ذكر الوطن المُحَبَّب فقصده وجاء الزوراء، فعُيِّن مُدرسًا للمجلة في مدرسة الحقوق فيها، وظل يُواصل «المقتطف»، و«المؤيد» بالقصائد والمقالات حتى نشر مقالته الشهيرة في العدد الـ ٦١٣٨ من «المؤيد» بعنوان «المرأة والدفاع عنها»، فأحدثت ضجة كبرى في العالم العربي الإسلامي، فهاج الناس لها وماجوا في بغداد، وأشاعوا بأنَّ الكاتب تحامل على الشريعة الغرَّاء، وذهبوا متجمهرين في ٢٨ أيلول سنة ١٣٢٦ هجرية إلى والي بغداد، وهو يومئذٍ ناظم باشا، يطلبون إليه عزل الكاتب من وظيفته، وساعدهم في طلبهم أحد مبعوثي بغداد، فأقاله الوالي، واشتدَّ سخط الجمهور عليه في هذا الحين، حتى اضطُر الأستاذ إلى مُلازمة داره خوفًا من الاغتيال، جرى ذلك في ظل الدستور، وشمسُ الحرية ممدودة الظل، وكان فيمن نصر الأستاذ الزهاوي في محنته هذه الدكتور شميل والمرحوم ولي الدين بك يكن في مقالات نشراها في «المقطم»، وغيرهما في سورية ومصر.

وفي هذه الآونة نشر الزهاوي في بغداد كتابه «الجاذبية وتعليلها»، ثم ألَّف رسالة «الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية»، ونشرها في «المقتطف».

وأعيد إلى تدريس المجلة في مدرسة الحقوق في بغداد على عهد جمال باشا واليها، ثم انتُخب نائبًا عن المنتفق، فذهب إلى الآستانة، وأقفل المجلس بعد أشهر من اجتماعه فعاد الأستاذ الفيلسوف إلى وطنه، وما لبث أن انتُخب نائبًا عن بغداد فذهب إلى دار الملك العثماني ثانية، وقد دافع في البرلمان العثماني دفاع الأحرار عن حقوق العرب في مواقفَ عديدة؛ مما نَمَّ على وطنيته الصادقة. وكان في بغداد حين الاحتلال البريطاني، فعُين في حكومة الاحتلال المؤقتة عضوًا في مجلس المعارف براتبٍ زهيد، ثم عُين بعد مدة طويلة رئيسًا للجنة ترجمة القوانين العُثمانية، والحق يُقال إن تلك الحكومة المؤقتة لم تُقدِّر علم الأستاذ الزهاوي وفضله؛ إذ لم تُسند إليه منصبًا خطيرًا يليق به، وهي معذورة في عملها لأنها كانت تُعيِّن الموظفين — وبالخاصة الكبار منهم — لغايات سياسية حسبما تقتضيه الظروف، فلا تنظر في تعيينهم إلى مقدرة أو تضلُّع من علم أو خبرة في أمر.

وكذلك كان نصيب الأستاذ الزهاوي في العهد العربي؛ فبعد أن توقَّع القوم أن يُسند إليه منصب خطير، ظَلَّ من غير وظيفة حتى كتابة هذه السطور.

قال الزهاوي الشعرَ بالعربية والفارسية وهو صبي، وأجاده فيهما بعد أن صافح الثلاثين، ولم ينشر شيئًا مذكورًا من شعره قبل هذا العمر، بل بقي متوغلًا في درس العلوم الحديثة والفلسفة، حتى ذاع أمره في أقطار الضاد كلها.

وتجلت عبقريته الشعرية بعد أن رجع من الآستانة إلى بغداد منفيًّا؛ فإنه طفق يَنظم القصائد الشيقة الواحدة تلو الأخرى، ويذيعها بتوقيع مُستعار في «المقتطف» و«المقطم» و«المؤيد».

وظلَّ الفيلسوف الشاعر يَنظم الشعر، وأكثره بموضوع فلسفي أو اجتماعي، مُستنهضًا به أُمته العربية، يريد إيقاظها من رقدتها نحو عشر سنوات، وقد أحدثت قصائده انقلابًا في الأدب؛ فدخل في طَرْز جديد لم يُعهد قبله، فأخذ الشعراء يحذون حذوه في نَظم المعاني المستحدثة، وقد كان لشعره تأثير عظيم في البلدان العراقية، وبالخاصة في بغداد، مع أنَّه لم يبدع الإبداع كله إلا في سنواته الأخيرة.

أمَّا شعره فمن أعلى طبقات الشعر العصري، لا تجد فيه تعقيدًا أو ألفاظًا غريبة كثيرة، تغلب عليه الحِكم والأمثال، مع جزالةٍ في اللفظ ومتانةٍ في الأسلوب، يحلي كل ذلك شعور رقيق، وحس دقيق، وعواطف مُتَّقدة، ومذهبه فيه مذهب العالم يريد تقييد حقائق العلم بسلاسل النظم، والفيلسوف يصف الحياة ووجوهها بشعر غال، والحكيم الاجتماعي يضع قواعد العمران في أبيات مرصفة القوافي مُحكمة الأوزان.

ولقد كان لحياة المرأة الشرقية نصيب وافر من آماله وآلامه في شعره، كما أن غادته السحرية الفتانة هي «ليلى»، فهي بطل أشعاره لا يزال يتغزل بها، ويتشبب ويئن ويتوجع لفراقها وبينِها، وقلما خلت قصيدة له طويلة من ذِكرها وذِكر محاسنها.

وهو يحسن غير العربية الفارسيةَ والتركيةَ والكردية، ولا يرغب في ترجمة شيء من اللغات التي يُحسنها، وله اطلاع في أكثر العلوم والفنون الأدبية، كما يظهر ذلك من شعره.

ولم يتفرد المترجم بنظم الشعر بل جال في ميدان النثر، وقد نشر مقالات عدة في «المقتطف» وعمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، وكذلك نشَر رسالته في «الخط الجديد»، ورسالته

الثانية «سباق الخيل» في «الهلال»، وكتب بعد أن نُفي من الآستانة ورجع إلى بغداد مقالات فلسفية خطيرة، مُرتئيًا في حقيقة هذا الكون غير ما يرتئيه فلاسفة عصره، داعمًا آراءه بأدلةٍ بناها على العلوم العصرية.

وكتب مدة إقامته في الآستانة بعد إعلان الدستور مقالات فلسفية كثيرة باللغة التركية نشرتها مجلات «فروق»، وعلقت عليها من وصف صاحبها ما دل على تقديرها لنبوغه.

ونثْر الزهاوي بليغ يُحاكي شعرَه، انتحى فيه طريقة خاصة به؛ فهو من أرقى النثر وأمتنه، يبتعد فيه عن تقعُّرات المقلدين وأسجاع المُتكلفين من بقايا طلبة المدرسة العتيقة، مع اتساق الأسلوب، وبلاغة في التركيب، وخطه غير جميل شأن كثير من المشاهير، وقد أثبتنا نخبة من نثره في «قسم المنثور» من كتابنا هذا.

لم يدرس الأستاذ الزهاوي في مدارس تسير على النمط الحديث، ولم يلج الجامعات الكبرى في أوربة أو أميركة، ولا تعلَّم لغة أجنبية، بل هو بحدَّة فؤاده وتوقُّد ذهنه وعلو همته وانكبابه على المطالعة بجلد عظيم أحرز كثيرًا من العلوم والفنون، وهو بهذا الاعتبار يُعد من النوابغ الأفذاذ. ولقد قال من عرفه حق المعرفة إنه لو تيسرت له المُعدات اللازمة من درس وبيئة، لأتى بما لا يقل عن مآتي نبغاء الغرب.

وهو اليوم شيخ مُسن يعيش عيشة بسيطة بينما تجده مُلقى على سريره في داره، يناجي إلهة الحب والشعر والجمال، ساعة يستنزل الوحي ليُضمنه آياته الشعرية، تراه بعدها في إحدى قهوات بغداد يلعبُ بالداما أو النرد، أو تلقاه في نادي أدب وظرف، وقد الْتف حوله القوم على اختلاف مراتبهم، يُلقي عليهم من لطائفه ما يسرهم ويكبره في عيونهم. وإذا ما جلس في مجلس أصحابه الأخصاء، تراه يداعب جلساءه وينشدهم في فترات متقطعة شيئًا من شعره القديم أو الحديث على الأكثر بصوته المتهدج وقهقهته التي تكشف عن سلامة قلبه، وله في تلاوته شعرَه تمثيل خاص يسترعي أذهان السامعين، تدنو منه فتقرأ على وجهه الناحل وفي عينيه البرَّاقتين وأسارير جبهته أثرَ الاشتغال الطويل بالأشغال العقلية، وشَعره الأشمط المُتدلي على فَوْدَيه ولحيته الخفيفة يُمثلان لك زهد الفلاسفة وتقشُّفهم، وكذلك ملابسه. يفرط في شرب الدخان باللفافة، ويدخن النرجيلة في القهوات والمجتمعات العامة. له في المجتمع البغدادي، بل العراقي، مقام أدبي كبير، وقد ولع أخيرًا بمطالعة الروايات الغربية التي تترجم في مصر فيبتاع منها كل ما تصل إليه يده ويطالعها في خلواته.

وهو أنيس المحضر، لا يتكلف في قعوده وقيامه، تزوج ولم يُرزق ولدًا، وبما أن نفسه طمَّاحة إلى آمال كبيرة لم يُوفَّق إليها تجده حانقًا على الحياة وأبنائها، وعنده في داره كلب أسود دعاه «ولك»، هو بمقام قطة الدكتور شميل البيضاء — التي اشتُهرت بقصيدة طانيوس عبده — وله من أوراق الفيلسوف الشاعر ومنظوماته ما يلهيه.

اشتغل صاحب الترجمة بمؤلفات عديدة وأنجزها، كما أن له من قصائده الكثيرة ما يملأ بضعة دواوين، وها نحن ذاكرون مؤلفاته مبتدئين بالمنظومة منها:

(١) ديوان الكلم المنظوم: هو أول دواوين الزهاوي يتضمن أوائل شعره إلى إعلان الدستور العثماني، وقد طُبع ونُشر في بيروت في أول سنة الدستور، لكنه مع الأسف لا يدل على شاعريته، كما أنه مشوَّه بالأغلاط المطبعية وغيرها، وقد هذَّبه ناظمه وصحَّحه على نية تجديد طبعه.

(٢) ديوان بعد الدستور: هو ثاني دواوينه يجمع شعره من إعلان الدستور حتى الاحتلال البريطاني للعراق، وهو من طبقة أعلى من الديوان الأول (معد للطبع).

(٣) ديوان هواجس النفس: هو ديوان الزهاوي الثالث، ويحوي نظمه منذ الاحتلال البريطاني للعراق حتى بداية صيف سنة ١٩٢١، وفي هذا الديوان والذي يليه أحسن شعر الأستاذ الزهاوي (معد للطبع).

(٤) ديوان بقايا الشفق: أودع المترجم هذا الديوان الرابع شعره الذي نظمه من بداية صيف سنة ١٩٢١ إلى يومنا هذا (معد للطبع).

(٥) رباعيات الزهاوي: تتضمن المثنيات التي نظمها الشاعر الفيلسوف الزهاوي في مطالب متنوعة، عارض بها أبا العلاء وعمر الخيام، وأبلغها المائة والألف، وهي أقسام أربعة من بحور قصيرة، وقسم خاص من بحور مُختلفة. أمَّا المطالب التي نظم فيها فهي اثنا عشر مطلبًا: الغراميات، البؤس والشقاء، الشعر والشعراء، الإنهاضيات، الأخلاقيات، السياسيات، الفلسفيات، الاجتماعيات، الطبيعيات، الوصف والخيال، الشك واليقين، الجد والهزل. وما أبدع قوله في إهدائها:

> أُهديها إلى الأجيال الآتية، إلى الذين سوف يعيشون في بغداد غير بغداد هذه، وأنا يومئذٍ تراب صامت.

(٦) ديوان الشذرات: مجمعة تتضمن مختارات دواوين الزهاوي كلها (على وشيك الطبع).

(٧) ديوان نزغات الشيطان: يُقال إن للزهاوي الفيلسوف الناظم ديوانًا آخر بعنوان «نزغات الشيطان»، وعنوانه يدل على موضوعه.

(٨) عيون الشعر: مجموعة تقع في نحو ٢٠٠٠ بيت اختارها الأستاذ الزهاوي من المجاميع الأدبية، ودواوين الشعراء على اختلاف عصورهم، وقسمها إلى أبواب جديدة في الشعر، وقد نُشرت فصول منها في بعض الصحف العراقية.

(٩) كتاب الكائنات: أَلَّف المُترجم كتاب الكائنات في الفلسفة في عنفوان شبابه ونشره سنة ١٨٩٦م، وهو يأسف أن جاء هذا الكتاب غير محكم الإنشاء لأنه من أوائل مؤلفاته. وقد قال فيه بابتناء جواهر المادة من قوًى دقيقةٍ تدخل فيها وتخرج على الدوام، وهي الإلكترونات.

(١٠) كتاب الفجر الصادق: أَلَّفه في الرد على مذهب الوهابية، وطُبع ونُشر في مصر سنة ١٣٢٣ هجرية، وقد أَلَّف علماء الوهابية ردودًا عديدة عليه شحنوها بالسب والطعن في المؤلف.

(١١) كتاب الجاذبية وتعليلها: كتاب فلسفي في الحكمة الطبيعية نشره مُؤلفه قبل ١٢ سنة، وذهب فيه مذهبًا يُخالف مذاهب حُكماء عصره أجمعين مرتئيًا أنَّ المادة لا تجذب المادة، بل أنَّ المادة تدفع المادة، وأبان أن الحجر الذي يسقط على الأرض لا يسقط لجذب الأرض إياه بل لدفع المواد في السماء إلى الأرض، وأورد على ذلك أدلة ذات شأن مبنية على قواعد العلم. وقد كتبت مجلة «المقتطف» في نقد الكتاب والرد على ما جاء فيه من الآراء، فأجابها المؤلف برد على نقده، وهكذا تكرر النقد والرد مرتين.

(١٢) الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية: رسالة نُشرت قبل ١٣ سنة تباعًا في الأجزاء الـ ١ والـ ٢ والـ ٣ من المجلد الـ ٤١ من «المقتطف»، أيَّد فيها ما كان يذهب إليه من وضع الدفع مقام الجذب لتعليل ظواهر الكون، وصار يعلل أنواع الجاذبيات بناموس واحد؛ وهو دفع المادة للمادة بسبب إلكتروناتها التي تشعها بكثرة، وأخذ يُعلل بمبدئه المَّيْنِ المتقابلين في وقت واحد على الأرض؛ مما كان يعجز عن تعليله العلماء على مبدأ الجذب، وقد أوضح المؤلف في هذه الرسالة سبب ارتباط النظام الشمسي بعضه ببعض، وقال بتولد الحرارة والنور في الشموس من الأثير المنعكس عن مراكزها بعد جريانها إليها، حفظًا للموازنة التي لا تزال تختل بطرد الإلكترونات له من بين الجواهر في كل

جسم، مُبينًا أن هذا الأثير الجاري إلى الأجرام هو الذي يدفع الأجسام إليها، فيزعم العلماء هذا الدفع الخارجي جذبًا داخليًّا، وبيَّن بمبدئه سبب حدوث الزلازل، وشرح حالات ذوات الأذناب، وأماط اللثام عن توجُّه أذنابها إلى خلاف جهة الشمس، وعن سبب ابتعادها عن الشمس بعد أن تدور حولها دورة ناقصة، وعن بقاء القوة، وعن حقيقة الشمس، وقال بانحلال الشموس إلى السدم منكرًا تولدها منها.

(١٣) محاضرة في الشعر: ألقى الأستاذ الزهاوي محاضرة نفيسة في الشعر في المعهد العلمي في بغداد سنة ١٩٢٢، بطلبٍ من المعهد، كان لها أعظم وقْع، وضاق المعهد بالسامعين، وقد نُشرت تباعًا في جريدة العراق البغدادية، وجُمعت مع ترجمة الأستاذ ورسمه في كتاب «سحر الشعر»، الذي جمعه كاتب هذه السطور وطُبع سنة ١٩٢٢ في مصر، وهو يتضمن مقالات وقصائد في الشعر والشعراء لنخبة من أكابر الأدباء المعاصرين.

(١٤) كتاب في ألعاب الداما: مؤلَّف في ألعاب الداما جمع فيه ٥٠٠ لعبة لغيره من المشاهير، و١٠٠٠ لعبة من مخترعاته، واستنبط لتصوير هذه الألعاب طريقة بالأرقام فاستغنى عن خط الجداول، ووضع الحجارة في شكلين؛ فقدر بذلك أن يضع بضعة أرقام، ويدل بها على وضع أحجار الخصم ووضع أحجاره، وكيفية تحريك أحجاره، ليستوليَ على أحجار خصمه.

(١٥) حكمت إسلامية درسلري: هي الدروس التي كان يلقيها الأستاذ في الفلسفة الإسلامية، على طلبة المكتب الملكي، في الآستانة نشرتْها مجموعة «دار الفنون» هناك.

وقد ترجم زهاء ١٧ قانونًا بين كبير وصغير من القوانين العثمانية لَمَّا كان رئيسًا للجنة ترجمة القوانين في بغداد، في حكومة الاحتلال المؤقتة.

كان بِوُدِّنا أن نبحث في فلسفة الأستاذ الزهاوي، وننظر في أقواله وآرائه، غير أننا أحجمنا عن هذا لأسبابٍ كافية، وقد أودعنا كل ذلك كتابنا «فيلسوف بغداد في القرن العشرين»، الذي ضمَّنَّاه ترجمة مطولة للأستاذ جميل صدقي الزهاوي، وبحثًا مُسْهبًا في شعره وفلسفته وأعماله على الأسلوب الحديث، وقابلنا بينه وبين النوابغ العرب، والإفرنج من معاصريه، فهو بهذا الاعتبار تاريخ العلم والأدب في العراق، بل في العالم العربي في هذا الطور، والكتاب لا يزال مخطوطًا.

وإليك نخبة من شعره:

(١) النائحة

وهي قصيدة في رثاء من شنق الاتحاديون في سورية من أفاضل العرب.

على الأعواد

على كل عُودٍ صاحب وخليلُ ... وفي كل بيتٍ رنَّة وعويل
وفي كل جنبٍ مأْتم ومناحة ... وفي كل صوبٍ مُقصَد وقتيل
وفي كل عينٍ عَبرة مُهراقة ... وفي كل صدرٍ عِبرة وغليل
علاها وما غير الحمية سلم ... «شباب تَسامى للعُلى وكهول»
كأن وجوه القوم فوق جذوعهم ... نجومُ سماءٍ في الصباح أفول
كأن الجذوع القائمات منابر ... علت خطباء عودهنَّ تقول
سموٌّ كما شاءت نزار لولدها ... وبعد كما شاء الفخار وطول
لقد ركبوا كور المطايا يحثهم ... إلى الموت من وادي الحياة رحيل
أجالوا بهاتيك المشانق نظرة ... يلوح عليها اليأس حين تجول
وبالناس إذ حفوا بهم يخفرونهم ... وقوفًا وفي أيدي الوقوف نصول
يرومون أن يَلقَوْا عدولًا فينطقوا ... وهيهات ما في الحاضرين عدول
دنوا فرقوها واحدًا بعد واحدٍ ... وقالوا وجيزًا ليس فيه فضول
فمن سابق كي لا يُقال مُحاذر ... ومُستعجل كي لا يقال كسول
ولله ما كانوا يحسُّون من أذًى ... إذ الأرض تنأى تحتهم وتزول
وإذ قرُبوا منها وما سعدوا بها ... وإذ مس هاتيك الرقاب حبول
وما هي إلى رجفة تعتري الفتى ... مفاجأة والرأس منه يميل
رجال عليهم من سنى الفضل رونق ... وللمجد فيهم غرَّة وحجول
ألمَّت من الترك الرزايا بهم كما ... ألمَّ بحدِّ المشرفيِّ فلول
مشوا في سبيل الحق يحدوهُم الردى ... وللحق بين الصالحين سبيل
ستبكي على تلك الوجوه منازل ... وتبكي ربوع للعلى وطلول
وأعظمْ بخطب فيه للمجد شقوة ... وفي جسد العلياء منه نحول

قبور القتلى

قبور ببيروت، وأخرى بجلَّق ... تُجرُّ عليها للرياح ذيول
سرت روحهم تطوي السماء لربها ... وما غير ضوء الفرقدين دليل
ولله عيدان من الليل أثمرت ... رجالًا عليهم هيبة وقَبول
ويا لك من رُزءٍ حمدتُ له البكا ... وقبَّحتُ فيه الصبر وهو جميل
ويا لَقلوبٍ حزنهنَّ مبرِّحٌ ... ويا لَعيون دمعهنَّ يسيل
لقد دحض الظلمُ العدالةَ قاهرًا ... وغطى على الحق المبين بطول
كأن قبور القوم إذ رقدوا بها ... عباديد سفر بالتلاع نزول
هوت أُمُّهم ماذا بهم يوم صُلِّبوا ... على غير ذنب كي يقال ذحول
سوى أنهم قد طالبوا لبلادهم ... بأمرٍ إليهم فخره سيئول
ونادَوْا بإصلاحٍ يكون إلى العلى ... وللنجح والعمران فيه وصول
فما ردَّ عنهم بالشفاعة عصبة ... ولا ذَبَّ عنهم بالسلاح قبيل
ولا نفع السيفَ الصقيل حديده ... مضاء ولا الرمح الطويل غسول
لعمرك ليس الأمر ذنبًا أصابه ... قصاص، ولكن يعرب ومغول

نساء القتلى وذووهم

وفي الحي وِلدانٌ وفي الحي نسوة ... قد اغتيل آباء لهم وبعول
شقاء على الوجه المنعَّم لائح ... ودمع على الخد الأسيل يسيل
تئن بداجي ليلها أم واحد ... كما أنَّ من بَرِحَ السقامَ عليل
وللأمهات الويل في الليل إنَّه ... على من تناجيه الهموم طويل
ونائحة في الليل أمَّا نشيجُها ... فبادٍ وأمَّا همها فدخيل
أهذا الذي يشجو بكاءُ حزينة ... على إلفها أم للحمام هديل
وتسمع من حين لآخر صرخة ... تكاد لها شُم الجبال تزول
ولله آباء حنى من ظهورهم ... توالي رزايا عبؤهن ثقيل

أسماء القتلى

على عمر الغالي وشكري تلهفت[١] قلوب وتاهت في المصاب عقول
وبعد السليمين العريقين في العلى وأحمد طرف المكرمات كليل[٢]
وعبد الحميد الحر أفضل ميت فحزني على عبد الحميد يطول[٣]
ولهفي على مسعى شفيق وجهده فما لشفيق في الرِّجال مثيل[٤]
وباتت تصك الوجه أم محمد[٥] دعوها تصك الوجه فهي ثكول
أيدري الذي وارى عليًّا بقبره على أي شهم للتراب يُهيل[٦]
ويا غيث إن لم تسقِ مرقد حافظ فطرفيَ في الإرواء عنك بديل[٧]
ويا قبر رشدي والشهيد مبجل سقاك من الغر العهاد هطول[٨]
ويا جدث الوهاب قل لي مصرِّحًا أأنت بإعزاز النبوغ كفيل[٩]

---

[١] عمر هو «الأمير عمر الجزائري»، أحد أنجال القائد العربي الكبير الأمير عبد القادر الجزائري. وشكري هو «شكري بك العلي» أحد مبعوثي دمشق.

[٢] السليمان: «سليم بك الجزائري» من كبار أركان الحرب في الجيش العثماني، و«سليم الأحمد العبد الهادي» من أعيان نابلس وأفاضلها. وأحمد هو «الشيخ أحمد طبارة» صاحب جريدة «الاتحاد العثماني» كاتب بليغ وخطيب مفوَّه.

[٣] هو «السيد عبد الحميد الزهراوي» أحد أعضاء مجلس الأعيان العثماني، وصاحب جريدة «الحضارة» في الآستانة، ورئيس المؤتمر العربي الأول في باريس.

[٤] هو «شفيق بك المؤيد»، من أسرة العظم الشهيرة في سورية، ومن مبعوثي دمشق السابقين، وأكبر الماليين في البلاد العثمانية، تقلب في أعظم وظائف الدولة التركية، واكتسب خبرة عظيمة في السياسة والاقتصاد والإدارة.

[٥] هو «محمد المحمصاني»، من خيرة شباب العرب تخرَّج في المدارس العالية في فرنسة.

[٦] هو «علي الأرمنازي»، من ناشئة حماة الراقية.

[٧] هو «حافظ بك السعيد»، من أعيان فلسطين وعقلائها.

[٨] هو «رشدي بك الشمعة»، من أعيان دمشق ومبعوثها.

[٩] هو «عبد الوهاب بك المليحي»، المعروفة أسرته بآل الإنكليزي، أحد عُلماء دمشق الاجتماعيين، وكان قد تولى منصب المفتش الإداري في ولايات سورية.

وهل للعريسي الجريء وعارف ... إذا عد أقطاب اليراع عديل[١٠]
وليس كتوفيقٍ فتًى أو كصالحٍ ... ولا كأمينٍ باسلٌ ونبيل[١١]
وعبد الكريم الندب ما ضاع رشده ... إذ الدهر يسقيه الردى ويغول[١٢]
تمثل فوق العود قبل وفاته ... ببيت يؤسِّي الشعب وهو يقول
«إذا مات منَّا سيد قام سيد ... قَئُول بما قال الكرام فعول»
جلال لعمر الحق ما كنت مذنبًا[١٣] ... فكيف من الأتراك غالك غول
ولا مثل جرجي فهو يوم أتَوْا به ... إلى الموت قسرًا ما عراه ذهول[١٤]
كذاك سعيد يوم غيل ومثله ... رفيق كلا المستهلكين حمول[١٥]
هنالك ركب إن سرى أبعد السرى ... وإن حَلَّ أرضًا طاب منه حلول
نأَوْا قبل حينٍ ثم ما آب غائب ... ولا جاء منهم بعد ذلك سول
أفكر في الماضي فيأتي خياله ... جميلًا أمام العين ثم يزول
أناخوا المطايا حين أدرك ليلها ... بمأسدة فيها الحماة قليل
فهل للأُلى غابوا عن الأهل أوبة ... إليهم وهل للراحلين قفول
وإني على ما لي من الحر والصدى ... لأنظر ماءً ما إليه سبيل

[١٠] «عبد الغني العريسي» صاحب جريدة «المفيد» البيروتية، وخريج مدرسة السياسة والصحافة في باريس. و«الأمير عارف سعيد الشهابي» خريج المدرسة الملكية بالآستانة، وكانا من دعائم الإيمان القومي في الشبيبة العربية.

[١١] توفيق هو «توفيق بك البساط» المتخرج في مدرستَي الحقوق والملكية بالآستانة. وصالح هو «صالح بك حيدر» رئيس بلدية بعلبك. وأمين هو «أمين بك لطفي» من رجال أركان الحرب في الجيش العثماني، وممن أنجبتهم مدينة دمشق.

[١٢] هو «عبد الكريم الخليل» شاب لبناني تخرج في مدرستَي الحقوق والملكية بالآستانة، واشتُهر بسعيه للتوفيق بين القوميتين العربية والتركية على أساس صالح.

[١٣] هو «جلال البُخاري» خريج مدرسة الحقوق بالآستانة، ونجل العلَّامة الشيخ سليم البخاري شيخ علماء دمشق.

[١٤] هو «جرجي الحداد» من رجال الصحافة الدمشقية، ومن بلغاء الشعراء والكتاب.

[١٥] سعيد هو «سعيد عقل» اللبناني، رئيس تحرير جريدة النصير، ومن أدباء سورية وخطبائها. ورفيق هو «رفيق رزق سلوم» ممن أنجبتهم مدينة حمص فكان من زهراتها الغضة، وكان هو وجرجي الحداد ممن يقدسون عظماء الأمة العربية تقديسًا قوميًّا، ولهما في ذلك الشعر السائر، والنثر البديع.

البكاء على القتلى

وسائلةٍ ما بال دمعك فائضًا ... على النحر يغريه الغداة همول
تقول أتبكي في المصاب تلومني ... وتمسح منها العين حين تقول
أتبكي لرُزء قد أصابك شطره ... وأنت أخو صبر وأنت حمول
فقلت أجلْ أبكي الأُلى طلبوا العلى ... فماتوا كرامًا والبكاء قليل
وإن بكائي اليوم لو نفع البكا ... عليهم وفي مستقبلي سيطول
أبعد بني قومي أُنَهْنِهُ عبرتي ... وأمنعها، إني إذنْ لبخيل
سأبكي على صحبي وما أنا واثق ... بأن بكائي للشقاء مزيل
وليست دموعي إن تبيَّنت أمرها ... سوى قطرات في العيون تجول
لحيت كئيبًا يا ابنة القوم إذ بكي ... وما رأي من يَلحي الكئيب نبيل
سواءٌ على من كان في حوزة الأسى ... فأسبل دمعًا عاذر وعذول
وقد يتناسى المرء غَيبة واحد ... مضى في سبيل الحق وهو قتيل
ولكنَّ خطبًا قد ألمَّ بأُمة ... وأفجع شعبًا إنه لجليل
سيجزي قضاة العدل من كان جارمًا ... وللعدل عند الجارمين تبول
وإني لأخشى عن كثير غضاضة ... وألا يكون الأمر فيه شمول
وهل يعدم المطلوب في الحي حاميًا ... وفي الحي أعمام له وخئول
وإنَّ دمًا لم يكترث أهله له ... ولم يثأروا يومًا به لطليل
وإن امرءًا لا يغسل العارَ سيفُه ... بما هو يجري من دمٍ لَذليل
وما كل مصقول بسيف تعده ... لثأر ولا كل السيوف صقيل

نصيحة للعرب

بني يعرب لا تأمنوا الترك بعدها ... بني يعرب إن الذئاب تصول
ولا تمشِ في أمر أجنَّك ليله ... على ضوء تركي فذاك ضئيل
تريث إذا كنت في الطين ماشيًا ... فقد يخذل الأقدام منك زحول
على أنَّ هذا الشعب ليس بأسره ... لئيمًا وما كل الرجال نذول
على أن فيهم صادقين فهُم على ... هدًى غيرَ أنَّ الصادقين قليل

وفي الترك ناس صيغ ظاهر شكلهم ... من الخبث صوغًا والرجال شكول
وما كان يعتاد السفاهة راضيًا ... بها أحدٌ في الناس وهو أصيل
وكم قتلوا من غادةٍ مات بعلها ... ولم ترضَ أن ينحى العفاف عجول
كأَن وضيء النَّحر والسيف فوقه ... صقيل يساقيه الغداة صقيل
فأذمِمْ بحزب جار وهو مهيمن ... وأقبِحْ بحزب ساد وهو يعول
وأرذِلْ بحزب كان في كل مطلب ... يميل مع الأهواء حيث تميل
ولن تسكت الأيام عن عصبة جنَوْا ... ولكن بما كالوا لهم ستكيل
فيا قاصدًا بيروت بلغ قبورهم ... سلامي ويا بيروت أنت هبول
هنالك داءٌ مَن وقته مناعة ... فما مات منه بات وهو هزيل
هنالك جوع ساغب يأكل الحشا ... إذ الأرض ظمأى والبلاد محول
هنالك سنان للهدوء موجَّه ... وسيف على هام السلام سليل
وقد سلبوا حرية الناس إذ عتَوْا ... وتلك مراد للحياة وسول
هي الشمس في عينيَّ يحسن ضوءُها ... ويحسن إشراقٌ لها وطفول
أو الخود أرجو أن تحيط لثامها ... فيبدوَ وجهٌ عند ذاك جميل
من الخفرات البيض أمَّا عيونها ... فسودٌ وأَمَّا جيدها فتليل
ولا ينقص الحسناء بين لداتها ... إذا برزت للناظرين عطول
وصبوا دماءً من شعوبٍ بريئة ... فأخضل وهدان بها وتلول
وساوَوْا جهولًا بالذي هو عالم ... «وليس سواءً عالمٌ وجهول»
ولا تتَّكلْ إلا على النفس إنها ... إذا احتجت يومًا للمعيل تعيل
فما إنْ لنفس من إغاثة ربها ... وإن أحجمت بعض الأوان نكول
أليس لمن يحتاج في ظل بيته ... وقد طال من حر الهجير مقيل
تعرض للرمضاء جنبك ضاحيًا ... وظلك في وادي الأراك ظليل

إجلاء الأسر العربية

ولا مثل يومٍ فيه سيقت كرائم ... وشُدت على ظهر المطيِّ حمول
لقد رحلت تلك المطايا بأهلها ... وأعناقها نحو المواطن ميل

يبرحني أنَّ الصروح تقوَّضت ... ويحزنني أنَّ القصور طلول
أتعلم أن الروض صوَّح زهره ... وأن به بعد الرواء ذبول
لقد كان لي فيه مراح وملعب ... وملهًى ومرعًى لو ذكرت خضيل
إذ الدهر والأقدار والحظ والفتى ... وليلى برغم الكاشحين تنيل
أقبِّرة الحقل اغنمي الوقت واصفِري ... فما بعد أيام تمُرُّ حقول
بأي مكان تَصفِرين صبابة ... إذا جاء يستقصي الحقول فحول
لقد جئت أرثي الرَّوض قد جف نبته ... وكنت أغني فيه وهو خميل
أتى السيلُ قَومي في الصباح فجرَّهم ... وقَوميَ في وادي العقول نزول
نساءٌ وولدانٌ يُسفَّرن عَنوة ... وشيب وشبان معًا وكهول
بني الترك أسرفتم بني الترك خففوا ... قليلًا فإنَّ الوطء أوه ثقيل
تأنَّوْا بخلق الله لا تتهجَّموا ... عليه وخافوا الغب فهو وبيل
ولا تحقروا شعبا كبيرًا بأسره ... فإنَّ إليكم عزمه سيَئُول
أحاذر أن تلقَوْا جزاء قضائكم ... وأن تندموا إن الزمان يحول
فليت الذين استحسنوا الأمر فكروا ... فكان عن الرأي السخيف عدول
طغَوْا فاستحبُّوا أن تُهان كريمة ... وتبرز من خدر الخفاء بتول
عتبت على الأيام إن نعيمها ... وكل جميل تجتليه يزول
وإن النجوم الطالعات عشية ... لهن بإثناء الصباح أفول

إنقاذ دمشق

قد اسودَّ ليل الظلم حتى كأنه ... ستار على الأرض الفضاء سديل
فيا لك من ليلٍ يروع كأنما ... بكل مكانٍ منه يرقب غول
وقد قر حتى قلت قد جمد الدجى ... وخِلتُ بياضَ الصبح ليس يسيل
وعسعس يرتاع الكرى من ظلامه ... وطال وليل الخائفين يطول
إذ الوطن المأسود ينهض قائمًا ... فتقعد أغلال به وكبول
إلى أن أتى بالفتح جيش عرمرم ... مدافعه تنكي العدا وتهول
فقد ذر قرن الشمس أو كاد وانجلت ... من الليل عن صبح النجاة سدول
وجاءت خيول العُرْب تعدو وراءها ... بمقربة للإنكليز خيول

هنالك أهل الشام صاحوا وكبَّروا ... وكبَّر أعلام بها وسهول
وكان لأخذ الثار قد ثار ضيغم ... له في مغار الغابتين شبول
حسين بما قد جاء قد سر جده ... وإن حسينًا للنبي وكيل
أغر كريم الأصل من فرع هاشم ... فطاب له فرع وطاب أصول
فأعظِمْ بملك سل للذب سيفه ... وأرهِفْ بسيف ليس فيه نكول

الطاغية

جمال لأنت القُبح سمَّوْك ضده ... وثوبك إذ أرفلت فيه ذليل
تريد لمجد العُرْب فيما أتيته ... زوالًا ومجد العُرْب ليس يزول
تحيل عليه تبتغي كسر شأنه ... أتعلم ما تأتيه حين تحيل
وتضربه بالسيف تطلب قطعه ... فيرتدُّ عنه السيف وهو كليل
فعالك لا يأتيه من كان عنده ... حصاةٌ وفي تلك الحصاة صمول
لقد جئت أمرًا يا جمالُ مُذَمَّمًا ... وأنفذت رأيًا لا يزال يفيل
فما قُبْح ذاك القتل عنك بزائل ... ولا دنسُ الإجلاء منك غسيل
رويدك لا تغترَّ بالدهر إنْ صَفَا ... ولا تأمن الأيام فهْي تدول
وراءك لا تقرب رواسي يعرب ... فقرب رواسيها عليك وبيل
ولا تتعرض يا ابن مورثة العمى ... لمجد بني عدنان فهو أثيل
تأنَّ ولا تعجل فما العرب غيرهم ... ولا الشم من وعر الجبال سهول

الخاتمة

جرت هذه الأحداث والحرب لم تزل ... على فتكها بالناس فهْي أكول
إذ الشام أو بيروت أو أكثر القرى ... كمنحدر تجري عليه سيول
مضى ما مضى لا عاد واليوم فاستمع ... إلى لهجة التأريخ كيف يقول
ستُكتب فيه بالدماء مباحثٌ ... وتُقرأ للويلات فيه فصول
ويذهب هذا الجيل نضوَ شقائه ... ويأتي سعيدًا بالسلامة جيل

(٢) شهقات

ما إن يريد حياةً تذل إلى الجبانُ
تخشى المنون وشر من المنون الهوان
لنا نريد أمانًا منها وفيها الأمان
الأرض ليست بدار فيها الحقوق تُصان
بين الذين عليها يَحيَوْن حربٌ عوان
لا تلحني إن تأخر ت يوم جدَّ الرهان
فقد أردت نجاحًا وما أراد الزمان

* * *

إن السماء لتبغي في كل يومٍ شهيدًا
والأرض تعلن للنا ظرين قبرًا جديدًا
لا يوم إلا ونبكي فيه صديقًا فقيدًا
مات الوحيد لأمٍّ فالأم تبكي الوحيدا
لقد شجاني صبيٌّ يلوي من اليتم جيدا
كم قد طلبت سعيدًا فما وجدت سعيدًا
إنْ نيلَ بالعسف عيش فلا يكون رغيدا

* * *

قد أطبق الموت عينيـ ـنِ مِن فتاة رداح
هوت بها وهي بكر يد بغير جناح
ماتت فنامت بقبر أُعدَّ غير فساح
ما للمقيم به بعـ ـد أن ثوى من براح
يأتي على المرء فيه ليل لغير صباح
فزاره صاحب كا ن نضو حب صراح
يهدي إلى القبر زهرًا من نرجس وأقاح

* * *

غنَّت حمامة أيك غنِّي لنا يا حمامهْ

وبعد ذلك طيري مخفة بالسلامه
البرق يضحك في جوِّ ه وتبكي الغمامه
أكُلَّما قُلتُ شعرًا قامت عليَّ القيامه
ندمت من كل ما قلـ ـته أُثيرُ الشهامه
نعم ندمت ولكن ماذا تُفيد الندامه
إذا هجرت بلادي فما عليَّ ملامه

* * *

لا شيء يبقى على ما شهدته مستمرًّا
البحر يطغى لمد والمدُّ يعقب جزرًا
كم غيَّرَ الأرضَ من حا دث على الأرض مرا
فصيَّر البر بحرًا وصير البحر برا
الأرض تضمر نارًا والنار تضمر شرا
فقد تشق أديمًا لها وتحدث أمرا
وتجعل الظهر بطنًا وتجعل البطن ظهرًا

* * *

للكون فيما بدا لي ظواهرٌ وخفايا
ما قام فينا حكيم يحلُّ بعض القضايا
إنَّ المدينة حي والناس فيه خلايا
ما بالذكاء يسود الـ إنسان بل بالسجايا
والمرء يُعرف منه الضَّـ ـمير عند الرزايا
ما زال في البعض من أمـ ـيال الوحوش بقايا
أطماعه ليس تمضي حتى تجيء المنايا

* * *

إذا أهين كريم بالسبِّ قال سلاما
وإن أفاد سكوت كان السكوت كلاما
يودُّ مَن سيم خسفًا لو استطاع انتقامًا
قد بلل الدمع عند الـ ـمساء خبز اليتامى

أشكو إلى الله عيشًا مـرًّا وداءً عـقـامـا
ليس النواميس في عا لـم الـوجـود لـزامـا
فـقـد وجـدت نـظـامًـا ومـا وجـدت نـظـامـا

* * *

الأرض لـلـشـمـس بـنـت والشمس بنت الفضاءِ
تـجـري ذُكـاء حـثـيـثًـا والأرض حـول ذكـاء
والأرض تشرب من أُمـ ـهـا لـبـان الـضـيـاء
مـن ذا يـصـدق أنَّـا نـطـيـر وسـط الـسـمـاء
إن الـصـبـاح شـبـيـه فـي ضـوئـه بـالـمـسـاء
وقـد أرى شـفـقًـا قـا نـيًـا كَـلـون الـدمـاء
كـأنـمـا هـو رمـز إلـى دَمِ الـشـهـداء

* * *

مـا لـلـفـضـيـلـة تـأتـي بـهـا الـفـتـاة رواجُ
اليوم للناس في خطـ ـبـة الـثـراء لـجـاج
تـزوجـت فـأتـاهـا بـمـا يـسـوء الـزواج
بـكـت فـلا تـمـنـعـوهـا إنَّ الـبـكـاء احـتـيـاج
بـنـى الـعـروسـان بـيتًـا لـه الـشـقـاء سـيـاج
لا تـرجُ فـيـه امـتـزاجًـا فـمـا هـنـاك امـتـزاج
إذا تـنـاكـر رُوحـا نِ فـالـفـراق عـلاج

* * *

لـقـد صـمتُّ وصـمـتـي مـا كـان مِـنِّـيَ عِـيًّـا
أتـحـسـب الـغـي رشـدًا وتـحـسـب الـرشـد غـيـا
تـريـد جـاهًـا ومـالًا دثـرًا وعـيـشًـا رضـيـا
وبـسـطـة ومـكـانًـا مـن الـحـيـاة عـلِـيـا
هـيـهـات مـا أنـت إلا مـيْـت وإن كـنـت حـيـا
يـا شـيـخ هـيـا لـنـسـعـى مـعًـا إلـى الـقـبـر هـيـا
فـقـد بـلـغـنـا كـلانـا مـن الـحـيـاة عِـتـيـا

(٣) لامية الزهاوي

الدفاعات

يكفي لإظهار ما في النفس من دخلِ ... يوم من الحزن أو يوم من الجذلِ
ورُبَّ مخطوبةٍ عذراء قد جهلت ... ما قد تُقاسي غدًا من قسوة الرجل
سمراء في مُقلتيها السحر مُستتر ... والسحر إن كان حقًّا فهو في المقل
إذا نظرت إليها وهي ماشية ... إلى لداتٍ لها احمرَّت من الخجل
العقد أم جيدها لم أرد أيهما ... قد كان أكبر حرمانًا من العطل
تُزف في عنفوان من شبيبتها ... إلى فتًى لشعار النبل مُنتحل
مهما به احتفلت بعد الزَّواج فما ... تلقى سوى ذي غرور غير محتفل
تراه زوجًا على إرغامها بطلًا ... وفي سوى ذاك ليس الزوج بالبطل
له تبث هواها كي يُجازيَها ... بالمثل وهو عن الأهواء في شغل
قامت بخدمته جهدَ استطاعتها ... تريد منه لها ميلًا فلم يَمِل
تودُّ لو أنَّه كان الوفيَّ لها ... فلم يخن عهدها يومًا ولم يحل
هيهات فالطبع في الإنسان غالبه ... بما توارث من آبائه الأُوَل
حتى أضاعت لعمري من شراسته ... حياتها وهو في سكر من الجذل
قد ينزل الخطب في دار بربتها ... ولا يكون هناك الخطب بالجلل

* * *

ما أصبح الروض خلوًا من نظارته ... لو كان يسقيه صوب العارض الهطل
هناك مرتطم في طين محنته ... قد استغاث فلم يظفر بمنتشل
ماذا يقول الفتى في النفس حين يرى ... لهيب شيب برأس الشيخ مشتعل
لقد شجتني الأَيامى في تعاستها ... والرَّكب في ظعنه والشمس في الطفل
لأنت يا حق قصدي في محاولتي ... ونصب عينيَّ في حلِّي ومرتحلي
ليت الزمان الذي أقصى يدُور بنا ... حتى نعود إلى أيامنا الأُوَل
وقد أحاول أن أمشي فتمنعني ... رِجل رمتها يدُ الأحداث بالشلل
لما رأيت زماني لا يساعدني ... أَخرت ما أتوخَّاه إلى أجل

* * *

ما أكبرَ العقلَ للإنسان من سندٍ إذا خلا فيه من وهنٍ ومن خلل
يُبدي الفتى في مقالٍ جاء يُورده ما كان يُخفيه من حزم ومن خطل
يسقي رياضًا وجناتٍ وأندية ماءً يسيل إلى الوادي من الجبل
لأنت يا ذا من الكون الذي بعدت أطرافه عنك جزء غير منفصل
إذا أردت بأصل الكون معرفة فارجع بفكرك أدراجًا إلى الأزل
إذا رجعت إليه مُلقيًا نظرًا فقد ترى ما يُسمَّى علة العلل

* * *

يشجي العيونَ على حسن هناك له لونُ الدماء التي سالت من الأسل
ما نالت النفسُ ما كانت تؤمِّله يا خيبة النفس بل يا ضيعة الأمل
يا راميًا نفسه من فوق شاهقة لقد بلغتَ المنى من أقصر السبل
إنَّ المنية بالإنسان نازلةٌ حتمًا كإرثٍ من الآباء منتقل
إنْ زال ما في قلوب القوم من حسكٍ يومًا تبدلت العَضَّات بالقُبَل

* * *

بغداد ليست كما قد كنت تعهدها في عصر هارون عصر العلم والعملِ
وقد أرى طللًا للعلم مندرسًا فقف معي ساعةً نبكي على الطلل
أرى اليتامى جلوسًا في شوارعها يبكون في بكر الأيام والأصل
لا يحمل اليوم إنسانٌ بلا تعب ما للحياة على الإنسان من ثقل
أبكي إذا كان يبكي في أصائلها طفلٌ من اليُتم أو أُمٌّ من الثكل

* * *

في كل ما عاش لا يأتي الفتى عملًا ما لم يكن سائق فيه من الأملِ
إلزامك المرء بالبرهان تورده لا يحمل المرء في وقتٍ على العمل
وإنما عادةُ الإنسان ناجمة من المُحيط بفعلٍ فيه مُتصل
وهذه هي في التحقيق باعثة له على السعي في الدنيا بلا ملل
إذا رأى وَشَلًا حرانُ ذو ظمأٍ فإنه ليس يستغني عن الوَشَل

* * *

من زلَّ من عجلٍ يومًا فأحْرِ به بعد السلامة أن يَمشي على مهل

مهما تكن عضلات الرِّجْل مُحكمة ... فقد تزل بمن يمشي على عجل
إنْ كانت الأرضُ عند المشي ليِّنة ... فليس بأس على الماشي من الزَّلل
تقنو الحياة بقاءً في تنازعها ... من النشاط وكل الموت في الكسل
من جاء يشرع بالأعمال معتمدًا ... على البصيرة لا يخشى من الفشل
إن حُم يوم عصيب للكفاح فما ... يُدعى به بطلًا من ليس بالبطل
لقد دَلفتُ فسُرَّ المجد من دلفي ... وقد نكلت فسيء المجد من نكلي

* * *

دع المتيَّم في شأن يريم به ... فالحبُّ شيء وراء العذر والعذل
ماذا تريد بأنظارٍ تُحولها ... عمدًا إلينا أُلات الأعين النُّجُل
أمرت قلبيَ بالسلوان أنصحه ... لكنَّ قلبي عصيٌّ غير ممتثل
قد طال ليلك من هَمٍّ سهدتَ له ... ولو رقدتَ به كالناس لم يطل

* * *

ما الشعر إلا شعوري جئتُ أعرضه ... فانقده نقدًا شريفًا غير ذي دخل
وأحسَنُ النقد ما يرضى الجميع به ... وأسوأ النقد ما يُفضي إلى الجدل
الشعر ما عاش دهرًا بعد قائله ... وسار يجري على الأفواه كالمثل
والشعر ما اهتز منه روح سامعه ... كمن تكهرب من سلكٍ على غفل
الشعر قد قلته لما تَطلَّبني ... ولو تنكب عني الشعر لم أَقُل
له ابتكرت وغيري جاء منتحلًا ... وليس مُبتكرٌ شيئًا كمنتحل
قد قلت شعرًا فلم يسمعه من أحد ... إلا ترنح فعلَ الشارب الثمل
فيه إلى اليوم ما قلدت من أحد ... وما على غير نفسي فيه متكلي
أفعمته حكمًا تعلو وأمثلة ... تحلو فسُرَّ له شعب وصفق لي
وقد أعود به أبان أنظمه ... إذا تذكرت أيامي إلى الغزل
يا شعر إنك أحلامي التي حسنت ... وأنت ذكرى شبابي النَّاعم الخضل

(٤) أيها العِلم

عش هكذا في علوٍّ أيها العَلَمُ ... فإننا بك — بعد الله — نعتصمُ
عش للعروبة عش للهاتفين لها ... عش للأُلى في العراق اليوم قد حكموا
عش للعراق لواء الحكم تكلؤُه ... عين العناية من شعب له ذمم
عش خافقًا في الأعالي للبقاء وثق ... بأن تؤيدك الأحزاب كلهم
جاءت تحييك هذا اليوم معلنة ... أفراحها بك فانظر هذه الأمم
كأنما الناس في بغداد إذ هتفوا ... بحرٌ خضم به الأمواج تلتطم
من بعد ما كانت الأيامُ عابسةً ... وجوهُها صارتِ الأيامُ تبتسم
إن احتُقِرتَ فإنَّ الشعبَ محتقَر ... أو احتُرمتَ فإنَّ الشعب محترم
الشعب أنت وأنت الشعب أجمعه ... وأنت أنت جلال الشعب والعظم
وإنما أنت لاستقلاله سندٌ ... يُئوي إليه إذا ما اشتدت الأزم
فإنْ تعشْ سالمًا عاشت سعادته ... وإن تمت ماتت الآمال والهمم

* * *

هذا الهتاف الذي يعلو فتسمعه ... جميعه لك فاسلم أيها العلَم
تُتلى أمامك والجمهور مستمع ... قصيدةٌ لفظها كالدر مُنسجم
لشاعر عربي غير ذي عوج ... على الفصاحة منه تشهد الكلم
يا أيها العلم المحبوب شارته ... إنَّا لك اليوم بالإجماع نحترم
قد كان لليأس في أكبادنا ألمٌ ... حتَّى خفقت فلا يأس ولا ألم

* * *

لم يسمع الناس حربًا كالتي سلفت ... في هولها، وَلِأَرزاء الورى قدم
دامت سنينَ مع الويلات أجمعها ... دهياءُ تلقف من تلقى وتلتهم
كم دولة سَقطتْ من أوج رفعتها ... كما تَساقطُ من أفلاكها الرجم
جرت هنالك أشياء مُروعة ... وإنَّ أكبر أشياء جرين دم
العُرْب يومئذٍ خاضوا عجاجتها ... في جنب أحلافهم والنار تضطرم
قد استمروا ونار الحرب موقدة ... يُكافحون ولم يأخذهم السأم
الحمد لله رب العالمين على ... أن زال بالخير ذاك الحادث العمم

وأن أتى السلم حتى ظل سامعه ... من غلي أفراحه يبكي ويبتسم
ومن نتائجها أن خاب موقدها ... وأن تحرَّرَت الأقوامُ والأمم
وعاد في كل أرجاء العِراق إلى ... أبنائه الحكم مقضيًّا كما حكموا

* * *

لقد تمسك قومي عند وحدتهم ... بعروةٍ ليس طول الدهر تنفصم
من ذا يصد أناسًا عن تقدمهم ... في مَهْيَعٍ للهدى لو أنهم عزموا
إذا تأخر والأقوام سابقة ... أبناء يعرب فالأقدار تتهم
السيف والقلم امتازا بذودهما ... فلْيحْيَ للمُعضلات السيف والقلم
مجد قد اقتحم الصعبَ الغزاةُ له ... والصعب للمجد مهما اشتد يقتحم
مجد لأبناء عدنان له قِدم ... كما شماريخ نهلان لها قدم

* * *

أهل العراقين بعد الله قد وثقوا ... بفيصل وهو ذاك الصارم الخذم
لفيصل فليعش في عرشه مَلكًا ... رأيٌ حصيف يليه نائلٌ عمم
سُرَّ العراق به والرافدان معًا ... والماء والنخل والوديان والأكم
رِدْ إن ظمئت إلى عدلٍ شريعتَه ... فالعدل ثمَّت ورد ماؤه جمم

* * *

يا قوم أنتم بنيتم من تضامنكم ... على الفراتين حصنًا ليس ينهدم
سيشكر الصنع أرواح الجدود لكم ... وتشكر الصنع في أجداثها الرمم
يا قوم إن لم تصونوا عز بيضتكم ... فأين تلك السجايا الغر والشيم
تأبى الصَّغارَ نفوسٌ لم تكن جُبلت ... على الصَّغار وآناف لها شمم
بالعقل لوذوا إذا حمت مخالفة ... فإنه وحده في الناس يحتكم
يا قوم إن الذي أُلقيه من كلم ... خلا من الحُكم إلا أنه حِكم

(٥) إلى أهل الحق

لقد جاء يوم فيه ينتبه الشرق ... ويرجع محمودًا إلى أهله الحقُّ
إنِ الشرقُ ألقى في الحياة اعتمادَه ... على نفسه يومًا فقد أفلح الشرق

وأكبر أنصار البلاد رجالُها ... وأحسن أخلاق الرجال هو الصدق
وإنَّ دعام الحذق خُلق يُقيمه ... فإن لم يكن خلق فلا ينفع الحذق
وفي بعض من عاشرتَ شيء تجله ... فذلك لو فتَّشْتَ عنه هو الخلق
جرى الشرق شوطًا في الرهان وبعده ... جرى الغربُ حثحاثًا فكان له السبق
يُقاسي القيودَ الشرقُ والغرب مُطلق ... فبين كلا القسمين هذا هو الفرق
إنِ الشرقُ بعد اليوم لم يَرْعَ نفسه ... ألمَّت به الجلَّى وعاجله المحق
ألا فليُرقِّعْ ثوبَه كلُّ من له ... يدٌ قبلما في الثوب يتسع الخرق
قد انطفأت تلك النُّهى منذ أعصر ... وتومض أحيانًا كما يومض البرق
أُحِسُّ بأنَّ الشرق ينبض عرقه ... فلو لم يكن حيًّا لما نبض العرق
يُريد ليحيا الشرقُ حرًا كغيره ... وأكبر أرزاء الشعوب هو الرِّق
متى أيها الصُّبح الجميلُ تَبِين لي ... فيبْيضُّ في ليل الهموم بك الأفق
أتعلم ليلى أنَّ في الحي مُغرمًا ... بها لفؤاد بات يحمله خفق
قسمتُ فؤادي بين ليلى وموطني ... فهذي لها شقٌّ وهذا له شق
إذا لم يكن سير السياسة راشدًا ... فما إن يُفيد العنف فيها ولا الرِّفق
يُحاول ناس خوض دجلة جهدَهم ... وتمنعهم منه الزَّوابع والعمق
إذا جئتني ليلًا فدعنيَ راقدًا ... وفي الصبح أيقظني متى غنَّت الورق
هو الصبح إي والله قد سلَّ سيفه ... وإنَّ إهاب الليل منه سينشق
وإن الذي يسعى لتحرير أمة ... يهون عليه النفيُ والسجن والشنق
متى ما اطمأن القلب بالنفع في الحيا ... فقد لا يروع الليل والرعد والبرق
إذا رُمت عن دار المَذَلَّة رحلةً ... فسِرْ قبل أنْ تنسدَّ في وجهك الطرق
سأرحل عن بغداد يومًا مُخلفًا ... بها الشعرَ إنَّ الشعرَ منيَ مشتق

(٦) أيها الملك

وهي القصيدة التي أنشدها في حضرة جلالة الملك «فيصل الأول» في المأدبة التي أقامتها لجلالته بلدية بغداد على أثر قدومه عاصمة الرشيد.

إنا محيُّوك فاسلم أيها الملكُ ... ومصطفُوكَ لعرشٍ شاءه الفَلَكُ

عرش العراق ضمانٌ للعراق وفي ... تأييده الشعب والأحلاف تشترك
ما إن أقامك أهلًا في تبوُّئه ... إلا الأصالة في الآراء والحنك
الناس من فرح إذ جئت ترأسهم ... من بعد ما قد بَكَوْا من يأسهم ضحكوا
قد ارتضاك له فاهنأ بدولته ... الله والناس والتوفيق والملك
جاء الرجاء فزُلْ يا يأسُ مُبتعدًا ... وأقبلَ النورُ فاذهب أيها الحلك
على ولائك والأيمانُ صَادِقَة ... قد اتفقنا بعهدٍ ليس ينبتك
ليس الذي قد رآه الشعب فيك سوى ... ما يأمر العقل والآداب والنسك
هو السلام يعم الرَّافدَين غدًا ... فلا دمٌ بعد هذا اليوم ينسفك
قد استقرَّ عليك الرأيُ أجمعه ... من بعد ما كان ذاك الرأي يرتبك
إذا نوى الشعب إدراكًا لحاجته ... فذلك الشعب مضمونٌ له الدرك
الحمد لله أن زال الخلاف وقد ... جاء الوِفَاقُ فلا حقدٌ ولا حسك
إنَّ الحكيم إذا ما فتنةٌ نجمت ... هو الذي بحبال الصبر يمتسك
لا يرأس الناس في عصر نعيش به ... إلا الذي لقلوب الناس يمتلك
جرى ليلحق ناسٌ بابن فاطمة ... حتى إذا تعبوا في جريهم بركوا
من هاشم في قريش من ذؤابتها ... حيثُ الوشائج والأرحام تشتبك
مشى يشقُّ طَرِيقًا للعُلى جددًا ... من بعد ما انسدَّت الأبواب والسكك
لقد تعلمتُ من بحثٍ أواصله ... أنَّ الحياة بوجه الأرض معترك
إنَّ اختيارك للتاجِ المدلِّ به ... أمرٌ به الناس كل الناس تشترك
الشعب فيه بحبل الله ممتسك ... ما خاب شعب بحبل الله ممتسك
للجهل بعد الهدى المبدي أشعته ... ستر برغم حُماة الجهل منهتك
يا رب إنك ذو فضل نشاهده ... على العباد إذا استبدلته هلكوا

* * *

لله يا فيصل ما أنت مُورِّثه ... للعُرْب من شرف في شكره اشتركوا
وجدت أفكارك اللائي قد اتسعت ... مثل السماء التي في وجهها حبك
في نهضةٍ برجالٍ كنتَ ترأسهم ... حينًا لتحرير أوطانٍ بها انسبكوا
تُلقي اعتمادك لاستتمام نهضتهم ... على الذين لنهج الحق قد سلكوا
على أناس لصدق القول قد لزموا ... على رجال لغلِّ النفس قد تركوا

على الأُلى عرك الأيام أظهرهم ... عركًا طويلًا وللأيام قد عركوا
عشْ للرقيِّ فإنَّ الشعب أجمعه ... مُذْهَبَّ يفتح عينيه به سدك

(٧) رشحات القلم

لي عندك حق أَنشدُهُ ... أتُقرُّ به أم تجحدهُ
الله لمكروبٍ قد أصـ ... ـبح مُنجِده لا يُنجِده
النكبة تُنْطِقني شعرًا ... إبَّان النكبة أُنشده
هو إرناني في الليل إذا ... ما أدجى الليل يردده
البلدة يَهلِك شاعرُها ... كالروض يموت مغرِّده
لدموعي وهي مُسارعة ... جيش في العُسرة أحشده
لم يبق إليك سوى بابٍ ... هل تفتحه أم توصده
بالباب مُحبِّك مُنتظر ... أتُقربه أم تبعده
قد جاءك يحمل مسألة ... ما ظني أنك تطرده
مِن عادتِه بثُّ الشكوى ... والمرء وما يتعوَّده
لك في بغداد أخو شغف ... ما بالك لا تتفقَّده
صبٌّ بفراقك ما يشقى ... إلا وخيالك يُسعده
يأتيه منك إذا أغفى ... طيف والليلة موعده
أترصَّدُه فإذا أوديتُ ... فمَنْ بعدي يترصَّده
لِمُعَنِّيني من ناظره ... سيف ماض يتقلده
تقف الأنفاس لطلعته ... وتكاد الأنفُس تعبده
يمشي المحبوب وينظرني ... لا أدري ماذا مقصده
اللحظ يسدِّده نحوي ... ما أمضى اللحظ يسدِّده
ابيضَّت عيني من حزن ... مُذْ فارق رأسي أسوده
أمَّا شيبي وقد استولى ... فبياضٌ ما إن أحمده
يدُ دهري قد لطمت وجهي ... تبَّت يده تبَّت يده
قد صادفني في ما عمَّرْ ... تُ ألذُّ العيش وأنكده
لو كان البائس مُنتحرًا ... بالحقِّ لزال تردده

لم تحوِ حياة المرء سوى أملٍ يبلى فيجدده
قلت الأيام ستكسوه وإذا الأيام تُجَرِّده
ولقد آتي فيها عَمَلًا غيري من بعدي ينقده
ما أدري حين أجيء به هل أصلحه أم أفسده
ألهو بضعيف من أملي فأحلُّ الخيطَ وأعقده
أما من كان له مالٌ فعليه أنا لا أحسده
لا يستهويني لؤلؤُه بلطافته وزبرجدُه
إني وجلٌ جدًا فأخي قد طال الليلةَ مرقده
العدل قضى في حسرته نحبًا ربي يتغمده
إنَّ الإنسان إذا استعلى يهوي لولا ما يسنده
لله على الأحقاف دم أُهريق فراعك مشهده
في قلبي جُرح يُؤلمني هل في بلدي من يضمده
قد هان الماجد ليس له سيف للذَّبِّ يجرده
تغري الإنسانَ بموطنه أيامُ صباه ومولدُه
خُلق الإنسان به حرًّا ما أظلمَ من يستعبده
لي في أمر الأحكام كَلا مٌ من حذري لا أورده
وهنا وادٍ لا أهبطه وهنا جبلٌ لا أصعده
ما جاء الأمر كما أرجو ه وقد تدري ما أقصده
منظور الأمة مُختلف ولعلَّ الرُّزْءَ يوحده
لي في بغداد ونهضتها حقٌّ قد ضاع وأَنشده
سيشق الشِّعر عَصَا قوم ويُقيم الشعبَ ويُقعده
اختر ما هزَّك من شعر قد قيل فذلك أجوده

* * *

هل من يدري إلا ظنًّا ماذا سيجيء به غده
إني لأرى في الجو سحا بًا جاء النوء يُلبده
ما مِن نبت يبلى يومًا إلا والأرض تجدده
الشمس تعود لمبدئها هذا رأي وأؤكِّده

لا تستحقر صغرًا في النَّجـ ـمِ فأصغره هو أبعده
العالم بعد مساعيه يفنى والذِّكر يُخلده
في منطقه وكفايته شرف الإنسان وسؤدده
لا تغفل ريثك في عمل إلا ما كنت تمهده
ما يزرعه الإنسان من الـ أعمال فذلك يَحْصُده
قد يأتي المرءَ بأخبار من ليس المرءُ يُزوِّده
الواحد أنت به برم ماذا يجديك تعدده
لا أبني الأمر على خبر حتى أني أتأكده
نحت الإنسان له صنمًا وغدا من جهلٍ يعبده
العالم ليس له حد لكنَّ العجز يحدده
ما هذا الكون ووسعته ما هذا الدهر وسرمده
ليس الإنسان وإن مارى حرًّا فيما يتعمَّده
وهي الأيام تُحرِّكه وتثقفه وتؤوِّده
إني سأزور اليوم أخي وأخي سيموت فألحده
ما مِن مَلِكٍ في موكبه إلا والموتُ يهدده

* * *

لا يُفني المرءَ سوى نفس والمرء كذلك يفقده
ولقد يتمنَّى البائسُ أن لا كان المُوجد يوجده
لله عنائي في بلدي بغداد وما أتكبده
نفلوا عن نشأتنا أمرًا ما جاء العقل يؤيده
يدني مني ما أسأله أملي واليأس يُبعِّده
جمعته الرِّيح لنا مزنًا وتكاد الريح تُبدِّده
ما من أحدٍ يحوي علمًا إلا والعلم يُسوِّده
إنَّ الطيار سُليمان فوددتُ لوَ اني هُدهُده
لا يُثْوي نفسَ الحر سوى بيتٍ للعِزِّ يُشيده
يتباين عند مزاحمة عقل الإنسان ومحتده
تغريد الطير على فنن شعر في المشجر يُنشده

دائي قد أعضل يا نفسي وظلام الليل يشدده
قد طال الليل فغنيني «يا ليل الصبُّ متى غده»

(٨) الجهل والعلم

ألا إنَّ ليل الجهل أسودُ دامسُ وإنَّ نهار العلم أبيضُ شامسُ
تشق حياة ما لها من مدرِّب وتشقى بلاد ليس فيها مدارس
ومن لم يُحِطْ عِلْمًا بما قد أحاطه عداه الهدى أو أقلقته الهواجس
تنام بأمنٍ أمةٌ ملءَ جفنها لها العلم إن لم يسهر السيف حارس
وللعلم أيام هي السعد كله وأما ليالي الجهل فهي مناحس
وليس كمثل العلم للمال حافظٌ وليس كمثل الجهل للمال طامس
وإنَّ الذي تعلو به رتبة الفتى هو العلم فاقصد درسه لا الملابس
ونحن بعصر لم يكن فيه مفلحًا بأعماله إلا الذي هو دارس
إذا المرء — فاعلم — طال في العلم باعه تناول ما قد رامه وهو جالس
قضى أن يعيش الناس في الأرض ربُّهم وذو الجهل مرءوس وذو العلم رائس
ولولا ملاك العلم يهدي فريقه لأفسد أرضَ القاطنين الأبالس
إذا ما أقام العلمُ راية أمَّةٍ فليس لها حتى القيامة ناكس
وإن هو لم يسطعْ كبدرٍ سراجُه فأُقسم أن لا تستضيء المجالس
وأحسنُ شيخٍ للتلاميذ عارف بما هو في ذهن التلاميذ غارس
ستأتي ثمارًا يانعاتٍ عقولُهم إذا عولجت بالعلم تلك المغارس
كأنَّ لنا من عادة ساء حكما ولمَّا يُقبحْها إلى الشعب نابس
إذا خلق الثوب الذي يلبس الفتى فأخلق بأن يستبدل الثوبَ لابس

* * *

إلينا الْتفِتْ يومًا من الدهر وابتسِم بأوجُهنا يا عِلمُ فالجهل عابس
وما جاء ذكر العلم إلا وأنني على القلب من وجدٍ بكفيَّ حابس
ألم تَجرِ عفوًا في جوارك دجلةٌ فقل لي لماذا أنتَ يا حقل يابس
يلوح لعيني حيثُما أنا ناظرٌ معاهد علم في العراق دوارس

أقمنا إذ الأقوام جمعاء سارعوا بمنزلة فيها الرءوس نواكس
يهدد بغداد اختناق كأنما من الجهل قد سُدت عليها المنافس
إذا نحن لا نحمي الكناس بحكمة فإن ظباء الجهلتين فرائس
فيا قوم عافوا الجهل فهو جريمة وإن مصير المجرمين المحابس
ويا قوم من شرِّ الجهالات فلْنَخفْ فهنَّ لنا هن الذئاب النواهس

* * *

وما أنسَ لا أنسَ الرَّشيدَ وعهدَه إذ الأرض بين الرَّافدين فرادس
إذا العِين والآرام يمشين خلفه وما العين والآرام إلا الأوانس
لقد شقيت تلك البِقَاعُ وأهلها ولم تبقَ في بغداد تلك النفائس
فما اليوم هاتيك الثغور بواسم ولا اليوم هاتيك العيون نواعس
وليس على الأيام لي من ملامة ولكنَّما حظي هو المتقاعس
ألا أيها الشيخ الذي بات عاريًا تلفَّعْ فإن البرد في الليل قارس

* * *

لقد فتح الأهلون مدرسة لهم سواءٌ بها منهم غنيٌّ وبائس
فيا عينُ بعد اليوم أنتِ قريرة ويا قلبُ بعد اليوم ما أنت آيس
أمدرسةَ الأهل اطلعي في سمائه كشمسٍ فمن أنوارِك الشعب قابس
لقد طال ليلي في انتظارِك فأْذني بصادق فجرٍ أن تزول الحنادس
فأنتِ من المستنصرية خلفة وأطلال علم قد عفتها الروامس
وما أن بقومي ما يثبط عزمهم ولكن لشيطان الغرور وساوس

* * *

يريد أُناس فرقة الشعب جهدَهم فلا عطست باليمن تلك المعاطس
ونحن الأُلى ما فرَّق الدين بيننا وإن كثرت بعضَ الأوان الدسائس
فعشنا وعاشت من عصورٍ كثيرة جوامعنا في جنبهن الكنائس
ولا يعدم الإنسان طول حياته صديقًا يُواسي أو عدوًّا يعاكس
ولكننا عشنا جميعين أعصرًا كلانا أخو صدقٍ كلانا مؤانس
وإنَّا سَنَحْيا والعمائمُ عندنا لها حرمةٌ محمودة والقلانس
سنحيا نعم في وحدة عربية لها العلم نظَّام لها العدل سائس

ونغرس في قلب الشبيبة جرأةً على الصدق حبًّا أن تطيب الغرائس
تُساعدنا فيما نُحاول دولة مُعظمة ترعى علاها أشاوس

* * *

أقول لشعري أيها الشعر صُلْ وجُلْ فأنت بميدان الفصاحة فارس
أغاظك أنَّ الجهل في الناس جاهر يقول وأن العلم في الأُذْن هامس
يمارس شعري اليوم إصلاح أمة فلله شعري اليوم ماذا يمارس
ستحميك يا شعري فأنذر حكومةٌ تُجل ربوع العلم وهْي المدارس
حكومة عدلٍ مهَّد الأرضَ حكمها فلا البَرُّ موتور ولا البحر خانس
وليس لها في المغربين معارض وليس لها في المشرقين مشاكس

(٩) حسرات

أُرجِّي انصداع الليل والليلُ أسفعُ
وأنتظر الشِّعرى وقلبيَ موجع
فلما بدت من جانب الشرق تلمع
شكوت إلى الشعرى العبور حياتي
فلم تسمع الشعرى العبور شكاتي

* * *

شموس بأجواز الفضاء تدورُ
وأرض تجافي الشمس ثم تزور
وأكوام أحياءٍ هناك تمور
أرى حركاتٍ في الطبيعة جمةً
فأي قويٍّ أحدث الحركاتِ

* * *

حياة الفتى نورٌ وفي النور همة
لساعٍ وقد تقضي عليه ملمة
وما الموت إلا ظلمة مدلهمة

سينتقل الإنسان قد حان حينه
من النور في يومٍ إلى الظلماتِ

* * *

كلفت بليلى وهْي ذات جمال
فلازمتها عمرًا بغير منال
وزايلتها لا حامدًا لزيالي
نأتْ بيَ عن ليلى نوًى لا أريدها
ِفما لي إلى ليلى سوى اللفتات

* * *

سأفلتُ من أرض بها أنا موثقُ
وأحظى بصحبي في السماء وألحق
فقد أخذت نفسي من الجسم تزهق
هناك سماء ما تزال تجدُّ لي
منًى، وهنا أرض بها نكباتي

* * *

هي النفس أهدتها إلى ذُكاءُ
تُخبِّرني أنَّ السماء عزاء
وأن على الأرض البقاء شقاء
سماءٌ شقائي تحتها وسعادتي
وأرض حياتي فوقها ومماتي

* * *

يقول أناس إن عفراء تغضبُ
إذا أبصرت عينًا إليها تُصوَّب
فقلت لهم أنى فلا تتكذبوا
نظرت إلى عفراء عشرين مرة
فما غضبت عفراء من نظراتي

* * *

نعمتُ زمانًا قبل هذا التشتتِ
بعفراءَ إذ جادت وعفراءُ سلوتي
فلمَّا مضت عني إلى غير عودةٍ
«ظللتُ رِدائي فوق رأسِيَ قاعدًا»
«أعدُّ الحصى ما تنقضي عَبَراتي»

* * *

لقد فاتني أن أمنع الركب باذلًا
َإلى الجهد ما ينهاه من أن يُزايلا
ولكنني تاللهِ قد كنت جاهلًا
«تساقط نفسي كلَّ يوم وليلةٍ»
«ٍعلى إثر ما قد فاتها حسرات»

* * *

ألا أيها الشعب الكسول المضيعُ
تيقَّظْ إلى كم أنت في الجهل تهجع
وغيِّرْ من العادات ما ليس ينفع
فما القبح في خُلْق امرئ مثل حسنه
ولا سيئات الناس كالحسناتِ

* * *

تقدَّمْ وسارعْ فالذي يتأخرُ
يُلاقي هوانًا موتُه منه أيسر
فقد أبطأ الشعب الذي يتعثَّر
وأسرَعَ أقوامٌ وأبطأ غيرهم
ِوإبطاؤهم من كثرة العثرات

(١٠) جميل وبثين

قالها الشاعر يُخاطب زوجه، يوم أصابته المحنة على أثر ما نشره في «المؤيد» عن المرأة المسلمة.

أبثين إن أدنى العدوُّ حِمامي ... بمسدَّس يذكيه أو بحُسامِ
فتجلَّدي عند الرزية واحسبي ... أني اجتمعت إليك في الأحلام
والصبر أجدر إن ألمَّت نكبة ... بكريمةٍ ينمونها لكرام
أبثين إنْ أودى جميلك خابطًا ... بدمٍ له أُهريق فوق رغام
فتدرعي للخطب صبرًا وامسحي ... من أدمعٍ فوق الخدود سجام
أنا لستُ أوَّلَ هالكٍ في قومه ... يرجو تَقدُّمهم مع الأقوام
يأبى لهم هذا الجمود ولا يني ... يسعى ليُنقذهم من الأوهام
رُمْتُ الحياة لهم وراموا مقتلي ... شتان بين مرامهم ومرامي
ويل لـ «عبد الله» جالب نكبتي ... ويل له من حاملي الأقلام
أنا لست وحدي إن أمت رهن الثرى ... كم من كِرامٍ في التراب نيام
والشمس وهْي أجلُّ جِرم بازغ ... مقلوة أنوارها بظلام
عشنا زمانًا في بلهنية الرِّضَا ... مُتمتعين بألفة ووئام
فإذا قضيتُ فكل شيءٍ هالك ... وإليكِ أُهدي يا بثين سلامي
ولئن أعِشْ فسأنتهي من سقطتي ... وأقوم مُنتصبًا على الأقدام
لا تجزعي يا بثن إني واثق ... ببراءتي وعواقب الأيام

(١١) خطرات

في الكون بعد عصورٍ ... يكون ما لا يكونُ
هناك تصدق مني ... فيما يتم الظنون
سيرتقي العلم فوق ارْ ... تقائه والفنون
حتى تحار عقول ... فيما تراه العيون
وسوف يأتي زمانٌ ... تموتُ فيه المنون

تقنو الحياة خلودًا والمشكلات تهون
وللطبيعة في هـ ـذه الحياة شئون

* * *

إنَّ الصراحة تُغني ما ليس تُغني الرموز
أخو الحِجا قبل أن يحـ ـمل الأداة يروز
وعند من هو غرٌّ يجوز ما لا يجوز
كم جامع لكنوز يفنى وتبقى الكنوز
وقد تموت فتاة ولا تموت عجوز
لا تَجبُننَّ فليس الـ ـجبان شيئًا يحوز
إنا نعيش بعصر فيه الجسور يفوز

* * *

لقد مشيتُ بليل داجٍ بغير دليلِ
فما بعدت كثيرًا حتى ضللت سبيلي
من لي بماء براد به أبلُّ غليلي
طلبت شيئًا قليلًا فلم أفز بالقليل
وكم صحبت خليلًا فكان غير خليل
كل الأحبة أعدا ئي عند خطبٍ جليل
لا خير لي من بلادي وأسرتي وقبيلي

* * *

يا شعر أنت سماءٌ أطير فيها بفكري
طورًا أسف وطورًا أعلو كتحليق نسر
إن لم تُصوِّر شعوري فلستَ يا شعرُ شعري
من بعد موتي بحينٍ سيعلم القوم قدري
فقد وقفت حياتي لهم وأفنيت عمري
أودُّ أن تحفروا في جنب النواسي قبري
إنـي أمتُّ إليه وإن تأخر عصري

* * *

ليلى أطلِّي على العا شقين، ليلى أطلِّي
تَرَيْ أعزَّة قوم مطأطئين بِذُل
تَرَيْ صدورًا من الشو ق والصبابة تغلي
عِدِي وإن كان وعد الـ ـحبيب رهنًا بمطل
هل كان يُمكن أن لا يُحب مثلك مثلي
إني لأجلك يا ليـ ـلى عفت أرضي وأهلي
فأنتِ منذ حلفنا ماذا فعلتِ لأجلي

* * *

أبيت في الدار وحدي معاتبًا لخيالك
قد غرني أنه كا ن باسمًا كمثالك
لا تسألينيَ عما أصابني بعد ذلك
ما زلت أضمر حبًّا مناسبًا لجمالك
أبيع كل حياتي بساعةٍ من وصالك
إني بحُبك يا ليـ ـلى لا محالة هالك
فهل سأخطر يومًا إذا هلكتُ ببالك

* * *

حسبت أن انتهائي من الهوى كشروعي
وأن منه نزولي ميسَّر كطلوعي
لا ترجونَّ سلوًّا لي بعد هذا الولوع
لقد مشيت حثيثًا فلا يجوز رجوعي
قد هاج قلبيَ ليلًا ومِيض برقٍ لموع
يا برق إنك يا بر ق عارفٌ بنزوعي
فلابتسامك هذا علاقة بدموعي

(١٢) نفثات

لقد هاج ليل البين شجوي ولا غروا ... إذا هاج ليل البين من مغرم شجوا
إذا طلعت من خدرها الشمس في غد ... أطلت إليها من دجى ليلتي الشكوى
يرى الناس ما بي من الهوى من تعاسة ... فيرجون لي السلوى وأنَّى ليَ السلوى
سأبكي على تلك المنازل ساعة ... فقد مَرَّ لي عهدٌ بِجَانبها حلوا
طغى البحرُ في الليل البهيم لعاصف ... وقد كان قبل الريح إذ عصفت رهوا
ولا يعلم الصبُّ المُصارعُ للهوى ... أيقوى عليه أم عليه الهوى يقوى
لِيجتنِبِ الإنسانُ أوَّل سكرة ... فقد لا يلاقي بعد سكرته صحوا
ومن كان فيه غلة من صبابة ... فقد يشربُ الماء القراح ولا يروى
لقد كان قلبي قبل أن يهبط الهوى ... قرارة قلبي من عناء الهوى خلوا
وددت لوَ انَّ الحب يقسم مُنصفًا ... فيسلبني عضوًا ويترك لي عضوا
أرى سرحة الوادي مع الريح تنثني ... فهل سرحة الوادي التي تنثني نشوى

ومنها:

تهضمني دهري فلمَّا ذممته ... رماني بسهم في فؤادي وما أشوى
ألا ليت شعري والمنى تتبع المنى ... متى يبلغ الإنسان حاجته القصوى

(١٣) إلى أين تقصد

سريتَ تخوض الليلَ والليلُ أسودُ ... فيا أيها الساري إلى أين تقصدُ
أراك من الإدلاج تهبط واديًا ... وبعد قليلٍ من هبوطك تصعد
لعلَّك لا تدري بأنَّك جائزٌ ... شعابًا إليهن السعالي تردَّد
لعلك لا تدري بأنك والجٌ ... مخاوف فيهن الرَّدى يتهدَّد
لعلك لا تدري بأنك مُنتهٍ ... إلى غابة فيها الكواسر ترصد
أمامك في تلك الثنية هوَّة ... تعارض من يمشي إليها فتزرد
تثبَّط مقيمًا في مكانك وانتظر ... إلى الصبح إنَّ الصبح قد ليس يبعد
وإلا فعُد من قبل أن تشهد الرَّدى ... إلى حيثُ قد غادرت فالعَوْد أحمد

ومنها:

أراك شقيًّا في حياة حييتها ... متى أيُّها الإنسانُ قل ليَ تسعد
قسوتَ على الإنسان لما ملكتَه ... فهل أيها الإنسان قلبك جامد
وكم مشهد في الأرض يبتعث الأسى ... وما كضحايا العلم في الأرض مشهد
ذممتِ من الأيام يا نفس إنها ... تَشابه منها الأمسُ واليومُ والغد

ومن شعره:

إن أنجُ يا ليلى فرُبَّ فتًى نجا ... من كربة سوداء ذات لزام
أو كانت الأخرى وتلك مظنتي ... فعليكِ يا ليلى عليكِ سلامي

إن القلوب إذا غدت ... في الحب مترعة الحياضِ
فهناك شيء بالرسا ... لة بينها آتٍ وماضي
من ذا يسد على الصبا ... إن أسرعت طرق الرياض
كرهت سليمى أن ترى ... في لِمَّتي أثر البياض
إني كذلك يا سليمى ... عن بياضي غير راضي
لا شيء يفسد حكم قا ... نون الجماعة كالتغاضي
وإذا استكانت أمة ... فاحكم عليها بانقراض
وإذا الشعوب تخاصمت ... يومًا فإن السيف قاضي

وقال من قصيدة:

الأقوياء بكل أرضٍ قد قضَوْا ... أن لا يُراعى للضعيف حقوقُ
إن كذبوك يضيرهم تكذيبهم ... إياك أعني أيها الصديق

ومنها:

غرِّد بشعر منك في روضِ المنى ... روضُ المنى يا عندليب أنيقُ
أحمامة صدحت بأجرد قاحل ... هلَّا صدحت عليه وهو وريق
يا روض زهرك قد تغير لونه ... لا أنت أنت ولا الشقيق شقيق
لهفي على شعب كبير ماجد ... حرموه حكم الذات وهو خليق

(١٤) في خلوة الأجداث

نم بعيدًا في خلوة الأجداث ... من رغاء الخطوب والأحداث
نم مليًّا فإن نومك قبلًا ... في الحشايا ما كان غير حثاث
نم بها واترك النزاع مثارًا ... من جراء الأموال للوراث
أنت في القبر غير منزعجٍ من ... صخب فوقه ومن هثهاث
قد تشبثتَ عندما كنت حيًّا ... بحبالٍ من المنى أنكاث
عابرًا عرض البحرِ والبحرُ عجَّا ... جُ بأمواجه على الأرماث
من لرب الآمال قال غرورًا ... إنَّ تلك الحبالَ غير رثاث

ومنها:

علَّ ما يحثي من ترابٍ علينا ... بعض أجدادنا بكف الحاثي
لا سقى الغيث بعد موتي قبري ... ما لقبري نفع من الأغياث

ومنها:

اسقني شربة من الماء ترويـ ... ـني فإني حران أشكو لهاثي
قد تزوجتها على الحب دنيا ... فلماذا طلقتها بالثلاث

ومنها:

إنما الموت خير ما خلفته لبنيها الآباءُ من ميراث

(١٥) مشهد السماء

أنتِ مما تُبدينه من صفاءِ يا سماءَ العراق خيرُ سماءِ
انظُريني فقد أَحبَّكِ قلبي وأحبتك مثله حوبائي
انظُريني إذا العنادل غنت سحرًا فوق منكب الشجراء
انظُريني ليلًا إذا الشمس غابت بعيون النجوم في الظلماء
انظُريني إذا الخليقة أخفت ما لها فوق الأرض من ضوضاء
انظُريني إذا الطبيعة أصغت في الدياجي إلى خرير الماء
انظُريني إذا الحوادث رامت هدأة في الصباح أو في المساء
انظُريني إذا الخريف تراءى آسيًا من أشجاره الجرداء
انظُريني إذا غدا الرَّوض خلوًا من زهورٍ أو زهرُه من رواء
انظُريني من الفروج خلال السُّـ ـحْب سرًا بعينكِ الزرقاء
انظُريني إذا نظرتُ بعيني وهي شكري إليكِ عند البكاء

(١٦) حول العِلم

العلم ثروة أمَّة ويسارُ والجهل حرمان لها وبوارُ
يا علم قد كانت ربوعك جنَّة غنَّاء تجري تحتها الأنهار
من بعد ما كانت ربوعك جنَّة يا علم عمَّ ربوعَك الإقفار
يا علم غيَّرك الزَّمان بصرفه لا أنت أنت ولا الديار ديار
يا علم يا كُلَّ الهداية للورى صلى عليك الله والأبرار
بالعلم قد طالت فأدركَت المنى أيدٍ عن الغرض الرفيع قصار
سيموت رب العلم من مرضٍ به وتعيش دهرًا بعده الآثار

ومنها:

إن التوقف في زمانٍ حازمٍ ... فيهِ تقدَّمت الشعوبُ لَعار
ما كان يفلح في شئونٍ حياته ... شعبٌ على خطأٍ له استمرار
من راح يمشي في طريقٍ مستوٍ ... أَمِنَ العثارَ فما هناك عثار
أخذت تفضِّل أن تموت عزيزة ... بعض النفوس لأنهن كبار
لا توقظنِّي إن هجعت من الكرى ... حتى تُغرِّد في الصباح هزار

ومنها:

ألممتُ بالمستنصرية زائرًا ... أطلالها والجامعاتُ تزار
دارٌ لَعمري كان فيها مرَّة ... أهل وأخرى ما بها ديَّار
ما إن تبالى الدَّهر بعد خرابها ... وقفوا عليها ساعةً أم ساروا
ساءلتها مستفهمًا عن أهلها ... فوددت لو تتكلم الأحجار
إن الحمى من بعدهم لا ليله ... ليل ولا سُمَّاره سُمَّار
أخذ الفتى لمَّا تذكَّر عهده ... يبكي فتقرأ دمعَه الأنظار

ومنها:

حاولت أن ألقى الحقيقة جهرة ... فإذا الحقيقة دونها أستار
العقل سارٍ تارة ومُؤَوب ... والشك ليل واليقين نهار
ما شاهدت عيناي مؤثر غيره ... إلا وكان لنفسه الإيثار
لو كان للإنسان رأيٌ صَائِبٌ ... لأتت بما قد شاءه الأقدار
يا قوم قد وعر الطريق أمامكم ... فإذا عزمتم تسهل الأوعار

ومنها:

إنا بعصر قد أبان رُقِيه ... والناس قد غاصوا البحار وطاروا
قد عاتبوني من جهالتهم على ... ما قد أتيت كأنني مُختار
ما جئت أستبق الحياة مسارعًا ... لو كان لي قبل المجيء خيار

في الروض من قبل الخريف وبرده ذبلت على أفنانها الأزهار
إن هدَّم العربي حوض جدوده سخطت عليهِ يعرب ونزار
لا يرفع الوطن العزيز سوى امرئ حرٍّ على الوطن العزيز يغار
يا حق قد دفنوك حيًّا في الثرى يوم القضاء «فعادني استعبار»
قد ساءني من بعد دفنك أنني ما زرت قبرك «والحبيب يزار»

ومن شعره:

لعلَّ الفتى إذ نام في قبره الفتى وأطبق جفنًا يستريحُ لدى الغمضِ
وما كان تحت الأرض يذكر ميِّت لياليَه إذ كان يمشي على الأرض

لقد صح أن الضعف ذُلٌّ لأهله وأن على الأرض القَوِي مسيطر
وأن اقتحام الهول أقصر مسلك إلى المجد إلا أنه متوعر

قد أظهروا أنهم في كل ما فعلوا يدافعون عن الأوطان والدين
وفي السياسة للألفاظ مقدرة ليست على سامعيها للبراهين

قد كنت أرجو في الرءوس جراءة فإذا الرءوس تلوذ بالأذناب
وجدوا طريقًا للتقدم صالحًا فمشَوْا به لكن إلى الأعقاب

قد خبرتُ الوجود في كل حال فوجدتُ الزَّمان في السكنات
قد بدا لي أنَّ الزَّمان سكون بين ما للأجسام من حركات
ووجدتُ امتداد كل مكين حاصلًا من مكانه والجهات
ووجدت الكهيربات بأحشا ء الخلايا مولدات الحياة

أرى الناس فوق الأرض إلا أقلهم قد اختلفوا سعيًا ورأيًا وإحساسا
ومن قاس هذا الناس فيما يرَوْنه على نفسه يومًا فما عرف الناسا

ابلُ الرجال بكل أرض أوَّلا ثم انتخب منهم على استحقاق
عاشر أناسًا بالذكاء تميَّزوا واختر صديقك من ذوي الأخلاق

(١٧) الحياة والموت

إن الحياة سعادة وشقاءُ يتعاقبان وضحكة وبكاءُ
في قلت من يحيا على ضيقٍ به يأسٌ يُخيِّمُ تارة ورجاء
لِلَّيل صبح سوف يُسفر باديًا بعد الظَّلام وللنَّهار مساء
يخشى الحريص على بقاء حياته يومًا به يأتي الحياة فناء
لو تمَّ من بعد الخفاء ظهروه ما غمَّه بعد الظهور خفاء

ومنها:

لا حيَّ إلا والمنون تنوشه ما للحياة من المنون وقاء
للموت في طلب الحياة على الورى في كل يومٍ غارةٌ شعواء

ومنها:

وإذا الليالي غيرت سعد امرئ يخفى الصديق وتظهر الأعداء
ولقد تزول الحرب عن أرضٍ بها شبَّت وتبقى فوقها الأشلاء
جرت الدُّموع على دماءٍ قد جرت وجرت على تلك الدموع دماء
تبغي المدافع هدم أيَّة قرية فلها على شطِّ الفرات رغاء
ورأيت في الصبح الشيوخ جميعهم يدعون لو نفع الشيوخ دعاء

لقد علمت لوَ انَّ العلم ينفعني من طول ما جئتُ قبلًا أدرس الناسا
أنَّ الجماعة دون الفرد معرفة وفوقه بصروف الدهر إحساسا

فكرة السبق قد بنت كل مجدٍ وسؤددِ
والمساواة قوَّضت كل مجدٍ مُشيد

(١٨) السيف

رأيت السيف قد ملك الشعوبا ... ولم أرَ أنه ملك القلوبا
رأيت له محاسن فائقات ... كما أني رأيتُ له عيوبا
متى ما مسَّ حُرَّ الوجه سيف ... رأيت مكانه منه خضيبا
وإن له جروحًا مبقيات ... إذا الْتأمت بصاحبها ندوبا
وكل حكومة بالسيف تقضي ... فإنَّ أمامها يومًا عصيبا
وليس يدوم للأَعلَيْن عزٌّ ... وإنَّ لكل طالعة غروبا
إذا رجع الخصوم إلى التقاضي ... فإنَّ السيف أكبرهم ذنوبًا
لقد أبدى الردى عن ناجذيه ... فكان هناك منظره رهيبا
إذا سافرت عن دنياك يومًا ... فما لك بعد ذلك أن تئُوبا

وإذا مرَّت الحياة على شكـ ... ـلٍ بسيطٍ فما بها من سرورِ
ليس طول الحياة في عدد الأعـ ... ـوام بل في تنوُّعات الشعور

ليس شيء يضر بالناس كالطيـ ... ـش إذا دام دافعًا للحياةِ
رُبَّ أخلاقٍ أُحرِزت في عصور ... فأُضيعتْ بالطيش في سنوات

لا يفوق الإنسانُ في كونه الحيـ ... ـوانَ إلا بالعقل والأخلاقِ
أثبت العلم باكتشافاته للنَّـ ... ـاس أنَّ الإنسان قرد راقي

كان يهوى ليلى ابنُ عمٍّ لليلى ... فابتغاها من أهلها كخطيب
ولقد أخبروه من بعد حين ... أن ليلى قد زُوِّجت بغريب

لقد شخصتْ نحو السماء من الأسى ... عيونٌ بوجه الأرض ما إن رأت عدلا
وما زفرات الحزن إلا رسائلٌ ... مِنَ الملأ الأدنى إلى الملأ الأعلى

معروف الرصافي

معروف الرصافي.

ألمع جوهرةٍ في تاج الأدب العصري، مُحيي الشعر الحزين بقريضه الممتاز، لو درس من العلوم الحديثة بقدر ما أوتي من الشاعرية، لما رأينا الشعر العربي على ما هو عليه الآن، وإن رجع إليه الفضل في إيصال شعرنا العصري إلى مرتبته الرفيعة الحاضرة.

وعندي أن أفضل ما يُنعت به الأستاذ الرصافي «الشاعر»، لولا أنَّ هذه الكلمة قد ابتذلتها الألسنة والأقلام، فألصقتها بكل من جمع اللفظة إلى أختها وربطها بوزنٍ وقافية، فلنُسمِّه «الشاعر العبقري»، ولا إخال أن في السويداء رجلًا ينازعه هذا اللقب بحق، وإن نازعه إياه كثير منهم بالباطل.

عرفت هذا النابغة بشعره قبل أن عرفته بشخصه، فكنتُ أتخيله فتًى نحيفًا خفيف الحركة كثير الكلام، حتى أسعدني الحظ بلقياه ومرافقته زمنًا، فرأيتُ فيه البطل في هيكله ومهابته، كما عهدته خنذيذًا بين الشعراء.

يُحب الصراحة في الفكر والقول، والحرية في العمل، أبيٌّ مِقدام لا يعرف التساهل في مواقف الإباء، ولا يستخذي لضيم أو يستنيم لحادثة، ثابت في مبدئه، ترى الانقباض باديًا على محياه شارة شممه وعزة نفسه.

هو أوَّل شاعرٍ جاء قومه العرب بما يُحبون، وصارحهم بما لا يُحبون، لم يعرف للتقليد أو الخضوع للبيئة معنًى، لا في صناعته ولا أفكاره، كان من شعره صيحاتٌ عملتْ على تقويض معالم الاستبداد الحميدي، كما أنَّه ما لبث بعد تحية الدستور العثماني واستبشاره به أن رجع يُنعِي على القوم تخاذلهم لما شام فيهم الرجعية.

أُقدس فيه صفة لو اتَّصف بها شعراء الشرق كلهم لما عجزوا عن أن يُرجعوا إلى مطلع الشمس روعته وإشراقه، وهو أنه يُحس ويشعر فيقول الشعر؛ لذلك تجيء أبياته وقصائده موجعة نظرًا إلى الحقيقة التي فيها.

هذا وإن ما طُبع ونُشِر مِن نَظم الأستاذ الرصافي لا يدل على منزلته الفكرية، بل إنَّ له قصائدَ ومقطوعاتٍ لم تُطبع وتُذَع بعد، سيكون نصيبها الخلود في أدب الضاد لما حوته من المصارحة بالحقائق الاجتماعية المُرَّة، مما لم يتعوده الشعر العربي قبله.

وقد رأيته في مواقف عديدة يترجم عن شعور أمته، ويَنظم لها في وصف حالتها شعرًا تتخاطفه الأسماع والخواطر، وتتناقله الألسنة فتتحدث به المجالس وتصفق لتلاوته، مع أنَّ ما فيه يُدمي القلوب ويستنزف العَبَرات.

يَنظم الأبيات في خلوته، ثم لا تلبثُ أن تراها ذائعة في البلد بعد يومٍ أو يومين، وهو الشاعر العربي الوحيد الذي يتناقل قومُه منظوماتِه ويتناسخونها قبل الطبع.

وإذا رأينا بعض الوزانين يتكلفون القول تكلفًا، لم نرَ كمعروف يترجم بشعره عما طُبع عليه من شيم، ولا سالت نفس شاعرٍ بما سالت به نفس الرصافي الرقيقة الحساسة، على أسَلات الألسنة التي تنشد أبياته.

امتاز الأستاذ الرصافي بثلاث خصالٍ رفعته إلى هذا المقام:

أولاها: «شعره الحزين»؛ فهو الذي أحيا «التراجيديا» في أدبنا الحديث بهذا الشكل الرائع، وقد ساعده على الإبداع في المسلك حنانه المتناهي، ورقة عاطفته، تلك العاطفة المجسمة التي لا تعرف لها مستقرًّا غير أبيات هذا الشاعر العبقري.

والخصلة الثانية: «نظمه الاجتماعي»؛ فقد عرفناه مفكرًا نشيطًا يدرس حياة المجتمع فيُدرك نقائصه، ويَحبس نبضه، فيُشير إلى مواطن النقص والوهن في مُجتمعه، مشنِّعًا بالسيئات ما شاء تفننه، واصفًا للداء أنجع دواء؛ فهو الشاعر المُصلح الذي يعمل بقصائده عمل الفيلسوف الاجتماعي في مقالاته وكتبه، ولقد أجمعت الصحافة العربية يوم اطَّلعت على ديوانه الأول على أنَّ «ابن الرصافة» مبتكر طريقة النظم الاجتماعي، وفارس الميدان فيه.

أما الخصلة الثالثة التي تفضل قريضه كله فهي: «شعره القصصي أو الروائي»؛ فقد سبق شاعرنا في هذا الباب صاغة القوافي من مُعاصريه كلهم، وانفرد بينهم بهذا الأسلوب الفتان، وما حواه من الوصف الدقيق، والتعبير الرَّقيق، وبراعة الدِّيباجة، واستفزاز الشعور، وتحريك العواطف، إلى غيرها من صفات الأدب السامي، ولا يدرك معنى هذا القول إلا من قرأ «أم اليتيم» و«اليتيم في العيد» و«المطلقة»، وأمثالها من بدائعه.

ونختم كلمتنا عن المعروف بقول رجلين فيه من فضلاء الرجال، أولهما عالم وأديب كبير هو المرحوم محيي الدين الخياط، قال:

«لو كان أسلوب الرصافي كلفظه، وشعره كله كوصفه، لما علا عليه شاعر في هذا العصر.»

والثاني هو إبراهيم سليم نجار صاحب جريدة «لسان العرب» المقدسية، أعرَف صحافي في الشئون العربية، قال في جريدته:

> ولقد بنى لنا الرصافي صروحًا من المجد بأبياته الخالدات، وآياته البينات، فكم له من نفثات دونهن السحر، وكم له من وقفات ووثبات عاد على قضيتنا منها بجميل الأثر وطيب الذكر.

وُلد معروف الرصافي في بغداد سنة ١٢٩٢ هجرية، في أسرة مُتوسطة الحال، أمَّا أبوه فمن عشيرة كردية تقطن في نواحي كركوك تُسمَّى الجبارة، وتدَّعي هذه العشيرة أنها علوية النسب، ويُسلم لها جميع أهالي كردستان بذلك، فإن صح ادعاؤها فهي عربية الأصل، وأمَّا أمه فمن عشيرة القراغول، وهم بطن من شمر القاطنين في سهول العراق.

درس المترجم مبادئ العلوم الابتدائية في كتاتيب بغداد ثم دخل المدرسة الرشدية العسكرية، وكانت هذه المدرسة الوحيدة يومذاك في مدينة السلام، فمكث فيها ثلاث سنوات ارتقى إلى الصف الثالث، وفي السنة الرابعة لم ينجح في امتحان الصف الرابع، فحمله ذلك على ترك المدرسة المذكورة، وأخذ بعد ذلك يختلف إلى المدارس العلمية في بغداد طلبًا للعلم؛ فدرس العلوم العربية وغيرها من سائر العلوم الإسلامية عند العلامة محمود شكري الآلوسي الشهير،[1] وغيره من علماء بغداد، غير أنَّ تردده إلى الأستاذ المشار إليه كان أكثر؛ فقد لازم الدرس عنده زهاء اثنتي عشرة سنة، صار في أثنائها مُعلمًا في بعض المدارس الابتدائية الرسمية في مدينة المنصور، ليستعين في حياته المادية — بما يتقاضى من الرَّاتب الزهيد فيها — على مواصلة طلب العلم، ثم فرغت وظيفة التدريس في قضاء مندلي من أعمال بغداد، فوضعتها الحكومة في المسابقة بالامتحان، وكان طالبو هذه الوظيفة أحد عشر رجلًا، بينهم الأستاذ الرصافي، الذي كان الفوز عليهم نصيبَه في الامتحان، فعُين مدرسًا للقضاء المذكور، غير أنه قبل استلامه زمام وظيفته رغَّب إليه مدير المعارف في بغداد بإيعازٍ من واليها نامق باشا أن يتنازل عن التدريس في القضاء المذكور على أن يعتاض عنه بتدريس آداب اللغة العربية في المدرسة الإعدادية الرسمية في بغداد براتب لا يقل عن راتب التدريس في القضاء المذكور، فقَبِلَ ذلك وظل في عاصمة العراق يُدرِّس العربية في المدرسة المذكورة إلى إعلان الدستور العثماني.

وقد أخذ الأستاذ الشاعر من أوَّل نشأته يحفظ الشعر ويعالج النظم، وهو مَطبوع عليه، حتى أحرزت قصائده استحسانًا عظيمًا في أندية الأدب هنا وهناك، وتفاءل قُراء شعره بنبوغه في الفن، وأمَّلوا له مُستقبلًا كبيرًا في هذا الميدان، وكان ينظم القصائد الحماسية والاجتماعية، ويكشف بها سوءات الحكم، وسيف الاستبداد الحميدي مُصْلَت فوق الرِّقاب، وهو يبعثُ بقصائده هذه إلى مصر، وتُطبع هناك، وتعمل تأثيرها بانتشارها في الصحف والمجلات، وبالخاصة في مجلة المقتبس وجريدة المؤيد؛ مما أكسب صاحبها ذكرًا نابهًا في العالم العربي كله.

وقد قام يتغنَّى بالحرية جهارًا بعد أن كان تَغنِّيه بها في الخفاء عُقيب أن أفاض الدستور على بلاد السلطنة العثمانية أنواره، وشرع يُنشد قصائده الأبكار في الحفلات الكبرى، ويُلقي الخطب الحسان في نهضة الأمة، وحثها على التقدُّم والفلاح.

[1] راجع «قسم المنثور» من كتابنا هذا تجد ترجمة الأستاذ الآلوسي، وذكر تآليفه ونخبة من آثاره.

وفي هذه الأثناء طلب صاحب جريدة «إقدام» التركية الشهيرة إلى المترجم السفر إلى فروق للتحرير في جريدة عربية راقية باسم «الإقدام» تكون بجانب «إقدام» التركية، لكن المشار إليه عدل عن فكرة إصدار الجريدة العربية بعد أن وصل الأستاذ الرصافي القسطنطينية؛ فبقي هناك بضعة أشهر شهد في خلالها واقعة «٣١ مارت» الشهيرة، وذهب في هذه الأثناء إلى سلانيك للنزهة، وبقي فيها شهرًا، ثم قفل راجعًا إلى إستانبول، وعاد منها إلى محطة بغداد، وفي رجوعه أحوجته الدراهم لنفقات السفر وهو في بيروت؛ فابتاع محمد جمال صاحب المكتبة الأهلية فيها مجموعة قصائده، التي جمعها العالم الفاضل المرحوم محيي الدين الخياط في ديوان أصدرته المكتبة المذكورة باسم «ديوان الرصافي»، كان له حجة كبرى في عالم الأدب، وكتبت عنه الصحف والمجلات وكبار الأدباء الفصول الضافية، نخص منها بالذِّكر مقالة بديعة في «الشعر العربي والرصافي»، للأديب الكبير الأستاذ عبد القادر المغربي، ومقالة ثانية ممتعة كتبها البحاثة المفضال الأب لويس شيخو اليسوعي، في مجلة «المشرق» البيروتية، إلى غيرهما مما أثبت في الجزء الثاني من ديوانه.

وبعد أن عاد الأستاذ الشاعر إلى بغداد بشهر، وردته برقية من أصحابه في الآستانة، تنبؤُ بتعيينه مُدرسًا للغة العربية في المدرسة الملكية العالية، والتحرير في جريدة عربية باسم «سبيل الرشاد»، تَصدر هناك لمديرها المسئول عبيد الله مبعوث آيدين، فوصل إلى دار الخلافة، واستلم وظيفته وظل يُحرِّر في تلك الجريدة نحو سنة، وكان يُدرِّس كذلك الآداب العربية في مدرسة الواعظين التابعة لوزارة الأوقاف، وقد طُبعت مُحاضرات المترجم التي ألقاها في هذه المدرسة عن الخطابة عند العرب في كتابٍ صدر في فروق بعنوان: «نفح الطيب في الخطابة والخطيب»، كما أنَّ مجلة «المنتدى الأدبي» نشرت شيئًا من محاضراته في الأدب والشعر.

وانتُخب أخيرًا مبعوثًا عن المنتفق في المجلس النيابي العثماني، حتى جاءت الحرب العُظمى، وقد تزوَّج في الآستانة، ولم يعِشْ له ولد، وأتقن مدة إقامته في العاصمة العُثمانية اللغة التركية التي تعلم مبادئها في مسقط رأسه، ورجع الأستاذ الرصافي بعد الهدنة إلى الشام، في عهد حكومتها العربية، فلم تُسنِد إليه منصبًا يليق بمقامه العلمي والأدبي، لِما عُرف به من الإباء والترفُّع عن التذلل لمن بأيديهم الحَل والعَقد، وبعد أن قَضَى هذا الأديب الكبير في دمشق مُدَّةً عَانى فيها ألم الحاجة، في حين كانت السلطة هناك تفرق على أعوانها الذهب الإبريز من غير حساب، استُدعي من القدس الشريف لتعليم الآداب العربية في دار المعلمين فيها، بإشارة أحد أصحابه الفُضلاء هناك؛ فغادر الشام إلى أورشليم، وعاش في منصبه الجديد عيشة رضية.

وقد أقامت له الكلية الإنكليزية حفلة تكريمية شائقة اشترك فيها كبار أدباء فلسطين كلهم، وأطنبت الجرائد في وصفها إطنابًا دلَّ على تقدير القوم لنابغنا، وبعد أن تألفت الحكومة الوطنية المؤقتة في العراق سنة ١٩٢١، طُلب إلى الأستاذ الرصافي أن يقدم إلى موطنه العراق لحاجة البلاد إلى رجالها المفكرين؛ فغادر القدس مشيَّعًا بتكريم واحترام، وقد عُين بعد قدومه إلى العراق نائبًا لرئيس لجنة الترجمة والتعريب في وزارة المعارف، وهو المنصب الذي يشغله حتى كتابة هذه السطور.

اشتغل الشاعر الكبير بمؤلفاتٍ عدةٍ ثمينةٍ حسبما تيسَّر له من أوقات الفراغ، واجتمع لديه من أشعاره الرَّاقية مجموعة كبيرة طُبِع قسم منها في ديوانه الأول، وما تبقى أُودع ديوانه الثاني غير المطبوع، وها نحن ذاكرون مؤلفاته مبتدئين بالدواوين:

(١) ديوان الرصافي (الجزء الأول): يحوي نُخبة ما نظمه الأستاذ الرصافي من أول عهده بقرض الشعر حتى سنة ١٩١٠، وقد طُبع في بيروت سنة ١٩١٠، ولقي رواجًا عظيمًا بحيثُ كادت أن تنفد نسخه في مدة قصيرة، وهو في أبواب متنوعة يغلب عليها الاجتماع والوصف والقصص.

(٢) ديوان الرصافي (الجزء الثاني): يتضمن ما نظمه شاعرنا العبقري من عهد طبع ديوانه إلى هذا اليوم، ويغلب على منظومات هذا الديوان المواضيع السياسية والاجتماعية. وللأستاذ غير هذين الديوانين مجموعة من القصائد والمقطعات التي لم تُنشر لما فيها من الحقائق التي يؤلم القومَ إعلانُها.

(٣) رواية الرؤيا: ترجم الرصافي هذه الرواية عن نامق كمال الشاعر التركي الشهير، وهي أوَّل أثر نثري له، وطُبعت في بغداد سنة ١٩٠٩.

(٤) دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة: طُبع في الآستانة سنة ١٣٣١، وضمنه ذكر الكلمات العربية المستعلمة في اللسان التركي.

(٥) نفح الطيب في الخطابة والخطيب: مجموعة محاضراته التي ألقاها على طلبة مدرسة الواعظين في القسطنطينية، بموضوع الخطابة والخطباء عند العرب قديمًا وحديثًا، طُبع في أول سنة ١٩١٥.

(٦) الأناشيد المدرسية: وضع المترجم طائفة من الأناشيد الوطنية والأدبية التي يتغنَّى بها طلبة المدارس، جمعها خليل طوطح مدير دار المعلمين في القدس، وضبط أنغامها بالنوتة الإفرنجية، وطبعها هناك سنة ١٩٢٠.

(٧) محاضرات الأدب العربي (جزءان): ألقى الأستاذ الرصافي صيف ١٩٢١ محاضراتٍ نفيسةً في الأدب العربي وتاريخه على معلمي المدارس في بغداد، فجمع مؤلف هذا الكتاب هذه المحاضرات، وطبعها في بغداد سنة ١٩٢٢، وقد جمع كذلك مجموعة محاضراته في السنة التالية في هذا، وستُطبع قريبًا في جزء ثانٍ.

(٨) كتاب الآلة والأداة: هو كتاب ممتع وضعه صاحب الترجمة في أسماء الآلات والأدوات التي يستعملها الإنسان، وقد أودعه طائفة كبرى من الألفاظ الحديثة، وقدم عليه مُقدمة نفيسة في التعريب والاشتقاق، أثبت فيها رأيه الخاص في هذا الباب (جاهز للطبع).

(٩) دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق: ضمَّنه بحثًا مستفيضًا عن اللغة العامية بالعراق، وقواعدها، وآدابها، وأمثالها ... إلخ، وهو أطول ما كتب في هذا الباب، ولا يزال مخطوطًا.

هذه مؤلفاته، وهو يروم وضع كتاب خطير في وصف حالة المسلمين اليوم.

وفيما يلي نبذة من شعره:

نحن والماضي

عهدتك شاعرَ العرب المجيدا ... فما لك لا تطارحنا النشيدا
فنحن إليك بالأسماع نُصغي ... فهل لك أن تُفيد فتستفيدا
بشعرٍ لا تزال تنوط منه ... بجيد بدائع الدنيا عقودا
إذا أنشدْتَه الحسناءَ تاهت ... كأنْ قلَّدْتَها درًّا فريدا
وأنت إذا قرعت به عبيدًا ... رددت إلى الحرار به العبيدا
ولو تستنهض الجبناء يومًا ... به لتقحَّموا الهيجا أُسودا
ولو كرَّرته للقوم أَلفًا ... لأقسم سامعون بأن تُعيدا
وكم تهتزُّ أعطاف المعالي ... إذا ما قلتَ قافية شرودا
فلو أنشدتَنا في الفخر شعرًا ... تَذكَّرنا به العهد البعيدا
تذكرنا الأوائل كيف سادوا ... وكيف تبوعوا الشرف المديدا

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحًا إليَّ إذ ارتجلتُ له القصيدا
أجلْ، إن القبائل من معد علَوْا فتسنَّموا المجد المجيدا
وإن لهاشم في الدَّهر مجدًا بناه لها الذي هشم الثريدا
ومذ قام «ابن عبد الله» فيهم أقام لكل مكرُمة عمودا
وأنهضهم إلى الشرف المُعلَّى وكانوا عنه قبلئذٍ قعودا
فأصبح واريًا زند المعالي وقبلًا كان مقدمه صلودا
فهم فتحوا البلاد ودوَّخوها وقادوا في معاركها الجنودا
وهم كانوا أشدَّ الناس بأسًا وأمنعَ جانبًا وأعمَّ جودا
وأرجحَهم لدى الجُلَّى حلومًا وأصلبَهم لدى الغمرات عودا
ولكن أيها العربي إني أراك لغير ما يُجدي مُريدا
وما يجدي افتخارك بالأوالي إذا لم تفتخر فخرًا جديدا

* * *

أرى مستقبل الأيام أولى بمطمح من يُحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصدَ غيرُ ساعٍ يُرَدِّد في غدٍ نظرًا سديدا
فوجِّهْ وجهَ عزمك نحو آتٍ ولا تلفت إلى الماضين جيدا
وهل إن كان حاضرنا شقيًّا نسودُ بكون ماضينا سعيدا؟
تقدم أيها العربي شوطًا فإنَّ أمامك العيشَ الرغيدا
وأسِّس من بنائك كل مجدٍ طريف واترك المجد التليدا
فشرُّ العالمين ذوو خمولٍ إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسبًا جديدًا
تراه إذا ادَّعى في الناس فخرًا تقيم له مكارمه الشهودا
فدعني والفخار بمجد قومٍ مضى الزَّمن القديم بهم حميدا
قد ابتسمت وجوه الدَّهر بيضًا لهم ورأيننا فعبسن سودا
وقد عهدوا لنا بتراث ملك أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادةً في كل أرضٍ وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجهل خيَّم في بلادٍ رأيت أُسودها مُسخت قرودا

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في بُرَحاءِ ... يعيشون في ذلٍّ به وشقاءِ
لقد حكَّموا العادات حتى غدت لهم ... بمنزلة الأقياد للأسراء
إذا تختبرْهم في الحياة تجدْ لهم ... حياة تخطَّت خطة السعداء
وما ذاك إلا أنهم في أمورهم ... أبَوْا أن يسيروا سيرة العقلاء
لقد غمَّطوا حق النِّساء فشدَّدوا ... عليهن في حبس وطول ثواء
وقد ألزموهنَّ الحجاب وأنكروا ... عليهن إلا خرجة بغطاء
أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم ... يغارون من نور به وهواء
قد انتبذوا عنهن في العيش جانبًا ... فما هنَّ في أمر من الخُلطاء
وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدنا ... لغير قرار في البيوت وباء
فما هنَّ إلا متعة من متاعهم ... وإن صِنَّ عن بيعٍ لهم وشراء
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا ... بما فعلوا من ألْأَم اللُّؤَماء
ولو أنهم أبقَوْا لهنَّ كرامة ... لكانوا بما أبقَوْا من الكرماء
ألم ترَهُم أمسَوْا عبيدًا لأنهم ... على الذُّل شبُّوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم ... تحمُّلُ جور الساسة الغرباء
فيا قوم إن شئتم بقاءً فنازعوا ... سواكم من الأقوام حبل بقاء
أيسعد محياكم بغير نسائكم ... وهل سعدت أرض بغير سماء
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح ... تُمثِّل حالَي عزةٍ وإباء
ولكن عارًا إن تزيَّا رجالكم ... على مسرح التمثيل زيَّ نساء

* * *

أقول لأهل الشرق قول مؤنِّب ... وإن كان قولي مسخط السفهاء
ألا إنَّ داء الشرق من كبرائه ... فبُعدًا لهم في الشرق من كبراء
وأقبَح جهلٍ من بني الشرق أنهم ... يُسمُّون أهل الجهل بالعلماء
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم ... فقد يدَّعيه أجهل الجهلاء
لو اقتصَّ رب العلم للعلم منهمُ ... لصبَّ عليهم منه سوط بلاء
ولَاستأصل الموت الوحيُّ نفوسهم ... ونادى عليهم مؤذنًا بفناء
ولكنَّ حلم الله أبقى عليهم ... فعاشوا ولو في ذلةٍ وشقاء

لـقـد مـزَّقـوا أحـكـام كـل ديـانـة وخـاطـوا لـهـم مـنـهـا ثـيـاب ريـاء
ومـا جـعـلـوا الأديـان إلَّا ذريـعـة إلـى كـل شـغْـبٍ بـيـنـهـم وعـداء
فـمـا عـلـمـاء الـجـهـل إلَّا مـسـاقـم رمـت جـهـلاء الـعـلـم بـالـقُـوَبـاء

* * *

ألا يا شباب القوم إني إلى العلى لَداعٍ فهل مَن يستجيب دعائي
أما آن للأوطان أن تنهضوا بها لإدراك مـجـد وابـتـغـاء عـلاء
فقد بُحَّ صوتي واستشاطت جوانحي وقلَّ اصطباري واستطال بكائي
على أنَّ لي فيكم رجاءً وإن يكن من اليأس مسدودًا طريقُ رجائي
وما أنا في وادي الخيال بِهائمٍ وإن كنت معدودًا من الشعراء

أنا والشعر

أرى الشعر أحيانًا يجيش بخاطري ويبذل ما قد عزَّ لي من مصونهِ
ويسكن أحيانًا فأُشجى وإنَّما تحرُّكُ شجوي ناشئٌ من سكونه
وقد أتوَخَّى الهزل منه مُجاريًا لدهر أراه مُوغلًا في مجونه
ولكنَّ نفسي وهْي نفس حزينة تميل إلى المشجي لها من حزينه
وقد علم الراوون شعري بأنَّهم إذا أنشدوه أُطربوا بلحونه
وإني إذا استنبطته من قريحتي شفيت صدى الرَّاوي ببرد مَعينه
وإني على علمٍ طويت سهوله ولم أتخيَّر خابطًا في حزونه
وإني لمحَّاصٌ له بسليقة أبت غثَّه واستوثقت من سمينه
وهل يخطر الشعر الرَّكيك بخاطري إذا كان في طوعي اختشاب متينه
ألا لا اهتدت بالشعر يومًا هواجسي إذا هي لم تنزع إلى مستبينه
ولا غصتُ في بحر القريض مخاطرًا إذا لم أفزْ من دُرِّه بثمينه
على أنَّ لي طبعًا لبيقًا بوشيه نزوعًا إلى أبكاره دون عُونه
إذا انتظمت أبياته في قصائدي ترى كل بيت مُمْسِكا بقرينه
وما كان روح الشعر يومًا لتُجتنى بغير اليد الطولى ثمارُ غصونه
ولم يستقد إلا لذي ألمعيَّة يكونُ كرأي العين رجم ظنونه

وإنـيَ قـد مـارسـتـه بـفـطـانـة ... يـلـوح سـنـاهـا غـرَّة فـي جـبـيـنـه
لعمرك إنَّ الشعر صمصام حكمةٍ ... وإنَّ الـنـهـى مـعـدودة مـن قـيـونـه
إذا جنَّنِي ليل الشكوك سللته ... عـلـيـه فـفـرَّاه بـفـجـر يـقـيـنـه
وما الشعر إلَّا مؤنسي عند وحشتي ... ومسلي فؤادي عند وري شجونه
تـقـوم مـقـام الـدمـع لـي نـفـثـاتـه ... إذا الـدَّهـر أبـكـانـي بـريـبِ مـنـونـه
وأجـعـلـه لـلـكـون مـرآة عـبـرة ... فـيـظـهـر لـي فـيـهـا خـيـال شـئـونـه
فأبصر أسرار الزَّمان التي انطوت ... بما دار في الأحقاب من منجنونه
وللشعر عين لو نظرت بنورها ... إلى الغيب لاستشففت ما في بطونه
وأُذْنٌ لو استصغيتها نحو كاتم ... سـمـعـت بـهـا مـنـه حـديـث قـرونـه
وليل إلى شِعراه أرسلت فكرتي ... رسـولًا بـشـعـري حـامـلًا لـرقـيـنـهِ
سل الليل عني نسره وسماكه ... ونـجـمَ سـهـاه والـجُـدَيِّ خـديـنـه
فكم بتُّ في نهر المجرَّة في الدجى ... من الشعر أُجري منشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنهُ بغيره ... ولا عـن قـوافـيـه ولا عـن فـنـونـه
ولو سلبتنيه الحوادثُ في الدُّنا ... لما عشتُ أو ما رُمْتُ عيشًا بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه ... فـمـا بـعـده لـلـمـرءِ غـيـر جـنـونـه

بعد براح الشام

قد صح عزمك والزمان مريضُ ... حتام تذهب في المنى وتئيضُ
ما بال همك في الفؤاد كأنه ... عظم يقلقل في هواك مهيض
كم بت مُعتلج الهموم بليلة ... ما للظلام لفجرها تقويض
طنت بمسمعك الهواجس في الدُّجى ... فنفت كراك كما يطنُّ بعوض
تنبو جنوبك عن فراش ناعم ... فكأنَّ قلبك بالهموم رضيض
كبُرت لنفسك في الحياة لبانة ... ضَاقت سموات بها وأروض
ما زلت تقتحم المهالك دونها ... فالهول تركب والصعاب تروض
لله أنت فأي هول تمتطي ... أم أي ملتطم الخطوب تخوض

* * *

ولَرُبَّ قافية كمؤتلق السنى ... يجلو الشكوك يقينها الممحوض

صرَّحت في إنشادها بحقيقة ... فات الأنام بمثلها التعريض
ولقد أجرَّنيَ القريض عنانه ... ونجا بيَ المضمار وهو مروض
وأتى المدى يوم السباق مُجليًا ... يجري سبوح خلفه وركوض
قد كنت أنبط للقريض قريحة ... بمفاخر العرب الكرام تفيض
ولَكَم وقفت من السياسة موقفًا ... أنا من جواه على النوى معروض
مُستنهضًا من ولد يعرب للعلى ... همَمًا تخوِّنها ونًى وربوض
أيام لم ينطق بذلك شاعر ... قبلي ولم يُنشَد هناك قريض
حتى إذا دار الزَّمان مداره ... خاب القريض وعاد وهو جريض
وغدا يُنازعني الحرورة شاعرٌ ... مَا كان حرًّا شعره المقروض
ويبزني ثوب الأمانة خائن ... كأبي براقش طبعه المرفوض
كم مدعٍ دعواي في وطنية ... أنا كنت أبنيها وكان يقوض
من كل عبد في السياسة باعه ... وشراه هذا الدرهم المقبوض
تعس المخاصم إنَّ لي لقصائدًا ... طرْف المعاند دونهن غضيض
فإذا ادَّعيت فهنَّ في دعواي لي ... حجج دوامغ ما لهن دحوض
وسل اليَراع يُجبك عني ناطقًا ... بمقال صدقٍ ليس فيه غموض

* * *

لما تَكرَّهَني الأراذل سرَّني ... أني إليهم يا أُميم بغيض
ولقد برئت إلى الوفاء من امرئ ... عهْد الصداقة عنده منقوض
وجزيت كل صنيعة بمثالها ... إن الصنائع في الرجال قروض
لا تطلبَنَّ مِنَ الزَّمان حقيقة ... ما للحقيقة في الزمان وميض
وإذا مخضت من الليالي صرفها ... أبدى العجائب صرفها الممخوض
وحوادث الأيام مثل نسائها ... في الحكم تطهر تارة وتحيض
ولربما أنتجن كل كريمة ... سوداء تقنأ في وغاها البيض
قد ساء مُنقلب البلاد بأهلها ... فانحطَّ أوجٌ واشمخرَّ حضيض
ذهب الحياء فكم رأينا صاغرًا ... قد جاء وهو لمذرويه نفوض
وقح تعامى عن مدانس عرضه ... فزهاه عجبًا ثوبه المرحوض
غلب الشقاء على الأنام فخيرهم ... دث وقطر شرورهم إغريض

كيف السعادة في الحياة وللورى ... في قوس كل ضغينة تنبيض
أم كيف تبتدع المعاليَ أمة ... في العلم قلَّ نصيبها المقروض
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها ... ما دام مُلكٌ في البلاد عضوض
ويح الذكاء فقد تأخَّر أهله ... حتى تقدَّم مَن قفاه عريض
أخرى البلاد مفاسدًا بلدٌ به ... مُقِت الأديب وأُكْرِم العرِّيض
وإذا الفتى قعدت به أفعاله ... أعياه بالنسب الرفيع نهوض
والمرء إن عدمت سجيته العُلى ... لم يبتعثه إلى العلى تحريض

بعض الناس ...

هم يعدون بالمئات ذكورًا ... وإناثًا لهم قصور مشاله
ولهم أعبدٌ بها وإماء ... ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعيَ والتكسب في الدنـ ... ـيا وعاشوا على الرَّعية عاله
يتجلَّى النعيم فيهم فتبكي ... أعين السعي من نعيم البطاله
يأكلون اللباب من كدِّ قوم ... أعوزتهم سخينة من نخاله
فكأن الأنام يشقَوْن كدًّا ... كي تنال النعيم تلك السلاله
وكأنَّ الإله قد خلق النا ... س لمحيا آل السلاطين آله
نعموا في غضارة الملك عيشًا ... وحملنا من دونهم أثقاله
فإذا ما طال العدوُّ خرجنا ... دونهم للوغى نرد صياله
وإذا هم جرُّوا الجرائر يومًا ... فعلينا تكون فيها الحمالة
وإذا ما استهلَّ فيهم وليد ... فعَلينا رضاعه والكفاله
قد رضينا بذاك لولا عتوٌّ ... أظهروه لنا على كل حاله
ما بهم ما يَميزهم عن بني السو ... قة إلا رسوخهم في الجهاله
هم من الناس حيث لو غربل النا ... س لكانوا نُفايةً وحثاله
ومن الجهل حيث لو صور الجهـ ... ـل لكانوا بين الورى تمثاله
حمَّلونا من عيشهم كلَّ عبء ... ثم زادوا أصهارهم والكلاله
فكفينا أصهارهم مؤنة العيـ ... ـش فكانوا ضِغْثا على إبَّاله
فكأنا نُعطيهمُ أجرة البضـ ... ـع كما أُعطيَ الأجير العماله

تلك والله حالة يَقْشَعِرُّ الـ ـحق منها وتشمئز العداله
هي منهم دناءةٌ وشنارٌ وهْي منَّا حماقة وضلاله
ليس هذا في مذهب الإشتراكيَّـ ـة إلا من الأمور المحاله
وهْو في المِلَّة الحنيفية البيـ ـضاء كفرٌ بربنا ذي الجلاله

وجه ابن آدم

لله سرٌّ في الأنام مُطلسَمُ حار الفصيحُ بوصفه والأعجمُ
برأ ابن آدم وهو إن لم تلقه في الخلق أقدم فهو فيه مقدَّم
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
أمَّا العجيب من ابن آدم فهو ما نسق الكلام به إذا نطق الفم
والوجه أعجب ما رأيت وإنَّه لَيحار في سحنائه المُتوسِّم
هو من طراز الله إلَّا أنَّه بسرائر النفس الحديثة مُعلَم
أما الحَواجب فيه فهْي كواشف والعين فيه من الضمير تترجم
ولَرُبَّ خافية يُكتِّمها الفتى والوجه منه بسرِّها يتكلم
كلٌّ يُشير إلى السريرة وجهه فكأنَّه بضميره مُتَلَثِّم
فالوجهُ فيه من القرونةِ مسحةٌ للخافيات بها وضوحٌ مبهم
صرع النُّهى فالوهم فيه تيقن تحن الملامح واليقين توهم
ولَرُبَّ وجهٍ في تبسُّمه البكا ولَرُبَّ وجهٍ في بكاه تبسُّم
والأنف في وجه ابن آدم زينة فالوجه لولا أنفه متجهِّم
كالهدب في شفر العيون فإنَّه لولاه تنشتر العيون وتسجم

* * *

إنَّ الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتَها ويُثبتها الدم
بيناك تقرأ حروفها مُتفهِّمًا يبدو تحرُّفها فلا تتفهَّم
فالعقل فيها عالم مُتجاهل طورًا وطورًا جاهلٌ متعلم
إني أرى هذي الوجوه نواطقًا بالسرِّ لكن نطقهن مُجَمْجَم
وأرى لحاظ عيونها مُتحدثًا عنها ولكنَّ الحديث مرجَّم
فكأنني البدويُّ يسمع راطنًا وكأنَّما هي أعجميٌّ طِمْطِم

* * *

ولرُبَّ وجه يستبيك بحُسْنِهِ فتروح منه وأنت صبٌّ مغرم
يدنو إليك وأنت خلوٌ من هوًى ويصدُّ عنك وأنت فيه متيم
وإذا تغيَّب فالبدور مُضيئة وإذا أضاء فكُلُّ بدرٍ مظلم
لله في وجه ابن آدم حكمة يعنو السفيه لها ومن يتحلَّم

خواطر شاعر

لعمرك ما كلُّ انكسارٍ له جبرُ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كفُّ الحياة على الحجا ستارًا فعِلْمُ القوم في كنهها نَزْر
فقمنا جميعًا من وراء ستارها نقول بشوق ما وراءَك يا ستر
حكت سرحة فنواء نبصر فرعها ولم ندرِ منها ما الأنابيش والجذر
وقد قال بعضُ القَومِ إنَّ حياتنا كليلٍ وإنَّ الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقةً فيا شدَّ ما قد شاقني ذلك الفجر
وروح الفتى بعد الرَّدى إن يكن لها بقاءٌ وحسٌّ فالحياة هي الخسر
وإن رقيتْ نحو السماءِ فحبذا إذا أصبحتْ مأوًى لها الأنجم الزهر
وأعجب شأنٍ في الحياة شعورُنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجر
وللنفس فيٍ أُفق الشعور مخايلٌ إذا أبرقت فالفِكْرُ في برقها قطر
وما كل مشعورٍ به من شئونها قديرٌ على إيضاحه المنطق الحُر
ففي النفس ما أًعيا العبارة كشفُهُ وقصَّر عن تبيانه النظْم والنثْر
ومن خاطرات النفس ما لم يقُمْ به بيان ولم ينهض بأعبائه الشعر
ويا رُبَّ فكرٍ حاك في صدر ناطق فضاق من النطق الفسيح به الصدر
ويا رُبَّ معنًى دقَّ حتى تخاوصت إليه من الألفاظ أعينُها الخزر
أرى اللفظ معدودًا فكيف أسومُهُ كفاية معنًى فاته العدُّ والحصر
وأفق المعاني في التصوُّرِ واسعٌ يتيه إذا ما طار في جوِّهِ الفكر
ولولا قصورٌ في اللغى عن مرامنا لما كان في قول المجاز لنا عذر
ولست أخص الشعر بالكلم التي تُنَظَّمُ أبياتًا كما يُنظَم الدُّر

وذاك لأنَّ الشعر أوسع من لُغًى ... يكون على فعل اللسان له قصر
وما الشعرُ إلَّا كلُّ ما رنَّح الفتى ... كما رَنَّحتْ أعطافَ شاربها الخمر
وحرَّك فيه ساكن الوجد فاغتدى ... مَهيجًا كما يستنُّ في المرَح المُهر
فمن نفثات الشعر سجعُ حمامة ... على أيكةٍ يُشجي الحزينَ لها هدر
ومن نفثات الشعر حوم فراشة ... على الزهر في روضٍ به ابتسم الزهر
ومن نفثات الشعر دمعة عاشق ... بها قد شكا للحُبِّ ما فعل الهجر
ومن نفثات الشعر نظرةُ غادةٍ ... بنجلاءَ تسبي القلبَ في طرفها فَتْر
ومن نفثات الشعر رنَّة ثاكل ... مفجَّعة أودى بواحدها الدهر
ومن نفثات الشعر ترجيعُ مُطرِبٍ ... تعاور مجرى صوته الخفضُ والنَّبر
ومن نفثات الشعر تغريد بلبلٍ ... لدى جنَّة قد فاح من وردها نَشر
ومن نفثات الشعر نغْمة أرغنٍ ... وترنيم مزمارٍ به اطَّرد الزَّمْر
وإنَّ من الشِّعر ائتلاقَ كواكبٍ ... بجنح الدُّجى باتت يُضاحكها البدر
وإن ابتسام الغيد عن كل أشنب ... ليطرب نفسي فوق ما أطرب الشعر
فإن لم يكن هذا من الشعر لم يكن ... لعمر النهى للشعر عند النهى قَدْر

القوة تصف الحرية

يا قومُ لا تتكلموا ... إن الكلام محرَّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلَّا النُّوَّم
وتأخروا عن كل ما ... يقضي بأن تتقدَّموا
ودعوا التفهُّم جانبًا ... فالخير أن لا تفهموا
وتثبَّتوا في جهلكم ... فالشرُّ أن تتعلَّموا
أمَّا السياسةَ فاتركوا ... أبدًا وإلَّا تندموا
إن السياسة سِرُّها ... لو تعلمون مطلسم
وإذا أفضتم في المُبا ... ح من الحديث فجمجموا
والعدلَ لا تتوسموا ... والظلم لا تتجهَّموا
من شاء منكم أن يعيـ ... ـش اليومَ وهو مُكرَّم
فليُمسِ لا سمعٌ ولا ... بصرٌ لديه ولا فم

لا يستحقُّ كرامةً إلا الأصمُّ الأبكم
ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهُّم
فالعيش وهو مُنغَّمٌ كالعيش وهو مُذمَّم
فارضوا بحكم الدهر مهـ ـما كان فيه تحكُّم
وإذا ظُلمتم فاضحكوا طربًا ولا تتظَّلموا
إن قيل هذا شهدكم مرٌّ فقولوا علقم
أو قيل إن نهاركم ليلٌ فقولوا مُظلِم
أو قيل إن ثِمادكم سيل فقولوا مفعم
أو قيل إن بلادكم يا قوم سوف تُقسَّم
فتحمَّدوا وتشكَّروا وترنَّحوا وترنَّموا

تبيان حقيقة

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيدُ ألا فليقُل ما شاء فيَّ المفندُ
إذا أنا قصَّدت القصيد فليس لي به غير تبيان الحقيقة مقصد
نشدت بشعري مطلبا عزَّ نَيله وإن هان عند الشعر ما كنت أنشد
فللنجم بُعد دون ما أنا ناشد وللدرِّ قدر دون ما أنا مُنشد
وكم جنَّبتْنِي عزَّة النفس منهلا يطيب به لكن مع الذُّلِّ مورد
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة أنوح بها حينًا وحينًا أُغَرِّد
ولي بين شدقيَّ الهريتين صارمٌ يُسلُّ على الأيام طورًا ويُغمد
ولا عجبٌ أنْ عَابَني الشَّاعِرُ الذي يقول سخيف القول وهو مقلِّد
فإنَّ ابن برد وهو أكبر شاعر تَنقَّصه في الشعر حمَّاد عجرد
تعوَّدتُ تصريحي بكل حقيقة وللمرء من دنياه ما يتعوَّد
إذا رمتُ نصحًا جئتُ بالنُّصح واضحًا وما كان من شأني الكلامُ المعقَّد
وقد أُبصر الدَّاء الدفين الذي بنا كما أَبصر الأمواهَ في الترب هدهد
يقولون لي استنهضْ إلى العلم قَوْمنا بشعر معانيه تُقيم وتُقعد
أما علموا أنَّ الحياة بعصرنا مدارس في كل البلاد تُشيَّد
وما ينفع القول الذي أنت قائلٌ إذا لم يكن بالفِعْلِ منك يؤيد

فيا قومَنا إنَّ العلوم تجدَّدت ... فإنْ كُنتمُ تهوَوْنها فتجدَّدوا
وخلوا جمود العقل في أمر دينكم ... فإن جمود العقل للدين مُفسد
وإن شئتمُ في العيش عزًّا فأقدموا ... فكم نِيلَ بالإقدام عزٌّ وسؤدد
وأمضوا سديد الرأي دون تردُّدٍ ... فما يبلغ الغاياتِ من يتردَّد
ولا تقبلوا قيدًا بقولٍ مجرَّدٍ ... فما قَيَّد الأحرارَ قولٌ مجرد
وأطلال علم لا تزال شواخصًا ... تُذكِّر بالعهد القديم وتشهد
أراها فأبكي وهْي رهن يدِ البلى ... بدمع كما ارفضَّ الجمان المنضد
وما أنا سالٍ عهدها حين لم تَسِلْ ... دموعي ولكني فتًى مُتجلِّد
فإن تكبروا تبديد دمعي لأجلها ... فإنَّ دمي من أجلها سيُبدد

في الاحتفال بالريحاني

أنشدها في احتفال المعهد العلمي في بغداد بالأستاذ أمين الريحاني.

إن العراق بعرضه وبطوله ... وبرافدَيه وباسقات نخيله
يهتزُّ مبتهجًا بمقدم ضيفه ... ويبشُّ مبتسمًا بوجه نزيله
ومُرَّحِبا والشكر في ترحيبه ... ومؤهلًا والحمد في تأهيله
بربيب لبنان بريحانيِّه ... بكبير مَعشره بفخر قبيله
بالعبقريِّ بفيلسوف زمانه ... بأديب أمَّته بداهي جيله
بأصحِّ أحرار الأنام تحرُّرًا ... في فكره وبفعله وبِقِيله
إنَّا نُبجِّل منه خير مبجَّل ... تبجيل كل الفضل في تبجيله
أأمين جئت إلى العراق لكي ترى ... ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفوًا فذاك النجم أصبح آفلًا ... والقوم محتربون بعد أفوله
أوَ ما ترى قطر العراق بحُسنه ... قد فاق مُقفِره على مأهوله
أمَّا الحيا فيه فذياك الحيا ... لكن مسيل الماء غير مسيله
وربيعه ذاك الرَّبيع وإن شكا ... من جهل ساكنه اشتداد محوله
فأقم به ولك الغنى بفراته ... عن قطر مصر وعن موارد نيله
وانزل على وادي السلام ممتعًا ... برغيد عيشٍ تحت ظِلِّ نخيله

والثم به ثغر الطبيعة باسمًا ... يشفي من المشتاق حرَّ غليله
وترقَّبَنْ أسحاره حتى إذا ... هبَّ النَّسيم فجس نبض عليله
وانظر محاسن أرضه وسمائه ... وانشق أريج شماله وقبوله
فالجوُّ فيه منيرة أوضاحه ... والحسن فيه دقيقه كجليله
والليل فيه مُكلل بمُرصَّعٍ ... وكواكبُ الإكليل من إكليله
وترى النهار به كذهنك واقدًا ... بالشمس تُشرق في وجوه سهوله
وترى ضياء الشمس فيه مغلَّفًا ... بنظيره ومُسلسلًا بمثيله
وإذا وقفت بدارسٍ من مجده ... فكوقفة الباكين بين طلوله
وانحب كما نحب الحزين مكفكفًا ... غرب الدموع بجانبَي منديله
فلقد عفا المجد القديم بأرضه ... وعليه جر الدهر ذيل خموله
وإذا نظرت إلى قلوب رجاله ... فانظر حديد الطرف غير كليله
تجد الرجال قلوبها شتى الهوى ... مد الشقاق بها حبالة غوله
متناكرين لدى الخطوب تناكرًا ... يعيا لسان الشعر عن تمثيله
فالجار ليس بآمن من جاره ... والخل ليس بواثق بخليله
والدين فيه يقول ذو قرآنه ... قولًا يُحاذر منه ذو إنجيله
وإذا تأوَّل قولهم مُتأول ... صرفوه بالتكفير عن تأويله
وإذا تكلَّم عالم في أمرهم ... خفروا ذمام العلم في تجهيله
حال لو افتكر الحكيم بكنهه ... طول الزَّمان لعيَّ عن تعليله
من ذا يُبدله فإن قوارعي ... يئست لعمر الله من تبديله
والجهل لا يبقى على أربابه ... كالسيف ليس براحم لقتيله
أأمين لا تغضبْ عليَّ فإنني ... لا أدَّعي شيئًا بغير دليله
من أين يُرجى للعراق تقدُّمٌ ... وسبيلُ ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطنٍ يكونُ السيف عنـ ... ـد جبانه والمالُ عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عنـ ... ـد غريبه والحكم عند دخيله
وقد استبدَّ قليله بكثيره ... ظُلمًا وذلَّ كثيرُه لقليله
إني إذا جدَّ المقالُ بموقفٍ ... فضَّلت مجمله على تفصيله
وإذا المخاطب كان مثلك واعيًا ... أغنى اختصارُ القول عن تطويله
يا من يُكتِّم فضله متواضعًا ... والناس مجمعة على تفضيله

شكواي بُحتُ بها إليك وليس في ... شكوى الزميل غضاضة لزميله
إنَّ المريض ليستريحُ إذا اشتكى ... مما به لطبيبه وخليله
وكذا الحزين إذا تهيَّج حزنه ... يبكي فيسكن حزنه بعويله
إني لآنف أن أبوح بمُضمَر ... إلا لمقتدرٍ على تحصيله
ولديَّ إن وصل الحبيب تمسكٌ ... بالعز يمنع فايَ من تقبيله

تجاه الريحاني

القصيدة التي ألقاها في حفلة «أُدباء العراق» للأستاذ الريحاني.

لهذا اليوم في التاريخ ذِكرٌ ... به الآناف يفغمهنَّ طيبُ
ويَحسن في المسامع منه صوتٌ ... له تهتز بالطرب القلوب
ففي ذا اليوم نحن قد احتفينا ... بريحانيِّنا وهو الأديب
فتًى كثرت مناقبه فأضحى ... له في كل مكرمةٍ نصيب
نجالس منه ذا خلقٍ كَريمٍ ... له بجليسه أثر عجيب
وأقسم لو يُجالسه سفيهٌ ... فواقًا لاغتدى وهو الأريب
كذاك يكونُ زهر الرَّوضِ لمَّا ... تمرُّ عليه ناسمة تطيب
ولم يُنسب إلى الريحان إلَّا ... وريحان الرياض له نسيب
له قلم به تحيا المعاني ... كما يحيا من المطر الجديب
وتُشرق في سماء الشعر منه ... كواكب ليس يُدركها مغيب
لقد طارت بشُهرته شمال ... كما طارت بشهرته جنوب
وطبق صيته الآفاق حتى ... تعرَّفه القبائل والشعوب
فديتك هل تصيخ فإنَّ عندي ... شكاة لا تصيخ لها الخطوب
إلى كم أستغيثُ ولا مغيث ... وأدعو من أراه فلا يُجيب
أقمت ببلدة مُلئتْ حقودًا ... عليَّ فكل ما فيها مريب
أمرُّ فتنظر الأبصار شَزرًا ... إليَّ كأنما قد مرَّ ذيب
وكم من أوجه تبدي ابتسامًا ... وفي طيِّ ابتسامتها قطوب
سكنت الخان في بلدي كأني ... أخو سفرٍ تقاذفه الدروب

وعشت معيشة الغُرباء فيه لأني اليوم في وطني غريب
وما هذا وإن آذى بدائي ولا هو أمره أمر عصيب
ولكني أرى أبناء قومي يدبِّر أَمرَهم من لا يُصيب
يُقدَّم فيهمُ الشريرُ دفعًا لشرَّته ويُحتقر الأديب
فهذا الداء مُنتشب بقلبي وفي قلب العُلى منه وجيب
فكيف شِفاؤه ومتى يُرجَّى وأين دواؤه ومَن الطبيب
وإنْ أكُ قد شكوت فما شكاتي إلى ذي خلَّة شيء معيب
سأنصب للهواجس حرَّ وجه يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب في البلاد بغيرِ مُكث أجوبُ من المهامِهِ ما أجوب
إلى أن أستظلَّ بظلِّ قوم حياة الحرِّ عندهمُ تطيب
وإلَّا فالحياة أمرُّ شيءٍ وخير من مرارتها شَعوب

أنشودة الوطن، بلحن المرسيليز

أوطاننا وهي الغوالي أرواحنا لها ثمنْ
وإنما أحيا المعالي من مات في حب الوطنْ

* * *

أوطاننا نحن حماها بكل سيفٍ منتضى
في أرضها تحت سماها ما مات منَّا من قضى

* * *

أوطاننا وهي الأماني عن حبها لا ننثني
طابت لنا منها المغاني بغيرها لا نعتني

* * *

ننشق أنفاس هواها في كل سهلٍ وجبلْ
عن سهلها أو عن رباها لم نرضَ بالدُّنيا بدلْ

عبد المحسن الكاظمي

الشيخ عبد المحسن الكاظمي.

شاعر كبير يُعدونه في مصر في الطبقة الأولى بين الشعراء المُعاصرين، وينكرون عليه ذلك في العراق، هجر العراق وطنه قبل سنوات، وحلَّ القُطر المصري، فاستفاد فائدة كُبرى من وجوده في بيئة سما فيها قدر الأدب، وانتعش روح العلم، فتسنَّى له أن يطَّلع

على الحركة الفكرية، والنَّهضة العِلمية هناك من جهة، وعرَف له أُدباءُ النِّيل منزلتَه فبعُد صِيته، وسارت شهرته إلى أطراف العالم العربيِّ من جهةٍ ثانية، وهو اليوم شاعر الاستقلال، ينظم القصائد الاستنهاضية لحزب الاتحاد السوري الذي مركزه القاهرة، وعضو في جمعية «الرَّابطة الشرقية» فيها.

وقد عُرِفَ شعره بالجودة والمتانة وحُسن السبك ورصانة القافية، لا يسبق صاحبه سابق في طول النفس وخفة البحر، يتغنَّى الكاظمي في شعره تغنيًا بدويًّا، وقد أخذ عنه ذلك حافظ بك إبراهيم شاعر مصر.

وهو أبو المكارم عبد المُحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النخعي.

وُلد في بغداد في مُنتصف شعبان سنة ١٢٨٢ هجرية، وتعلَّم فيها مبادئ القراءة والكتابة، ولَمَّا كان أبوه يشتغل بالتِّجارة مال الولد إلى تعاطي هذا العمل، وأخذ يُطالع الكتب التي تبحث فيه، ثم ترك التجارة واحترف الزراعة فلم يلقَ نجاحًا، فانعكف على مُطالعة الكتب والرسائل الأدبية، وولع بحفظ الشعر، فحفظ نحو الاثني عشر ألف بيتٍ من الشعر القديم، ولما أدرك السن العشرين عرف فضله، وأخذ يدرس حالة أبناء جلدته من المسلمين، مُفكرًا في إصلاح شئونهم حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني الشهير بغداد منفيًّا من إيران فوجد المترجم في السيد جمال الدين ضالَّته، وأخذ عنه بعض مبادئه وعلومه، ثم نُفي الأفغاني من بغداد فأصبح موقف الكاظمي حَرِجًا؛ لأنَّه كان من المُتعلقين بذلك المُصلح الكبير، وإذ أخذ يُجاهر بنواقص الحكومة كاد أن يلحق به أذًى كبيرٌ لولا أنه لاذ بالوكالة الإيرانية في بغداد، ثم غادر الشيخ الكاظمي بغداد خفيةً إلى البصرة، وانتقل منها إلى أبو شير في الخليج الفارسي، وقضى هناك بضعة شهور، وعاد إلى بغداد بعد ذلك ورحل سنة ١٣١٥ من العراق قاصدًا إيران فالهند، ثم ألقى عصا ترحاله في مصر على نية أن يُغادرها إلى فروق، ويَقفل من هناك رَاجعًا إلى بغداد، غيرَ أنَّ مرضًا عضالًا أقعده عن مُبارحة وادي النِّيل وذهب ببصره، وقد حظي المترجم كلَّ الحظوة لدى المُصلح الإسلامي الكبير العلامة الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله.

والشيخ الكاظمي على جانبٍ عظيمٍ من الأخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة، ذو إباءٍ شديد، وهو آية في بداهة الخاطر، يرتجل في مجلسٍ واحدٍ القصيدةَ التي تبلغ المائة والمائتي بيتٍ

من غير أن يَظهر عليه أثر الكلفة، وقد روى عنه سليم سركيس الصحافي المُتفنن المشهور في مجلته قال: نظم الدكتور إبراهيم شدودي قصيدة في مدح الأستاذ الكاظمي في الحفلة التي عُقدت لتكريمه، فما انتهى الدكتور من تلاوتها حتى أجابه المُحتفَل به بقصيدةٍ ارتجاليةٍ من نفس البحر، فكان ينظم وأنا أكتب والإخوان يُعجَبون بسرعة خاطره.

وينتقد بعضهم نفس البداوة في شِعْر الكاظمي، ولا جُناح عليه في ذلك لأنَّه تعلَّم الشعر في العراق على النَّمط القديم؛ فركز هذا الأسلوب في طبعه.

وقد ألَّف صاحب الترجمة مؤلفاتٍ عدة، منها:

(١) البيان الصادق في كشف الحقائق: أبان فيه سببَ انشقاق المسلمين بعضهم على بعض.

(٢) تنبيه الغافلين: كشف فيه ما آل إليه حال الأمة من التقهقر، وأشار إلى مواطن الداء ووصف الدواء.

(٣) ديوان شعره: وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ وإن كانت قد فُقِدت كثير من قصائده في ما قاساه من المحن والخطوب في وطنه.

وقد أثبتنا هنا بعض القصائد من شعره:

الحرية

مهما تباعد فهْو منك قريبُ ... يومٌ له بين الضلوع دبيبُ
فإذا تباعد فالحبيبُ مبغض ... وإذا تقارب فالعدوُّ حبيب
لا فرق بين المشرقين سوى الذي ... يصفو به هذا وذاك يشوب
كالشمس ما بين الأنام مشاعة ... ولها شروق مرةً وغروب
كم قرَّب القوم اللئام وباعدوا ... حتى استوى التبعيد والتقريب
لا يَصدُقون وكيف يَصدُق طامع ... يُصغي إلى داعي النِّفاق كذوب
ليس الهوى مِنْ كُلِّ صبٍّ واحدًا ... إن الهوى للعاشقين ضروب
هيهات يُصْبيني سوى حرية ... يصبو الشبابُ لذكرها والشِّيب
يكفي جمالك أنت فيهِ يوسف ... وكفى مُحبك أنه يعقوب

أمنية الشعبين أنت فضيلة ... تاقت إليكِ قبائل وشعوب
حرية الأمصار أنتِ حبيبة ... في حُبِّها يُستعذب التعذيب
عظمت على قلبِ المُحِبِّ همومه ... يكفي دلالك أيها المحبوب
في كل يومٍ حفلةٌ لكِ يرتقي ... فيها المنابرَ شاعرٌ وخطيب
لكِ كلَّ يوم في المحافل سيرةٌ ... تُتْلَى وذكرٌ من سناك ينوب
يا حبذا يوم الجمال وحبذا ... يوم الوصال وأجره المكسوب
يوم يعود به لنا استقلالنا ... ويُردُّ فيه حقنا المغصوب
حتَّامَ نحتمل المذلة طُوَّعًا ... ولنا بآفاق البلاد وثوب
ترجو الحياة وليس يجهل عالم ... أنَّ الحياة مصائبٌ وخطوب
لا فاتنا عز الحياة ولا عدت ... شعبًا تذل بها الحياة شعوب
يا حبذا يوم يروح لنا به ... هذا له نغم وذاك طروب

العينية

إلى كم تُجيل الطَّرف والدار بلقع ... أما شغلت عينيك بالجزع أدمعُ
أأنت مُعيري عبرة كلما ونت ... يحفزها برح الغرام فتسرع
وهل عريت أرض كسوت أديمها ... بماء شئوني فهْي زهراء ممرع
فمِن حرِّ أنفاسي وقيض محاجري ... مصيف تراءى في ثراها ومربع
ألم ترَ جرعاء الحمى كيف روضت ... وسال بمحمر الشقائق أجرع
فهاتيك من دمعي وهذاك من دمي ... فللعين ذا مبكى وللقلب مجزع
جرى ماء جفني عن سويداء مُهجتي ... فمن أجل ذا وشى الرياض مجزع
أفي كل دارٍ أنت ماتح عَبرة ... إذا غاض منها مدمع فاض مدمع
كأنَّك فيها ناظر رسم منزلٍ ... حمتْه عن النُّظار نكباء زعزع
تذكرت شِعبًا في رباها ولعلعًا ... فهاج لك البرحاء شعب ولعلع
كأن في عينيك عارض مزنة ... تصوب عزاليها ولا تتقشع
كأن بها خرقاء أوهت مزادها ... وليس لِوَهْيٍ سال واديه مرقع
تتبَّعْ تجدْ ما يغمر القلبَ سلوة ... وهل عدم السلوانَ من يتتبع
وهيهات تسلى الدار وهي فجيعة ... ويسلو أسير الدار وهْو مفجَّع

وأفدح خطبٍ شفَّني بصروفه ... وجرَّعني ما لم أكن أتجرَّع
وقوفي على تلك الديار وقد عفتْ ... معالمُ كانت زاهياتٍ وأربُع
معالمُ أعفاها البلى فتوزعت ... وما هي إلا أكبُدٌ تتوزع
وقفت عليها آخر الليل وقفة ... أودِّع من أطلاها ما أُودِّع
ولا مسعد إلا الدموع وكيف بي ... إذا جف ما عندي من الدمع أجمع
أيا بانة الوعساء من أعلم الذوى ... بفرعك حتى اجتُثَّ من حيث يفرع
ويا غفلات الجزع هل بعد عالج ... معاد لأيام الغميم ومرجع
فكم ليلة بِتنا نشاوي ولا طلا ... وصرعى وما غير الأحاديث تصرع
يطير بنا الشوقُ ارتياحًا وكُلنا ... رذايا هوًى في ندوة الحي وُقَّع
فمن مُرغم يصبو لنجواه مغرم ... ومن مولع يرثي لشكواه مولع
ويا حبذا بالجزع فرع أراكة ... تميل وفي أفنانها الورق تسجع
ورُبَّ حمامات مع الصبح أقبلت ... تُردِّد في ألحانها وترجِّع
نصتُّ لها أُذْني وقلتُ إصاخة ... عسى نبأ من ذي هوًى يتسمع
فأعرضن عن ذي لوعةٍ وروَيْن لي ... أحاديث مجراها الجوى والتولُّع
أحنُّ إلى النائي حنينَ مُوَلَّهٍ ... وهل يُرجِع النائي الحنينُ المرجع
وعندي وما عندي وهل هي غلة ... إذا علَّلوها بالتذكر تنقع
ولم أنسَ يوم الجزع والساعة التي ... وقفنا بها نبكي الديار ونجزع
وقفنا عليها بُرهةً ويد الأسى ... تُقطِّع من أحشائنا ما تُقطِّع
ونادى المنادي حين أزمعت للسرى ... إلى أين يا حامي الحقيقة مزمع
فوسع من قلبي الأسى كل ضيق ... وضاق بعينيَّ الفضاءُ الموسَّع
فلله ما فت الوداع من الحشا ... ولله ما قاسى الخليط المودع
سرينا نجوب البيد في غلس الدُّجى ... وصارت مَطايانا تخب وتوضع
تعوج بنا شرقًا وغربًا كأنها ... تقيس بمسراها القفار وتذرع
كأنا وقد مالت بنا سنة الكرى ... سجودٌ على أكوارهن ورُكَّع
نُقطِّع من أعراض كل تنوفة ... سماوية الأعلام ما ليس يُقطع
ونعتام تيار الدجى بعزائمٍ ... تلوح بآفاق البلاد وتلمع
ويا مألف الأرام رُدَّ وديعتي ... فإن فؤادي عند سربك مودع

أقول وقد شبَّت بقلبيَ جذوةٌ تُعلِّمني جمرُ الغضا كيف يلذع
أحباي هل من عطفة في رباعنا يطيب بها المصطاف والمتربع
وهل تنثني الأيام ثانيةً لنا ويجمعنا بعد التفرق مجمع
تهب صَبًا حتى تكاد مع الصَّبا نزاعًا إلى واديكم الروح تنزع
كأنَّكمُ مني بمرأًى ومسمعٍ على حين لا مرأى هناك ومسمع

* * *

ولما نقلنا للبَواخِرِ رَحْلَنا وعفنا المطايا وهي حسرى وضلع
هجمنا على جيشٍ من الموج ضارب بزخَّاره نحو السما يترفع
يُطالعنا من كل فجٍّ كأنَّه جبال شرورى أصبحت تتقلع
ولما تبيَّنت السويس وسار بي إلى النيل سيَّار من البرق أَسرع
هرعت إليه عاطفًا من حشاشتي وقُلت لصحبي هذه مصر فاهرعوا
سقى الله دارًا تيَّم الصبَّ نشرُها وأخرى بها دارية تتضوَّع
لقد صرت في هذي وقلبي معلق بتلك، إذًا ماذا أنا اليوم أصنع
وأصبحت أسوانًا فلا أنا ميت فأسلو ولا حي يرجى فأطمع
أنادي فلا شمعون يسمع دعوتي فيدنو ولا ينأى بوجديَ يوشع
وما ليَ منه يعلم الله لو دنا سوى نظرةٍ تدنو إليَّ فأقنع
ذر الدمع يُدمي ناظريَّ فإنَّني رأيتُ بعيني طرفَ شمعون يدمع
ويا أهل هذا الحيِّ خلُّوا لنا الجوى نُقضِّي به ليل الصبابة واهجعوا
على داركم شق الجيوب ودارنا يشق وريد في ثراها وأخدع
فلو أنَّ مثلي في سراة قبيلكم من الحب مُضنًى أو من البين مُوجَع
لأعْلنتُ بالشكوى وصرَّحتُ بالجوى وقلتُ اسعدوني أيُّها الصحب أو دعوا
تمكَّنَت الأوجاعُ من كل مفصل وليس لهذا الصبِّ من يتوجع
وآيسَني طول النوى من طماعتي ولا يأس إلا حين لم يبقَ مطمع
تُكلفني عيناي في الحي هجعة فأُغمض عيني إنني لست أهجع
وآمل من نومي المشرد رجعة وأكبر ظني أنه ليس يرجع
أقول لجيرانٍ لهم بين أضلعي مراح وفي الأحشاء مرعًى ومرتع
أيا جيرتي جف الرُّقاد فعاذر إذا رحت في كأسٍ من السهد أكرع

ملكتم فؤادي بالتودُّد خدعة ... وكل كريمٍ بالتودُّد يُخدَع
تعسفتمُ ما كان منيَ شيمة ... وأين من المطبوع من يتطبَّع
وكيف أُرجِّي منكمُ ذا حفيظة ... وأكثر شيءٍ في الأنام التصنُّع
ألا إنَّ دهري موجعاتٌ فعالُه ... وأفعال أهليه أمضُّ وأوجع
أمثل «فلان» يحفظ الناس وُدَّه ... ومثليَ في هذي البلاد يُضيَّع
فوالله ما أدري وقد خامر الحشا ... هوًى أوشكتْ منه الحشا تتصدع
أأترك مصرًا أم أقيم بجوها ... وما جوها إلا جوًى يتدفع
تساومني خفض الجناح ظباؤها ... وما شيمتي إلا العلا والترفع
أصدُّ فتثنيني إلى الحي لفتة ... ويَقْتَادني داعي الغرام فأتبع
وأُغضي فتلويني إلى الغيد نظرة ... تردُّ غرامي كُلَّما بان برقع
فينزعنْ في قلبي سهامًا مريشة ... وأطرب إمَّا قيل في القوس منزع

* * *

تعدتْ صروف الدهر مصر وأهلها ... ولا زال في أرجائها البشر يسطع
نعم أهل مصرٍ أنتمُ خير أمة ... وما الخير إلا منكمُ يتفرع
لقد شاع عنكم كل فضل وسؤدد ... وسوف نرى للفخر ما هو أشيع
خذوا حِذْركم فالكاشحون بمرصد ... وأنتم كما شاء الكواشح هجع
أرى اليوم موسومًا بكل شنيعة ... وأخشى غدًا يأتي بما هو أشنع
ولكنني أرجو انتباهة حازم ... تُصرِّف عنَّا هول ما نتوقع
دعوا عنكمُ مُرَّ الهوان وعرجوا ... إلى جنبات العزِّ من حيث تنصع
وعودوا بها شُمَّ الأنوف تواركًا ... أنوف الأعادي دونكم وهْي جُدَّع
ولا تشبعوهم غير يأسٍ فإنهم ... إلى أكلكم أخزاهم الله جُوَّع
وشدوا عرى أوطانكم بمثقَّف ... من الرَّأي تخشاه الظبى وهي قُطَّع
وكونوا لها أطوادَ عزٍّ منيعةً ... يكن لكمُ فيها الفخار الممنع
تخلى لكم من لو عصفتم بحده ... رأيتم إذًا عضب الشبا كيف يقطع
وحل بكم من لو علمْتُم محله ... علمتم إذًا بدر السما أين يطلع
فإن الذي في الكون عنه مفرق ... وإن الذي في الكون فيه مجمع
فلا يملك العلياءَ إلا سميذعٌ ... وها أنا ذاك الأريحيُّ السميذع

تُزعزع أبطالَ الوغى لو تحركتْ ... يراعةُ فكري لا الوشيج المزعزع
ويُسكرني والبيض تعسف بالطلى ... نجيعُ الهوادي لا العقارُ المشعشع
وكيف أخاف الخطب يسودُّ ليله ... وأسياف عزمي في دجى الخطل لُمَّع
فكم غمة كشَّفتُها وعظيمة ... تسنَّمتُها والليل أسود أسفع
وحادثة قصرتها بعصابة ... تطولُ لهم في الروع بوع وأذرع
تطلق منها كل دهياء أرمة ... كأنيَ فيها الأرقم المتطلع
فقل للعدى تختَرْ لها أي ميتة ... فسيْفِي بألوان المنون مُرصَّع
وهاك لسيفي الذِّكر في كل وقعة ... وهل يخلو من آثار سيفيَ موقع
ورُبَّ سعاة أسرعت خطواتهم ... ففات مساعيها المشيح السرعرع
ترانا لدى التمثيل سِيَّينِ خلقة ... ولكن حَفِظنا المكرمات وضيعوا
ولي من وراء الغيب عين تدلني ... على المنهل العذب الذي ليس يشرع
أرى كل تلعاءٍ متى شئتُ جُزتها ... وخلفتُ دوني كل من يتتلع
ويا رُبَّ قوم غرهم نوم جمعنا ... وأغراهمُ ذاك العديد المجمع
يخالون إن الطود يؤلمه الحصا ... وأنَّ السبنتى بالنباح يُروَّع
وما علموا أنْ يمموا الغاب خدعة ... يكون وراء الغاب ليث مخدع
فجاءوا إلى الإسلام يعترضونه ... سفاهًا فشاموا أن واديه مسبع
سعَوْا بضلالات فخَيَّب سعيهم ... أخو الرشد محمود النقيبة أروع
فردوا عن الإسلام ميلًا رقابهم ... وجيد بني الإسلام أجيد أتلع
وأقسم أني لو شحذت مقالتي ... لراح بها هانوتُ[1] وهو مبضع
ولكنني أُغضي احتشامًا وقدرةً ... وعندي من القول الطرير الملمع
ونحن بنو البيض المصاليت في اللقا ... إذا مصقع منا جثا قام مصقع

[1] هو «هانوتو» السياسي الإفرنسي الشهير الذي تحامل بكتابته على الإسلام، وقد انبرى للرد عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصري، وكان للرد صدًى ودويٌّ حتى اضطُرَّ (هانوتو) إلى الاعتذار، وتصحيح كلامه.

سيروا بنا

سيروا بنا عَنَقًا وشدًّا سيروا بنا مَمْسًى ومَغْدَى
سيروا فُرادى أو ثنى والجمعُ للغاياتِ أجْدَى
لا يقعدنَّ بعزمنا يومٌ يُرينا الهَزْلَ جدًّا
ولئن تخلف من تخلَّـ ـفَ واستحالَ القربُ بُعدا
فالسيف يقطع في يدَي بطلٍ وإن ثَكِلَ الفِرنْدا
ما خاف يومًا أن يهي مَنْ أَحكَمَ الأهواءَ شدًّا
فلرُبَّما جاء المري ـبُ وليسَ يدْرِي جاءَ إدًّا
ولرُبَّ رأيٍ ذي سدا دٍ عارَض الرأيَ الأَسَدَّا
من ذا رأى الحد المذرَّ بَ أبْطلَ الحدَّ الأحدَّا
لتَسِرْ وفودكمُ إلى تلكَ الرُّبَى وَفدًا فوفدًا
ليرى الورى أي الورى أهدى الورى وأضل قصدا
من لي بمن إن شاء أحْـ ـيا عزمه أو شاء أَردى
يرقى المنابر واعظًا أو أن يعود الغَيُّ رُشدا
من رام إدراك المرا م سعى بلا مَلَلٍ وَجَدَّا
من لم يعزَّ بموطن حُرٍّ يَكُنْ للذُّلِّ عبدا

* * *

سيروا إلى الوطن الموقَّـ ـى بالنَّقائب والمُفَدَّى
سيروا إلى من سار ذكـ ـرُ جمالهِ في الكونِ نَدَّا
سيروا إلى ذي طلعةٍ كالنجم للساري وأَهدَى
سيروا إلى ذي راحةٍ كالسُّحب لا بل تلك أندى
يا حبذا وطنٌ أعا دَ الفضلَ في الدنيا وأبدى
يا حبذا وطنٌ يُغنَّـ ـى باسمه أبدًا ويُحدى
وطن تقادم ذكرهُ عند المكارم واستجدَّا
وطن إذا نضب الرِّوا أولى عوارفه وأسدى
هو موطن القوم الأُلى فضلوا الأنامَ أبًا وَجَدَّا
حسب إلى قحطان متَّ وعدَّ يعرب حين عدَّا

وكـفـى بـه فـخـرًا إذا ... مـا عـدَّ فـهـرًا أو مـعـدا
نـحـنُ الـكـرام الـسـابـقـو ... نَ إلى العُلى قبلًا وبَعدا
مَـن شـامَـنـا شـام الـحـيـا ... ة وشـام بـرق ردًى ورعدا
لـمـا تـزل عـزمـاتـنـا ... قـداحـةً زنـدًا فـزنـدا
مـن بـات مـرمًـى لـلـحـوا ... دث صـيـر الـعـزمـات سـردا

* * *

سـيـروا إلـى وصـل الـذي ... يـشـكـو مـن الأهـلـيـن صـدَّا
عـبـثـت بـه أيـدي الـضـنـا ... وتـركـنـه عـظـمًـا وجـلـدا
وبـرغـم كـل هـدايـةٍ ... أضـفـى الـضـلالُ عليه بردا
وأخـاف إن وقـف الـعـلا ... ج مشى إلى الباقي فأعدى

* * *

سـيـروا نـذبُّ عـن الـحـمـى ... ونـردُّ عـنـه الـمُـسْـتـبِـدَّا
نـحـمـي حـمـى أوطـانـنـا ... وتـصـونـهـا غـورًا ونـجـدا
ونـردُّ عـنـهـا مـن عـدا ... ظـلـمًـا عـلـيـهـا أو تـعـدَّى
سـيـروا نـؤلـف شـمـلـهـا ... ونُـعـيـدهـا عـقـدًا فـعـقـدا
إن كـان حـربٌ فـابـتـنـوا ... لي في بطون الطير لحدا
أو كـان سِـلـمٌ فـاجـعـلـوا ... ذاك الـثـرى عـيـنًـا وخـدَّا
تـالـلـه لا أرضـى الـحـيـا ... ةَ أرى لديها الخسف وردا
أيـروق لـي عـيـش أرى ... فـيـه الـكـريـمَ الـحـرَّ عـبـدَا
وإذا نـظـرت إلـى الـهـوا ... نِ رأيت طعم الموتِ شهدا
إن لـم تـكـن تـجـدي الـحـيـا ... ةَ بـعـزهـا فـالـمـوت أجـدى

* * *

أنـا لـم أكـن لـلـمـجـد إن ... لـم أبـتـنِ لـلـمـجـد مـجـدَا
مـن شـاقـه وصـل الـحـبـيـ ... ـب قضى ليالي الهجر سهدا
نَـفـسـي ومـا مـلـكـت يـدي ... لك يا حبيب النَّفس تُهدى
مـن يـفـتـدي أوطـانـه ... لـم يـودِ إمَّـا قـيـل أودى
الـذكـر أبـقـاه الـذي ... كـانـت لـه الأوطـان خـلـدا

لا تحسبوا أوطاننا هندًا نَجِنُّ لها ودعدا
هي نور أعيننا التي أبدًا نُراح بها ونُغدى
أوطاننا أرواحنا بل إنها بالروح تُفدى
أو تستعاض بِنِدِّها من ذا رأى للرُّوح نِدَّا
أبدًا نُطالب بالحقو ق حقوقنا أو نُستردا
أبدًا نُجاهد دونها ونُكافح الخصمَ الألدَّا
ونصد عنها مَن نَوى أو همَّ يومًا أو تَصدَّى

* * *

أخذ الأمان من الزما ن ومن تأهَّب أو أعدَّا
فلكم ليالٍ قد تجلت ثم عادت بعد رُبدا
سلني أُجبْك عن الزمان وقد تحدَّى مَن تحدَّى
إني خبرت الدهر سبـ ـطًا جاء بالحُسْنَى وجعدا
وفليت تاريخ الورى ونقدت هذا الخلق نقدا
ورأيتُ ذا كرمٍ يرو قك فعله ورأيتُ وغْدا
ولقيتُ عيشًا أنكدًا من بعدِ ما لاقيتُ رغدا
لم يسترحْ من بعدُ إلَّـ ا مَن يكن من قبلُ كدَّا

* * *

سيروا نَشِدْ لديارنا عدلًا يهدُّ الظلم هدَّا
ما كل مَن ساسَ الأنا م قضى فريضتها وأدَّى
شتان مَن ساس الورى عدلًا ومَن بهمُ استبدَّا
ولرُبَّ يومٍ خطبه عمَّ الورى عكسًا وطَرْدا
أرأيتمُ كيف انبرى الضَّـ ـاري وكيف قضى وحدا
صقل النيوب وقال كو نوا في نشوب الخطب دردا
إن تدعُه شبَّت لظا هُ وإن تدعْهُ ذاب وجدا
يا قلبُ كن حجرًا إذا ما قلَّبوهُ كان صلدا
من لان للخطب الشديـ ـد توقَّع الخطبَ الأشدا
يا قلب لا تجزعْ فقد بلغ المنى من كان جلدا

لا يأخذ الحدثانُ ممَّـ ـن كان في الحدثانِ فندا

* * *

بالله يا وطني أجب ما بال قلبك ليس يهدا
كلٌّ يبلُّ غليله مما رجاه وأنت تصدا
يرضيك تصبح للخراب وكنتَ للعمران مهدا
يا أيها الوطن الذي نادى بنيهِ واستمدا
وأسرَّ نارًا كُلَّما قيل اخمدي تزداد وقدى
ورمى بكلتي مُقلتيه ولم يَجِدْ من ذاك بُدا
يدعو كهولهمُ كما يدعوهمُ شيبًا ومُرْدا
لك من بنيك النُّجْب كلٌّ غضنفرٍ وقَّى وفدَّى
رَوِّحْ فؤادك واسترحْ فبنوك لا يألون جهدا
ستراهمُ كالبيض منـ ـضاة تقد الهام قدا
ستراهمُ كالأسد وا ثبةً ترد الخطب ردا
يكفيك أبناءٌ إذا عاينتهم عاينت أُسْدا
ركبوا الدجى جملًا كما ركبوا الصباح أقبَّ نهدا
قوم كآساد الشرى سميتهم في الروع جندا
قوم فضائلهم كنجـ ـم الأفق لا تُحْصِيه عدا

* * *

سيروا قواصد للمنى أو تبلغ الأوطان قصدا
وترى البلاد جميعها عَلَمًا طويل الظل فردا
يا حبذا العَلَم الذي إن تقصر الأعلام مدا
خلوا هُذيمًا خلفكم واستقبلوا من كان سعدا
وإذا بدأتم فاختموا تُنهى المسائل حيثُ تُبدا
خير المعاد معادُ مَن للخير أصبح خير مبدا

رضا الشبيبي

الشيخ محمد رضا الشبيبي.

رضا الشبيبي: نابغة النجف الأشرف في هذا العصر، شاعر عالم، ابن شاعر وعالم، أنجبه بيتُ دين وأدب.

شاب أنيس، منخفض الصوت، تبدو عليه سيماء العُلماء الذين أكمد لونهم الدرس الطويل، آية الأناة في تفكيره وكلامه وكتابته، غير مُكثر من النَّظم والنثر، لا ينظم باقتراح البتَّة، وهو الذي قال لي يوم طلبت إليه أن يُعارض قصيدة «يا ليل الصب»: «لا أعرف أمرًا يُقال له الطلب إلى الشاعر أن ينظم كيت وكيت، والشعر شعورٌ تجيشُ به النفس، ويصدر من القلب.»

هذا عن الرَّجل، أمَّا شعره فكما قلت فيه:

عقل راجح، نظر ثاقب، وخيال جميل.

صناعة عراقية، عليها مسحة عباسية، هذا شعره.

وُلد محمد رضا الشبيبي في النجف الأشرف في ٦ رمضان سنة ١٣٠٦هـ، ونشأ وفيه ميل غريزي موروث من والديه إلى تلقِّي العلوم والآداب؛ فدرس في مدارس تلك الحاضرة الكُبرى على أساتيذ مُختلفين عرب وعجم، ولم يستفد من أكثرهم غير التدرُّب والارتياض، ثم اشتغل بنفسه وانصرف إلى الدرس والتفكير بذاته؛ فكانت فطرتُه العالية أكبرَ معلمٍ ومخرج له، وبالخاصة في الحكمة والشعر والنقد والبلاغة؛ إذ نشأ مَفطورًا على هذه الأمور، وهو اليوم من حُذَّاق الفلسفة الشرقية وتاريخها. ثقة في مذاهب الحُكماء والعارفين، وله في هذا الباب فصول ومقالات ممتعة تشهد بعلو كعبه، وكذلك قصائده ومقطعاته.

ولا ريب في أنَّ الأُستاذ الشبيبي من أقطاب الحركة الفكرية والنَّهضة الوطنية في ديار العراق.

وقد ظهرت مواهب شخصيته البَارزة في ابتكاره الخطط السياسية في الظروف الحرجة، وإنَّ حنكته في هذه الأمور حملت القوم على انتدابه أثناء انعقاد مُؤتمر الصُّلح، إلى أداء مهمة خطيرة الشأن في الحجاز، قام بأدائها خير قيام على أثر وصوله مكة المُكرمة في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧، ثم فارق الحجاز إلى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك، وظلَّ في جِلَّق مع إخوانه المُجاهدين إلى أن نشبت الثَّورة في العراق، ففارق دمشق قافلًا إلى العراق بطريق البادية يوم الأربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩ (٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠)، ووصل بغداد في ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٩، حيثُ أَقبل على استئناف ما أخذ نفسه به من الجد والاجتهاد المُتواصل إلى الآن، وهو مُنصرف إلى الدرس والبحث

والتفكير والتأليف، وله آراء فلسفية وأدبية يطولُ شرحها، من ذلك رأيه أنَّ عناصر الشر في الحضارة الحديثة أكثر من عناصر الخير.

(١) آثاره

للشيخ الشبيبي جملة مؤلفات نفيسة، نذكر منها:

تاريخ الفلسفة: من أقدم عصورها إلى اليوم، ولا سيما الفلسفة العربية.

أدب النظر: في فن المناظرة.

تذكرة: في نعت ما عُثر عليه من الكتب والآثار النادرة.

فلاسفة اليهود في الإسلام: يشتمل على تلخيص فلسفة ابن كمونة وابن ملكان وغيرهما من مشاهير فلاسفة اليهود في الإسلام.

المسألة العراقية.

تاريخ النجف: تاريخ مطوَّل لبلدة النجف الأشرف قديمًا مع تطوُّر العلوم والآداب فيها.

المأنوس من لغة القاموس.

ديوان الشبيبي: يتضمَّن منظوماته في الأبواب المُتنوعة، وهي من أحسن الشعر وأجوده.

(٢) شعره

للأستاذ الشبيبي شعر بليغ كان له الأثر البيِّن في نهضة الأمة الأخيرة، وتربية عواطفها الشريفة، وإحياء ملكة البلاغة والبيان، في تلك البيئة النائية.

والمعروف عنه أنَّه قَلَّما ينصرفُ إلى قول الشعر إلا متأثرًا كما سبق ذِكر ذلك في وصفه، فتجيء قصائده حينذاك صورة حساسة حية تُعبِّر عن وثبات النفس، ونزعاته السامية، ولله قوله في هذا الباب:

ليس هذا الشعر ما تروونه إنَّ هذي قطع من كبدي

(٣) نثره

أمَّا نثره فلا يقل عن شعره في مرتبة الفصاحة والبلاغة، وهذه مقالات في كثير من كبريات المجلات تشهد له بدقة البحث والتفكير والاستقراء، يرمي فيها غالبًا إلى استخراج القضايا العامة من تتبُّع الوقائع والحوادث الخاصة على أساليب كبار الكتاب والباحثين، وتمتاز مقالاته بتنسيق الأفكار، وتجويد الترتيب والتبويب.

دمشق وبغداد

ماذا بنا وبذي الديار يُرادُ ... فُقِدت دمشق وقبلَها بغدادُ
من موطن الميعاد قامت نُزَّعًا ... خيل لهن بجِلَّقٍ ميعاد
ساءتْ وقائعها وما سرَّت بها ... لا الهجرةُ الأولى ولا الميلاد
وردتْ مياهَ الرافدين مغيرةً ... شقرٌ من القبِّ البطونِ وِراد
هجنٌ شأونَ من الجياد كرائمًا ... عربية فكأنهن جياد
برَدَى وأوديةُ الفرات ودجلة ... والنِّيل غصَّ بمائِها الوُراد
نَبَأ بأعلى قاسيون تجاوبتْ ... بِدويِّه الأغوارُ والأنجاد
وأصاب بحر الروم حتى عبَّرت ... عن شَجوه الأمواج والأزباد
أعيادَ هذا الشرق صرتِ مآتمًا ... لكنها لعداتنا أعياد
لسنا نحد عليك يومًا واحدًا ... أو ليلة، كلُّ الزمان حِداد
الجوُّ وهو مقطِّبٌ متجهمٌ ... يبكي لنا والأرض وهْي جماد

* * *

يا راكبين إلى دمشق تزوَّدوا ... منِّي السلام لكلِّ ركبٍ زادُ
الملك مضطرب النظام كأنه ... جسدٌ دمشق والشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها ... ولرائديها مربع ومراد
وهل الرُّبى حلل ضوافٍ طُرِّزت ... وطرازها الأزهار والأوراد
وشيت من الرَّوض الأريض مطارف ... خضر الأديم وفوفت أبراد
أَوَما تزال على معاهد جِلَّقٍ ... ترد الضيوفُ وتصدر الوفاد
يحلو لها هذا القريض مهَذَّبًا ... ويروقها الإنشاء والإنشاد

غدتِ العواصم خِطةً مغزوَّةً ... لا الخيل تعصمها ولا الأجناد
لا آل حمدانٍ ولا أيامهم ... فيها لهاتيك الثغور سداد
الذاهبون مضى لنا بذهابهم ... في الله جدٌّ دائمٌ وجهاد
أخذوا المضايق والدروب تغلغلت ... فيها الجيوش وأمعن القواد
خُنَّا ذمام الفاتحين وعهدهم ... ما هكذا تُستنجب الأولاد
إنَّا بما نجني وهم فيما جنَوْا ... بئسَ البنونَ ونعمتِ الأجداد

* * *

يا أيها الجيلُ الطريد كم انقضت ... فيما تحاولُ غارةٌ وطِرادُ
وَعَدتْ بغربتك الرواةُ وإنَّه ... حتمٌ عليك كما بدأت تُعاد
مما أضعتُم من تُراثٍ بابلٌ ... ومصانع الخُلفاء والأسدادُ
لم تخلفوا باني السدير بما بنى ... ومشيِّديه بما أتَوْهُ وشادوا
لولا التفكُّر في مصير بلادكم ... تالله ما ضاقت عليَّ بلادُ
إني أبيتُ لأجلها متململًا ... قَلِقَ الوساد وما لديَّ وسادُ
أضدادكم مُتساندون قد اجتنَوْا ... ثمر الوفاق وأنتمُ أضداد
نبذوا لكم ثمن البلاد وفيكمُ ... من لا يشك بأنهم أجواد
وعدوكم الإصلاح فلتتوقَّعوا ... برقًا جوائب وعده إيعاد
إطلاقُ أيدينا على أيدي العِدا ... رِقٌّ وفكُّ إسارنا استعباد
مدُّوا الحديد وما اهتززت لمدِّهِ ... سكك الحديد بأرضنا أصفاد
طرق الحديد إذا الْتوتْ وتشابكت ... شبك به شرف البلاد يُصاد

* * *

هل في غياض الدردنيل مجاوبٌ ... إن قُلتُ لمْ لا تَزَأْرَ الآسادُ
خُرْس المقاول ناطقون دهاهم ... ريبُ الزمان وغُيَّبٌ أشهاد
يتزوَّدون من التجلُّدِ كُلَّما ... خفَّ المتاع وقلَّتِ الأزواد
مِن كلِّ قاصيةٍ لأُخرى لم تُحَطْ ... تُجبى الجنود وتُجلبُ الأمداد
ما بين مصرٍ والحجازِ تطاحُن ... ومن العراق إلى الخليج جِلاد
رُفع الهلال عن السماء وقد خبا ... أو كاد ذاك الكوكب الوقَّاد

* * *

يا للزريَّة كم تُفرِّق بيننا ... وتُضلنا الأضغان والأحقاد
جارت علينا عُصبةٌ روحيَّة[1] ... شقِيتْ بها الأرواح والأجساد
راجتْ نقائصها ولكن آذنت ... برواجها إنَّ الكمالَ كسادُ
وعظت شيوخ لو أصابت لارعوت ... ولنال منها الوعظُ والإرشاد
بكت المنابرُ إن تنزَّتْ فوقها ... تلكَ القرود وناحت الأعواد

* * *

شرع سواء من شيوخ آمنوا ... إيمانهم والجحد والإلحادُ
ذلوا بحبهمُ «المعاش» وبرهنوا ... أنْ ليس من بعد المعاش معاد
ذهبوا بدعوى في الصلاح عريضة ... إن الصلاح من الشيوخ فساد
يتثاقلون ويجبنون عن العلى ... ليُقال إن شيوخنا زهَّاد
لا يحسدون على المعالي أمَّةً ... وهمُ على عَلَّاتهم حُسَّاد
حسبُ البُغاة الظالمين تربص ... بالمسلمين وحيلة وكيادُ
إن الزعامة سُلِّمت لزعانفٍ ... في الشرق قادوا أهله فانقادوا
انظر إلى الأعجاز كيف تصدَّرت ... وعمائم السادات كيفَ تُساد
شر العصور وفي العصور تفاوت ... عصرٌ به تتقدم الأوغاد

صيداء

نُظمت في مدينة صيداء الشهيرة إثر زيارته لها سنة ١٣٣٨ / ١٩٢٠ حيث كان لربيعها الأنيق أثر عظيم جدًّا في نفسه، وقد وصف فيها نزول الثلج الكثير في ذلك العام.

عروسٌ من البلدان ليس لها مهر ... ومصر سبتني لا الصَّعيدُ ولا مصرُ
وما هيَ لما قلَّدتنيَ نعتها ... وشاطئها إلا القلادة والنَّحرُ
أَمَا انتظمت نظم القلائد: دورها ... لآلئ أصداف وحصباؤها درٌّ
وغير كثير من بدائِع بلدةٍ ... كصيداءَ إن أُغرَى بها إنها سحر

[1] المقصود بهم علماء السوء الذين وردت بذمهم الآثار.

وما هيَ إلَّا الشِّعر صِيغَ مدينةً ... فأنَّى يُواتيني لأنعتَها الشعر
وما راق من صيداء إلَّا بشاشةٌ ... وإلَّا ابتسام مثلما ابتسم الثَّغر
ذروا مِنةَ الأفلاكِ عنَّا لقد بدتْ ... لنا الشمسُ من صيداء وارتفع البدْر
وهل أنا في صيدا كلَّا وإنَّما ... أُزيحَ عن الفردوس لي ولها سترُ
رحلتُ إليها بالصبابة إنها ... مَرامُ فتًى مثلي صباباتُه كُثر
عمدتُ إلى كأس السُّلوِّ فَذُقتها ... وكأس الهوى طعمانِ أحلاهما المُرُّ
ديون لصيداء عليَّ ضمانُها ... ورهنُ وفاها أنني رجل حُرُّ
أيادٍ حميدات أرى الشكر دونها ... ورُبَّ أيادٍ لا يقوم بها الشكر
ومعتدلٍ طبق المزاج مزاجها ... فلا بردها بردٌ ولا حرُّها حرُّ
وما أنتِ يا صيداء إلَّا مَلَاءَةٌ ... من الورد محبوبًا لرائدكِ النشرُ
تُرجِّل إن هبتْ غدائرك الصبا ... ويغسل بالأمواج أرجلَك البحر
جبالك تحنانًا عليك عواطف ... ومُحْدَوْدباتٌ مثلما احدودبَ الظهر
أبتْ جملة الأشياء إلَّا لطافةً ... بصيداء حتى أنتَ يا أيها الصَّخر

* * *

وإنْ أَنسَها لم أنسَ منها صبيحةً ... تساقط فيها الثلج وانبعثَ القر
فأمواجها زُرْقٌ بديعٌ صَفَاؤها ... وأَجْبُلُها بيضٌ وأربعها خضرُ
ألمَّ بصيداء المشيبُ مُبَكِّرًا ... وأسرعَ فيها وهْي غانية بكرُ
فما زادها إلَّا شبابًا وفسحةً ... من العمر طالت كلَّما انكمش العمر
مواسم صيداء من الثلج وُضَّحٌ ... وأيام صيداء محجَّلةٌ غُرُّ
أمن شجر الليمون هذا تجلببت ... جلابيب قطنٍ أبيضٍ أكر جمر
لقد غمرتْ إلَّا بقايا كأنها ... عيون بُزاةٍ دأبُها نظرٌ شزرُ
أيا شجراتٍ في كوانين أصبحتْ ... كوانينَ مُلقًى في جوانبها جمرُ
أفي شكل مبيضٍ من الثلج أُنزلتْ ... عليكِ من الله النزاهة والطُّهر

* * *

لقد أطلقت صيداء طائر أيكةٍ ... ببغداد أعياهُ وأرهقه الأسر
غريب من الأطيار فيها توافرت ... خوافيه واشتدتْ قوادِمُه العشر
وأزعجني من بلدتي مُزعِجُ القطا ... فهل أنت لي صيداء لا بلدي وكرُ

تـمـايـلـتُ لا سـكـرًا ولـكـن تَـعـلَّـةٌ بذكراك أو ذكرى العراق هي السكر
نعم لم يزل يعتاد قلبي اضطرابهُ كما اضطربتْ ضمن الشباك القطا الكدر
أأنسى زمان الكرخ والكرخ معرس وتذهب عن ذكري الرصافة والجسر

* * *

هوى البحث أقصاني ومالِيَ جانب أبى الله عن زوراء دجلة مزوَر

«مجالس الأدب في صيدا»: من اليمين الصف الأول: عبد السلام شهاب، أحمد عارف الزين، سليمان الظاهر، محمد رضا الشبيبي، الشيخ أحمد رضا، توفيق عسيران. الصف الثاني: أديب الزين، حسين عسيران، الدكتور شريف عسيران.

باطل الحمد ومكذوب الثنا

من جملة قصائده السائرة في أنحاء الأقطار التي يقطنها الناطقون بالضاد.

فتنة الناس، وُقينا الفتنا ... باطل الحمد ومكذوب الثَّنا
رُبَّ جهمٍ حوَّلاه قمرًا ... وقبيحٍ صيَّراه حسَنا
أيُّها المُصلح من أخلاقنا ... أيها المصلحُ ألداء هنا
كُلنا يطلب ما ليس له ... كُلنا يطلبُ ذا حتى أنا
رُبَّما تعجبنا مخضرَّةً ... أربُع في الأصل كانت دمنا
لم تزل ويحك يا عصر أفقْ ... عصرَ ألقابٍ كبارٍ وكُنى
حكم الناسُ على الناس بما ... سمعوا عنهم وغضُّوا الأعينا
فاستحالتْ، وأنا من بعضهم ... أذني عينًا وعيني أذنا
أخطأ الحقَّ فريقٌ بائس ... لم يلوموا ولاموا الزَّمنا
إننا نجني على أنفسنا ... حين نجني ثم ندعو من جنى؟
بلغَ النَّاس الأماني حقةً ... وبلغناها ولكن بالمُنى

* * *

خسرت صفقتكم في معشرٍ ... شرَوُا العارَ وباعوا الوطنا
أرخصوه ولو اعتاضوا به ... هذه الدنيا لقلَّتْ ثمنا
يا عَبيدَ المالِ خيرٌ منكمُ ... جهلاءٌ يعبدون الوَثنا
إنني ذاك العراقيُّ الذي ... ذكر الشام وناجى اليَمنا
إنني أعتَدُّ نجدًا روضتي ... وأرى جنة عدني عدَنا

* * *

أيها الجيل اكتشفْ لي حاضرًا ... كُلَّما خرَّب ماضيك بنى
ينهض الشَّعب فيمشي قُدُمًا ... لو مشى الدهرَ إليه ما انثنى
حالة النفسِ التي تسعدها ... وتُريها كل صعب هَيِّنا
ففقير مَن غِنَاه طمعٌ ... وغنيٌّ مَنْ يرى الفقر غنى

أغاريد الروح

شَغَلَ السمير جوارحي وشغلتمُ ... روحي فكنتم دونه سُمَّارَها
أنَّى تهش إلى حديث محدث ... روح تكاشف مثلكم أسرارها
ما شأن جثماني وما أوطاره ... النفس بالغة بكم أوطارها
ما آثرتكم بالولوع وإنما ... جهل الورى وعرفتمُ مقدارها
نلتم حقيقتها التي خلصت لكم ... طوعًا ونال سواكمُ آثارها
خانتك في حجب الغرام ضمائرٌ ... كان الغرام ولا يزال شعارَها
عيُّ اللسان لأن روحك وقعت ... ألحانها وتناشدت أشعارها
العود والوتر الفصيح لأنفس ... جس الهوى بمروره أوتارها

يا رجال الغد

اقترح نظمها بعض أساتيذ دار الفنون في صيداء لتُتلى في المدرسة ويحفظها التلاميذ.

أنتمُ — متعتمُ بالسؤددِ ... يا شباب اليوم — أشياخُ الغدِ
يا شبابًا درسوا فاجتهدوا ... لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم أوطانكم ... ولقد آنَ نجاز الموعدِ
أنتمُ جيلٌ جديدٌ خلقوا ... لعصورٍ مقبلاتٍ جددِ
كوَّنوا الوحدة لا تفسخها ... نزعات الرأيِ والمعتقدِ
أنا بايعت على أنْ لا أرى ... فُرقةً، هاكم على هذا يدي
عُقَد العالَم شتى فاحصروا ... همكم في حلِّ تلك العقَدِ
لِتكنْ آمالكم واضعةً ... نصبَ عينيها حياة الأبدِ
لِتعشْ أفكاركم مُبدعةً ... دأبها إيجاد ما لم تجدِ

* * *

لا ينال الضيم منكم جانبًا ... غير ميسور منال الفرقد
أو تخلونَ وأنتم سادة ... لأعاديكم مكان السيد
الوفا حِفظكمُ أو رعيكمْ ... بعدَ عهد الله عهدَ البلد

لا تمدوها يدًا واهية ... ليدٍ مفرغةٍ في الزَّرَد
تشبه الأرضُ التي تحمونها ... عبثَ الأعداء غاب الأسدِ

* * *

دبروا الأرواح في أجسادها ... فاق داءُ الروح داءَ الجَسَدِ
إنَّ عُقبى العِلم من غير هدًى ... هذه العقبى التي لم تحمدِ
من أتانا بالهدى من حيث لم ... يتأدب حائرٌ لم يهتد
غير مجدٍ أن جهلتم قدركم ... عدد العلم وعلم العدد
إذا لم ترصدوا أحوالكم ... لم تفدْكم دَرَجات الرصَد
وإذا لم تستقِمْ أخلاقكم ... ذهبَ العلم ذهابَ الزَّبد
عَدِّ عنكَ الرَّوضَ لا أرتاد لي ... غيرَ أخلاقٍ هي الرَّوض الندي

* * *

بوركت ناشئةٌ شرقية ... نشأت في ظلِّ هذا المعهد
مَن جنى من علمه فائدةً ... غير من عاش فلم يستفِدِ
ما يُرجَّى ليت شعري والدٌ ... أهمل التعليم عند الوَلد
سيرةُ الآباء فينا قدوة ... كل طفلٍ بأبيه يقتدي

* * *

ليس هذا الشعر ما ترووونه ... إنَّ هذي قِطَعٌ من كبدي

خواطر وخيالات

من نظمه في أوائل شبيبته:

هيَ خطرةٌ لكَ من وراء سجافِ ... هزَّتْ على بُعد المدَى أعطافي
ما أبصرتك ولا رأتك نواظري ... حتى رآكَ على الخفارِ شغافي
متجردٌ خلعَ الكثيفَ ولم يزل ... يسعى إليك بجوهرٍ شفافِ
تشقى النُّفوس مع الجسوم وهل ترى ... للدرِّ معنًى وهو في الأصدافِ
ماءانِ جازَهما الظماء: فآجنٌ ... طَرِقٌ إلى جنب المعين الصافي

إن لم أردْ تلك التي تُروي الظما فلَرُبَّما نَقَعَ الظَّما إشرافي
خير الوصالِ طبيعةٌ إذ طالما ظهر التطبُّعُ في وصال الجافي

* * *

يا ناشدي الأثر الجديد استيأسوا من طول نشدانِ القديم العافي
بقي القديمُ وإنما جددتمُ ضَرْبًا من الأسماءِ والأوصافِ
ولقد عثا سيلُ الوجود ومذهبي أنَّ الورى ذاك الغثاء الطافي

* * *

خير الحوادثِ ما أنارت شُبهتي وجلتْ عمايَ وجددتْ إرهافي
تلك الخطوب وما أجلَّ عديدها مَلكت يدي وتعاورت أطرافي
أسرفتُ آمنُها وهذا منتهى ما كان من شططي ومن إسرافي
خيرًا أرى لكِ أنْ أخافَ لتأمني يا نفس من أنْ تأمني لتخافي
لي نيَّةٌ للدهر فيها نيَّةٌ والحُكمُ للمستقبلِ الكشَّافِ

بين العراق والشام

من أبياتٍ أنشأها أواخر أيام إقامته في دمشق، وقد اشتاق جدًّا إلى العراق.

ببغداد أشتاق الشآمَ وها أنا إلى الكرخ من بغداد جم التشوُّقِ
فما أنا في أرض الشآم بمشئم ولا أنا في أرض العراقِ بمعرقِ
هما وَطنٌ فرْدٌ وقد فرَّقوهما رمى الله بالتشتيت شمل المفرِّق
إذا قمتَ نصب العين يا عهدَ تدمر ذكرت ادِّكار الطيف عهد الخورنق
وهل بلد أولى من الشام بالهوى وبالحبِ أَجْدِرْ في دمشق وأخلق
رهنتك يا بغداد قلبي ومن تكنْ رهينته قلبًا ببغداد يغلق
علا الشيَبُ آمالي ولم يعلُ عارضي وبيَّضَ قلبي قبل تبييضِ مَفرِقي

منها:

إلى الآن لا يُستملح الشعر إن علا ... ولا يُستجاد القول إن لم يُلفَّقِ
قريض طلولٍ عافياتٍ وأربُع ... وشعر جمالٍ سائراتٍ وأنيق
مقيدةٌ أبوابه وفنونه ... وأدهى دواهي الشعر تقييد مطلق
ويا رُبَّ حسناء الأعاريض تتقى ... وتهجر كلَّ الهجر إن لم تُطلَّق
إذا لم يجئكَ الشيء عفوًا تحامَه ... وإن لم يَسعك الخلق لا تتخلق

بين العقل والعواطف

واقعة حال

قلبي يريد بلا غِبٍّ زيارتكم ... والعقل ينهاه إلَّا بعدَ إغبابِ
قضيَّةٌ بقياس الروح موجبةٌ ... وللنهى جنبتا سلبٍ وإيجاب
ما أنتَ ممن يريد الحبَّ فلسفةً ... يا قلب ذات براهين وأسباب
تنبَّهَ العقل للسلوى يُحَرِّكني ... فنبَّهتْ حركاتُ الشوق أعصابي
ما زال في الصلوات الخمس ذكركمُ ... نجوى مصلايَ أو تسبيح محرابي
لم أدرِ ما أتهجَّى غير أنكمُ ... في اللحنِ لحني وفي الإعراب أعرابي
قد يحجز الدهر ما بيني وبينكمُ ... مُذ ساعةٍ فأراها منذ أحقاب
وطالما صرتُ في وجهٍ فلم أرَني ... إلَّا وقد عَلِقَتْ يُمناي بالباب

* * *

يا راقدي الليل منجابًا ظلامهمُ ... ظلام ليليَ هذا غير منجاب
يا سادتي لثم أيديكم على شفتي ... فضل وإلا فقدري لثم إعتابي
نادَمتكم من مكاني واصطحبتكمُ ... وإنْ أكن مُستقلًا بين أصحابي
ما ضرَّني مظهري فيكم بلا رتب ... ولا ظهور بأنباز وألقابِ
كأنَّ معطي الهوى لم يُبقِ باقيةً ... من الهوى لِلِداتي أو لأترابي
ما أنصف الحب لا تُحصى شواهده ... من شكَّ أنكمُ في الله أحبابي

لغة الحب، أو مثال من الشعر الخالد

تفاهمتا عيني وعينك لحظةً وأدركتا أنَّ القلوب شواهد
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى من القلب مدلولًا على القلب رائد
كأن الذي حاولتُ ثَمَّ وحاولتْ من الحُبِّ معنًى بيننا مُتوارد
أحادِيثُ لم تُلفظ وللنفس منطق وجيز وألفاظ اللسان زوائد
إذا لم تجد في ظاهر الرأي علتي أما أدَّتا عيناي ما أنا واجد
وما خير رأس لا تبين لناظر على طرفة من ناظريه المقاصد

* * *

جباه الذين استهجنوا الحُبَّ كزة وأوجههم شر الوجوه الجوامد
كَثير محبوك الذين تجلدوا وأمَّا الذي جارى هواك فواحد
صرفت إليك النفس عن شهواتها وجاهدتها، ما حبُّ من لا يُجاهد
وما طال عهدي بالقَصيدِ ومن رأى لكم نظراتي قال هنَّ القصائد
دواوين هذا الشعر تفنى وللهوى هوى الرُّوح ديوان من الشعر خالد

الهوى لا شك فيه

إذا الشك اعتراكِ بكل شيءٍ وَرابك في الوجود وساكنيه
ثقي بهوًى تبوَّأَ من فؤادي مكانًا لا يليق الشك فيه

محمد حبيب العبيدي

محمد حبيب العبيدي.

محمد حبيب العبيدي: اطلب ترجمته ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

(١) آمال وآلام

إذا لم يمحِّص من شوائبه الودُّ ... فلا سالمت سلمى ولا واصلت هندُ
أرقتُ وعاف الليلُ وصلي وعفتُه ... وما زال حتى الفجر يعبث بي السهد
كأنَّ الكرى صب كأني رقيبه ... كأنَّ الدُّجى قلب كأني به وجد
وبي تحت جنح الليل نار هواجس ... بنور سناها تهتدي العمي والرمد
أُصعِّد أنفاسًا كأن شرارها ... كواكبُ ليلٍ ملء أحشائه وقْد
أُصعِّد أنفاسًا نضحن بعبرة ... على كبد العلياء من حرها برد
كأنَّ فُؤادي خافقًا بين أضلُعي ... بقية أوهام تخللها نقد
فؤادي فرت كف الخطوب إهابه ... فقل في حراب شف عن وخزها جلد
طويتُ على وخز الضمير جوانحًا ... أهاب بها دون التَّجلد ما يبدو
أعاتب دهرًا لم ترعني صروفه ... ولكن حرًّا كاده في الوغى عبد
وما صدني عن منهج الحق باطل ... ورُبَّ همام زاد في عزمه الصد
بكيت شبابًا مَزَّقته يد الضنى ... على أنه للدهر من نسجه برد
وما أسفي أني أموت صبابة ... ولكنَّني آسى ليومٍ له وعد
أماني عافت دون ضوء نهارها ... دياجرُ ليلٍ كان يخبو به الزند
سأرعى نجومًا دائبات على السرى ... وأرقب فجرًا ليس من ليله بد
فيا وطني إن لم ترق فيك عيشتي ... فسوف يروق العيش يومًا لمن بعد
ويا أمة حنت لسالف مجدها ... ليهنأْ برغم الدَّهر يومًا لك المجد

* * *

سيحمد يوم الروع غير كماته ... وينـدب أبْطَالًا له موكب فرد
كأني بعدنان وقد ضاء فجرها ... ولاح بذيل الأفق طالعها السعد
كأنهمُ شمس كأنَّ الهدى ضحى ... كأنَّ بني الغبراء في ظلهم وفد
كأنَّ العُلى حلي كأنهمُ يد ... كأنَّ الورى جيد كأنَّهم العقد
ومن رد في نحر العِدى سهم كيدها ... كفته العِدى شرًّا وأهنأه الرد
فيا ابن الغد المأمول والزهر باسم ... ربيب دموع من كرامٍ له جدوا
أهابوا بأقلام كأنَّ صريرها ... خلال بروقٍ من قرائحهم رعد
أهابوا بأقلام كأنَّ مدادها ... قذائف نارٍ والطروس لها وقد

بعيشك عيش الرَّغد هل أنت ذاكر عظام عظام منهمُ عيشك الرغد؟
فَمُرَّ بهم يومًا وحَيِّ قبورهم بأزهار علياء لها لحدهم مهد

* * *

عفاء على حر طواه زمانه وما لاسمه نشرٌ إذا ذكر الند
لدى هيكل لا تأكل النارُ جنبَه ويَفجُر ينبوعًا له الحجر الصلد
ربيب الحمى هل أنت موفٍ بعهده؟ عليك أيا راعي الحمى للحمى عهد
أترعى بروض ثم تغفل وَرده؟ عليك حرامٌ ذلك الروض والوَرد
أتروي بماءٍ ثم تهمل وِرده؟ عليك حرامٌ ذلك الماء والوِرد
ظلمت ديارًا أقفرت جنباتها وأمحلن لا شيح هناك ولا رند
فلا سقت الأنواء إلا مفاوزًا بطون ثراها — لو وعت — للعلى لحد
مراتع غزلانٍ تحرم صيدها مصارع أُسْدٍ حل منها لنا الصيد
دفنَّا بها مُلكًا وعزًّا ومفخرًا جنائز مجد نعيها للورى مجد
رثاها كتاب الله والوحي مثلما بكاها الهدى والحزم والعزم والرشد
دفنَّا بها نورًا لبسنا بهاءه ولكنه سرعان ما أخلق البرد
فهل من لعاب الشمس حِيكت ثيابُنا؟ على أنَّ خيط الفجر في الأفْق ممتد

* * *

متى تنشر الأموات من طي رمسها وتمشي الهُوينا من مرابطها الأُسْد؟
رويدك ليس الأمر مزحة عابث ولا تصدق الآمال إن كذب الجد
عفاء على الدُّنيا إذا غَمَّ خيرها وعارٌ إذا ينزو على منبر قرد
وطئت بأقدامي جباهًا حريصةً يلوح بها سطر من الذل مسود
حرام سجود المرء إلا لرَبِّه وقَدٌّ حناه الذل أولى به القِدُّ
إذا مخرت فلكٌ إلى ساحل المنى فأوشكْ بجزرٍ للمنى بعده مَد
يعز على المكسال يقضي لبانة ولا يقطع البتار يصحبه الغمد
وخير أمانيِّ الرِّجال أولي النُّهى سطورٌ مِنَ التَّاريخ يحمدها الخلد
لئن كان في الإثراء حلية عاطلٍ فإنَّ كريم النَّفس حليته الحمد
رعى اللهُ آمالًا خبا الزند عندها وخفف آلامًا ورى عندها الزند

(٢) أشِعْر أم شُعُور

أرى كل طيرٍ غرَّدتْ تستفزني ... عدمتُ شوادي الطير ما لي وما لها
وإن بارقًا أبصرتُ أَجَّجَ زفرتي ... وإن أشرقتْ شمسٌ ذكرتُ زوالها
وإن حرَّكتْ أيدي النسائم ساكنًا ... خشيت على أوصال قلبي انفصالها
وترمي قِسِيُّ الفجر أفئدةَ الدُّجى ... فأشكو كما تشكو النجوم نبالها
أُنَهْنِهُ من دمعي إذا الشمس آذنت ... بغرب وذيل الأفق وارى مثالها
وبي هاجسٌ من كل لوحة فطرة ... أُشاهد معناها وأقدر حالها
فتحزنني هذي وتلك تسرني ... وكلٌّ معانٍ قد جهلت مآلها
كأنيَ صب تيَّمته مليحة ... فصار يرى في كل شيءٍ خيالها
ولا ظبيَ لي أشكو إليه جناية ... عليَّ ولا خود أروم وصالها
أظن لروحي من ورائيَ غادة ... وقد حجبت عَنِّي لأمر جمالها

* * *

بعمرك ما سر الوجود بغامض ... وإن جهلتْ منَّا اليمين شمالها
وما سترت شمس الحقيقة نورها ... وإن عميت أبصار قوم حيالها
وما هذه الأكوان مزحة عابث ... ولو فقه الإنسان هاب جلالها
حرام على الإنسان يشقى بعقله ... وعار إذا ترضى الهداة ضلالها
مهيب صدى الأفلاك في قبة الدجى ... تسائلنا هل من يجيب سؤالها
وفي ساحة الأرواح نغْمة شاعر ... تميد به الدنيا إذا هو قالها
متى يخلع الإنسانُ ثوب غروره ... وتلبس نفس بعد نقص كمالها
تَبطَّن غيًّا واستباح محرَّمًا ... وحرَّم من هذي الحياة حلالها
فلو نطقت أرض شكت من سمائها ... وحتى سهول الأرض تشكو جبالها
تسيل دموعي رحمةً لبني الورى ... فرُحماك ربي اقتصَّ ممن أسالها
أعوذ برب الأرض من شر أهلها ... ومن عثرات للورى ما أقالها
وما ينجلي خير الحياة وشرها ... إذا لم يُجرِّد مجتلوها نصالها

أشقى الشعوب

أشقى الشعوب أقلُّها علمًا وأكثرها شقاقا
فأعيذ قومي منهما وأعيذ بالله العراقا

عزمت فسعدت

سـعـدتْ وربِّـك أمـةٌ عزمت على خلع الشقاء
شربت كئوسًا للرَّدى خاضت بحارًا من دماء

لا أرضى

يـا كـاتـب الأقـدار لا أرضى بأن تشقى البلاد
وقِّع على صك المنى بدمي إذا خان المداد

إلى متى؟

كل الندامى قد صحت إلا نديمي غير صاح
حتى متى وإلى متى في سكر غيك أنت صاح

لا تذبلي

لا تذبلي يا زهرة الـ آمال في زمن الربيعِ
فلكم خدمتك بذرة ولكم سقيتك من دموعي

(٣) العرب الكرام بين السيوف والأقلام

ألقاها بنفسه بين يدي جلالة الملك فيصل في الحفلة التي أُقيمت لجلالته في المدرسة الإسلامية بالموصل في صفر سنة ١٣٤٠هـ، وكان نظْمها وإلقاؤها برغبة من لم تسعه مخالفته.

الشعر والشعب

لقد آن للأقلام يعلو صريرها ... وللأُسْد أن يبدو جهارًا زئيرها
سلام على العهد القديم وأهله ... وما جددت بعد البزاة صقورها
وقفنا على التاريخ وقفة ناقدٍ ... وقد أرشد العميانَ منا بصيرها
أهبنا — وما في الحي صوت — بأمةٍ ... طوتها يدٌ للموت عزَّ نشورها
جسسنا بكف الشعر نبض شعورها ... فذاق به كأس الحياة شعورها
إذا الشعر لم يوقظ من الشَّعبِ راقدًا ... فلا قذفت درَّ القوافي بحورها
ورُبَّ قوافٍ من دموع نظمتها ... فكانت عقودًا والأماني نحورها
يعزُّ على عيني البكاء وإنما ... على ذكر أوطاني يفيض غديرها
على مجد عدنان وسؤدد هاشم ... وتاريخ قحطان يدر غزيرها
حرام على عرق لنا دم يعرُب ... يجول به إن لم يُحرَّر أسيرها
ونحن أباة الضيم من عهد تُبَّعٍ ... إذ الناس غربان ونحن نسورها
عتبتُ على الأيام وهي غياهب ... فما زلت حتى كان طرسيَ نورها
بكت قلمي الأقلام منذ كسرته ... ليهنك يا أقلام صح كسيرها
وما أكثر الأشعار وهي كتائب ... ولكن شعري بالأمير أميرها
هو الملك المقصود بالنصر تاجه ... كما كللت هامَ الرياض زهورها

المنايا والمنى

سلام على ذكرى لأبطال يَعرُب ... وقد صافحت أيدي الكماة ذكورُها
سلام على الأقيال من آل هاشم ... ولولا قناهم ما استقامت أمورها
أقاموا على حد الحسام بناءها ... وقد أُسِّست فوق اليراع قصورها
لا خير للأقلام فيما تخطه ... إذا لم تُعزَّز بالسيوف سطورها
لئن كان بالأشعار تُجلى حقائق ... فرُبَّ حقوقٍ بالمواضي سفورها
عبرنا على ظهر المنايا إلى المنى ... ورُبَّ أماني المنايا جسورها
لعمر الوغى لولا مضارب «فيصل» ... لما ضربت فوق السماكَيْن دورها

الهواشم من عهد هاشم

بني يَعرُب يا خير من وطِئ الثرى ... ويحمي الثريا — لو شكت — ويجيرها
عليكم حقوق للهواشم جمة ... ينوء برضوى — لو علاه — يسيرها
سلام على التاريخ من عهد هاشم ... وعهد بنيه يوم قام نذيرها
لقد علم البيت الحرام وأهله ... وما ضمَّت البطحاء حتى صخورها
غداة أعزُّ القوم نافَر هاشمًا ... فباء بذلٍّ — رغم أنفٍ — نفورها
ورُبَّ جفان كالجوابي أباحها ... لصادٍ وغادٍ راسيات قدورها
قرى الضيف حتى أشبع الوحش في الفلا ... وضافته حتى في السماء طيورها
شمائل أحيا عهدها اليوم «فيصل» ... كذلك يُحيي المكرماتِ كبيرها

الانقلاب العربي بمبعث النبي الهاشمي

سلامٌ على عهد الرِّسالة والتُّقى ... وقد جاء بالدين المبِين بشيرُها
رأى القوم فوضى والضلال مخيمًا ... وما العيش إلا ناقة وبعيرها
ويأكل بعض القوم بعضًا غوايةً ... ويعبث بالعاني الضعيفِ قديرها
وتُعبد أوثان وتُهتك حرمة ... وتَقضي على فضل العقول خمورها
وقد خلع الإنسانُ ثوبَ بهائه ... وقد عمَّت الأكوانَ منه شرورها
وفي الغرب أقوام جفت سنة الهدى ... وفي الشرق أقيال جفاها غرورها
فجاء بناموس السماء «ابن هاشم» ... يُطهِّر أرضًا قد علاها فجورها
حكى صوت موسى والنبيين قبله ... وعيسى ومن يُعزَى إليه زبورها
تلا الصحف الأولى وجاء متممًا ... بقرآنه ما أعوزته عصورها
لكل زمانٍ أو مكانٍ طبائع ... يضيء بمشكاة الشرائع نورها
وما الدين إلا واحد قد تعددت ... شرائِعُه حتى استقام أخيرها
أبت حكمة التشريع إلا تطوُّرًا ... يُناسبه من كل مصرٍ مصيرها
«لكلٍّ جعلنا شرعةً» خيرُ شاهد ... على أنَّ مقياس الشعوب دهورها
فأيُّ نظامٍ لم تُحوِّره أمة ... إذا اختلفت حسب الزمان أمورها
شرائع كانت للأنام أَهِلَّة ... وقد كملت «بالهاشمي» بُدُورها

فجاء بها سمحاء خير شريعة ... على عوج في الكون ليس يضيرها
كما ضم شمل العرب «فيصل» سبطه ... فسَرَّ العلى بعد الخفاء ظهورها
همام لقد قرَّت به عين جده ... وقد حمدت فيه الفروعَ جذورها

الفتوحات العربية بفضل البعثة النبوية: نحن وكسرى وقيصر

بدا النور من بطحاء مكة ساطعًا ... وضاءت به من أرض يثرب دُورُها
فمزَّق إيوانًا لكسرى مشيَّدًا ... وأخمد نيرانًا شديدًا زفيرها
وأجفل منه قيصر فوق عرشه ... وذلت له بصرى ودُكت قصورها
ثأرنا بسيف الحق من كل باطل ... وذل لنا جل الورى وحقيرها
فقولوا لكسرى يوم أصغر شأننا ... أأبصرت أي الأمتين صغيرها؟
رأيت سيوف العُرْب كيف تحكمت ... وصال على فيلٍ ركبتَ بعيرُها
إلى أين رَبَّ التاج هل أنت هارب ... رويدك هذي العرب كنت تجيرها
إلى أين رَبَّ العرش هل أنت هارب ... وراك حريم لم تصنها خدورها
حصونك لم تمنعك من آل يَعرُب ... وملء قصور قد سكنت قصورها
غرورك قد أشقاك لو كنت عالمًا ... وقبلك كم أشقى ملوكًا غرورها
ألم تك يا إيوانُ بالعُرْب هازئًا؟ ... فها أنت والتيجان معْكَ أسيرها
وقبلك دوَّخنا هرقل وتاجه ... فذلت بنو عيص وذل نصيرها
يحنُّ حنين السقب فارق أمه ... وقد لفظته كل أرضٍ ودورها
رفعنا على ملك العراقَيْن راية ... وفي الشام أخرى لا يضام خفيرها
وجفَّت بحار الرمل تحت خيولنا ... ودُك لنا من سهل سيناء طورها
إذ ارتعدتْ منا فرائص قيصر ... وحل بكسرى ويلها وثبورها
وهم جبروت الشرق أطواد عزه ... وفي طوعهم سهل الثرى ووعورها
فلم تُغنِ عنهم مانعات حصونهم ... من العرب شيئًا يوم شبَّ سعيرها
يذكرنا مجدًا نسيناه «فيصل» ... فلله رغم المنسيات ذكورها

نحن والشرق والغرب

عبرنا لأفريقاء وهي منيعة ... يعزُّ على قومٍ سوانا عبورُها
فيا خجلة الأهرام! أين حماتها؟ ... ويا ذلة الأقوام! هل من يُجيرها؟
وما مصر إلا دمية القصر إن بدت ... فلا كان ولدان الجنان وحورها
وراعت طرابلسًا بروقُ سيوفنا ... وبرقة حتى ما يهر هريرها
وتونس لم تقوَ لهيبة عزنا ... فغارت مجاريها وذابت صخورها
وطوَّق أكنافَ الجزائر جيشنا ... فما ذمَّ أطراف الشفار جزورها
وفي المغرب الأقصى تعالت رِمَاحُنا ... فكادَ يطول الشامخات قصيرها
وأندلس اهتزت لهَيبة طارق ... وخَرَّ صريعًا روذريق أميرها
وقد هزأت بابن السماء خيولنا ... فَمَا صان أرض الصين منهن سورها
وما بين بنجاب، رعى الله خيلنا ... وبين لوار وردها وصدورها
نُشرِّق طورًا في البلاد وتارة ... نُغرِّب لا تحمي البلادَ ثغورها
تخر لنا الأبطال في الحرب سُجَّدًا ... ويركع بالأقيال رعبًا سريرها
فذَلَّت لنا الأَملاك وهْي عزيزة ... ودانت لنا الأفلاك حتى أثيرها
فهل عجب أن غار للعرب «فيصل»؟ ... وأفضل أبطال الأنام غيورها

نحن والعدل والإحسان والحضارة والعمران

وكل بلادٍ قد وطئنا صعيدَها ... غدونَ رياضًا زاهياتٍ زهورُها
وأنبتن إحسانًا وعدلًا وحكمة ... وعِلمًا وفضلًا زاخرات بحورها
فقرطبةٌ في الغرب تزهو نجومها ... وفي الشرق بغداد تضيء بُدُورها
بنو عبد شمسٍ تقتفي إثر هاشم ... فعمَّ بلادَ المشرقين حبورها
وهبَّت لسيف الفاتحين بقية ... تعيب لدنيا حكمة تستعيرها
فيومًا إلى غرناطةٍ شَدَّ رحلها ... ويومًا إلى دار السلام مسيرها
خلقنا بسيف العدل شمس حضارة ... يُشعشع حتى الآن في الكون نورها
سلوا أُممًا سارت على ضوء رشدنا ... ألم تكُ قبلًا مُظلماتٍ عصورها؟
لئن كان قصر الخلد ليس بخالد ... فما أفنت الحمراء بعد دهورها
ورُبَّ عُصور سُميت ذهبيةً ... وقد كان لولانا عزيزًا نظيرها
وإنَّ رجائي أن تعود بـ «فيصل» ... وتبسم عن عهد الرشيد ثغورها

رحماك ربي ...

جهابذة التاريخ، هل من مُخبر ... عن العُرْب يومًا أين شالت نسورها؟
وماذا دهى قومي فبَدَّدَ شملهم ... كأن لم يكن مأوى العروش سديرها؟
وكيف هوى من أُمَّتي نجم سعدها؟ ... وكيف ذوى بين الرياض نضيرها؟
أما آن أن تحيا معالم مجدنا ... وتنشر موتانا وينفخ صورها؟
إليك إلهي المشتكى من ذنوبنا ... ورحماك ربي أنت أنت غفورها
تدارك بقايا أُمَّةٍ قام «فيصل» ... عُبَيدك يبغي هديها ويُجيرها
فخذ بيديه إنَّه ابن محمد ... نبيك مَن لولاه ما ضاء نورها

هما الثقلان

غفونا عن الأيام ملء جفوننا ... فلم ننتبهْ حتى استطارت شرورُها
ضللنا فلم نحفظ وصاة محمد ... وقد عطَّر الأَسْمَاع منا عبيرها
هما الثقلان آله وكتابه ... بدونهما لا تستقيم أمورها
أضعناهما حتى أضعنا نفوسنا ... وحلت مكان اللب فينا قشورها
فيا أُمَّة خانت عهود نبيها ... فكان كما شاء العدو مصيرها
ألم يكف ما عانى الكتاب وأهله ... وكيف بنا لو لم يُغثها غيورها؟
ربيب الهُدى رب الفضائل «فيصل» ... عميم الندى فذ المزايا كثيرها

جلالة الملك والتاريخ وقومه

هو الملك المنجي من الهلك قومه ... وقد زخرت بالحادثات بحورها
ورُبَّ حقوقٍ صان هيكل مجدها ... وما غيره يوم الحفاظ ظهيرها
وما هي إلا غيرة هاشمية ... تُجير برغم الدهر من يستجيرها
رأى أُمَّة قد مرَّ بالذل حلوها ... وكان بها يحلو قديمًا مريرها
رأى ضجة التاريخ يشكو لرَبِّه ... جفاء قرون نام عنه شعورها
لدى هيكل لا يندب المجد غيره ... وشقَّ له جيب القلوب صبورها

فعزَّ على ابن الوحي أن لا يُجيبه ... فتحمد آصال الزمان بكورها
فجدد عهدًا كان في المجد آية ... بمحلول نور الخلد خطت سطورها
مآثر كان الله بانيَ مجدها ... بأرضٍ هُدى جبريل كان يزورها
فيا ابن رسول الله شكرًا لعزمة ... يَسُر رسولَ الله يومًا مصيرها
أعرت بها التاريخ نظرة باسل ... حقيقًا بأن يحمي الحمى من يعيرها
حفظت بقايا قومك العُرْب بالظبى ... فلله أبطال سيوفك سورها
وأحييت حق الضاد من بعد موته ... فسَرَّ حماة الضاد منك نشورها
فضائل هز الشرقَ والغربَ سرُّها ... وخَصَّ بلادَ الرافدين سرورها
بكت عيننا حينًا وقرَّت بـ «فيصل» ... وما مثل باكي العين يومًا قريرها

جلالة الملك والعراق

تربعْ على عرش العراق مُهَنِّئًا ... وما فاز باللذات إلا جسورُها
وشيِّدْ قصورًا شامخاتٍ من العُلى ... جماجمنا إمَّا تشاء صخورها
ملكت قلوبَ الشَّعب يا ملك الهدى ... وقد مُلئت منك انشراحًا صدورها
لك العهد مِنَّا والوفاء شعارنا ... وشاهدنا يوم الحفاظ ذكورها
بأنك لو نبغي نذورًا لمجدنا ... فأرواحنا مثل الضحايا نذورها
حلا لك الآجال في حومة الوغى ... حلال لك الأموال حتى نقيرها
سنسعى إلى عزٍّ نُصيب كئوسه ... ولو أنَّ أيدي الموت كانت تديرها
ولو زحلٌ من دوننا كانَ حَائِلًا ... أشار له بالسيف مِنَّا مُشيرها
نصبنا له الأرصاد وهي مدارس ... يشق الفضا بالفن يومًا خبيرها
إذا أبحرت بالعلم والعدل أمة ... يكون إلى الشعرى العبور عبيرها
تصافح سكان السماء تطوُّلًا ... ويفضل أهل الأرض طرًّا أميرها
كأني بأرجاء العراق وقد شدت ... على أَثَلات العدل شدوًا طيورها
كأني بأرجاء العراق وقد غدت ... حدائق لكنَّ العلوم زهورها
كأني بأرجاء العراق وقد غدت ... سماء ولكنَّ الفنون بدورها
كأني بماء الرافدَيْن على الثرى ... يسيل لجينًا والنضار بذورها
كأنيَ بالحدباء مذ بك شُرِّفت ... قد اعتدلت قدًّا ودُقَّت خصورها

فأهلًا بمن رب السماء لجده لقد قال أهلًا يوم راح يزورها
جلالة مولانا المعظم فيصل ليحيَ كما تحيا بلاد يجيرها

(٤) نسيت وما أنسى

قالها في صباه ترجمها عن قصيدةٍ بالتركية من نظمه كذلك.

لقد ألبستْ قدَّ الربيع يدُ المزنِ ملابسَ خضرًا ذات لونٍ على لونِ
تفتَّحَت الأكمام عن كل زهرة وزهرة قلبي في كمائمَ من حزن
نديمة روحي كيف أنتِ فقد ذوى وقد كان يزهي قبل بعد النوى غصني
نديمة رُوحي بَعد بُعدك لم يكن ليضحك لا والله من جذل سِنِّي
أمرُّ بروضٍ كنتِ بعضَ وروده وكنتُ لذاك البعض من ورده أجني
فيا لوعة القلب المُصاب إذا بدت وورود خلت في الروض من ذلك الحسن
سلام على أحباب قلبٍ لحُسْنِهم بقية نقش في صحائف من ذهني
رعى الله من ورد الخدود مقبلًا ينمنمه دمع تحدَّر من جفني
رعى الله عهدًا كان يُحفظ بيننا وودًا طبعنا فوقه خاتم الأمن
رعى الله أسرارًا سكرنا بخمرها عشية ضمتنا يد السعد واليُمن
حبيبة روحي خنتِ بالعهد بُعدنا وما كان عهدي هكذا بكِ أو ظني
نسيتُ وما أنسى بشاطئ دجلة لواعج وجْدٍ حرَّكتها يد اللحن
نسيتُ وما أنسى هنالك بيننا سفيرًا لوعدٍ عنك يحكيه أو عني
نسيت وما أنسى أحاديث صبوة يرددها سجع الحمائم في أُذْني
نسيت وما أنسى من العمر ساعة هي العمر لو لم تعقب الوصل بالبين
حبيبة روحي أين أنتِ وهل لنا من الدهر يومٌ تلتقي العين بالعين
أيذبل ورد الوصل فينا وإنه ربيبُ دموع لم تزل منكِ أو مني
نحرت بلاد الروم يا غصنها فما لطائرِ قلبي في الجزيرة من وكن

(٥) العلم والعمل

إنَّ بالعلم حياة الأمم

نظمها لتلاميذ المدرسة الإسلامية في حفلة المعراج النبوي سنة ١٣٣٨.

ذكرتْ عهد الحمى من قدم ... فغدت تذرف دمعًا من دمِ
ولوت مثل اليتامى جيدها ... وكذاك الذل شأن اليُتَّم
وقفت تندب مجدًا ضائعًا ... في ديار عافيات الأرسم
وقفت ترثي كرامًا غبروا ... عرَّفوا الأقوام معنى الكرم
دوَّخوا الأقطار بالسيف كما ... دوَّنوا أسفارها بالقلم
وقفت تشكو إلى خالقها ... نكبة الشرق وذل المسلم
ولقد ذاب حشاها كمدًا ... فجرى من عينها كالعندم
وجرى مثل الأيامى دَمعها ... رُبَّ من يمسح دمع الأيم
أو كثكلى فقدت واحدها ... فهْي ما دام المدى في مأتم
من بنات العرب إلا أنها ... حسبوها من بنات العجم
موقف ينفطر القلب له ... ويلذ الموت في مزدحم
تلك عقبى الجهل يا بنت العلى ... ورزايا أمة لم تعلم
فاندب العلم لأقوام قضوا ... شهداء الجهل في حيهم
كيف تحيا أُمَّة جاهلة ... إنَّ بالعلم حياة الأمم

إنَّ بالسعي نجاة الأمم

وقفت والطرف منها شاخص ... وقفة الملتجئ المسترحمِ
بابتهالٍ يدها قد رُفعت ... للسموات بجُنح الظُّلَم
ربِّ رُحماك إليك المشتكى ... هل يفيق القوم من نومهم
رب إن القوم أُسْد ربضت ... وستلقى الموت إن لم تقم
فنهوضًا يا بني قومي إلى ... شرف عالٍ ومجد مُعلَم
حيثُ شمس السعي بادٍ نورها ... كاد أن يُبصرها حتى العمي

ليس للإنسان إلا ما سعى وأخو السعي حميد الشيم
فسلام الله يغشى أوجهًا لسوى نيل العلى لم تبسم
وسقى الغيثُ قبورًا لو درى أهلها ما قد جرى لم تنم
يا نيامًا ليتهم تحت الثرى عاينوا ما فوقه في الحلم
فاذرفنَّ الدمع يا جفن على أمة عضت بنان الندم

* * *

تلك عُقبى الهزل يا بنت العلى وتواني القوم في جدهم
فاندبي السعي لقوم كسلوا فأصيبوا بنبال النقم
كيف تنجو أُمَّة خاملة إن بالسعي نجاة الأمم

(٦) العلم والعلماء في الموصل الحدباء

نظمها لبعض تلامذة المدرسة الإسلامية في حفلة نبوية أقامتها المدرسة المذكورة سنة ١٣٣٩هـ.

سلوا الموصل الحدباء عن علمائها وقد أقفلت أبواب كل المدارسِ
إذا ما طوت كف الزمان علومهم وكانوا كأمثال الطلول الدوارس
فمن ينشر الدين المُبين لأهله ويحميه من طعنٍ به من معاكس
يُعلِّمهم أن يسألوا أمر دينهم ويكشف عن ليلٍ من الجهل دامس
سلام على عهد السلام وإنه سلام حزين دامع العين عابس
يُفَكِّر في حظ العمائم بعدها كما فكرت ناس بحظ القلانس
فيربط كفيه على قلب ثاكل ويمسح عن خديه دمعة بائس
ولو أبصرتْ عيناي للعلم ناصرًا لما كنتُ أبكيه بمقلة بائس
فيا لهفي للعلم من خفرائه إذا لم يكونوا دونه مثل حارس
ويا أسفى للمجد مجد محمد إذا ما انطوى يومًا بطيِّ المدارس
عليك سلام الله مني ابنَ هاشم وروحي فدا نعليك يا ابن الأشاوس
أترضى بنار الجهل تحرق أمة أنرتَ لها بالعلم أفق النفائس
كتابك فينا من يُفسرُه لنا إذا ما فقدنا كل هادٍ ودارس

حديثك من يرويه عنك مسلسلًا فنأمن فيه من شرور الدسائس
شريعتك الغراء من يهتدي بها إذا ما خلت منها حدود المجالس
فعطفًا رسولَ الله إنَّ مصابنا أليم لدى حظٍّ من الدهر تاعس
مُصابٌ عظيم ما نبُثُّك بعضه وأعظم منه ما بِطيِّ الهواجس
كأن صدور المسلمين مراجلٌ غَلت فوق نارٍ لا تضيء لقابس
فيا حسرات القلب هل لك مخرج وحتامَ فيهِ أنت رهن المحابس
إليك إلهي المشتكى من ذُنوبنا ويا نفس تُوبي من شرور الوساوس
ويا نفحات الفيض من أرض طيبة أتُقبل عند الله توبة يائس
عليك شفيعَ المُذنبين تحية من القوم من رطب هناك ويابس

(٧) نحن والمدرسة

نظمها لتلاميذ المدرسة الإسلامية.

هي الرَّوضة الغناء نحن ورودها بعرفاننا تزهو المحافل في الغدِ
سنأخذ من كل العلوم خيارها ونسعى إلى تأييد دين محمد

* * *

هي الغابة القعساء نحن أسودها تخضد يومًا شوكة المتمرد
سنقطف من كلِّ الفُنون ثمارَها لإحياء مجد الهاشميِّ محمد

* * *

هي الدوحة الشماء نحن طيورها فسمعًا لصوت الطائر المتغرد
سنُتقن عِلمًا نهتدي بسراجه لحكمة أحكام النَّبي محمد

* * *

هي الأُفُق الوضاءُ في غسق الدُّجى ونحنُ نجوم الأفق لاحت لمهتدي
سنحفظ عهد الدين والعلم والحجى سلام على عهد الرَّسول محمد

(٨) ألواح الحقائق

ألقاها بنفسه في المنتدى الأدبي العربي في الآستانة بعد خطابٍ ممتعٍ في الحرب الطرابلسية. وهي تقرب من خمسمائة بيتٍ في ثمانيةٍ وثلاثين لوحًا تتضمن أهم الحوادث التاريخية من عهد الرسالة إلى زمن الإنشاد مع كثيرٍ من المغازي السياسية والاجتماعية والوطنية والقومية.

١

بين اليأس والرجاء

هي حينًا يأس وحينًا رجاءُ ... وفناء طورًا وطورًا بقاءُ
قد تلونتَ يا زمان علينا ... فحنانيكِ أيها الحرباء!
قَرَع الدَّهر نابنا وقرعنا ... نحنُ والدَّهر لو درى أكفاء
موقف ترعد الفَرَائص فيه ... وتبوخ القلوب والأحشاء
لم ينلْ من حصاتنا الدَّهر لكن ... ألفت غير كأسها الصهباء
أين في القوم من يخلد ذكرًا ... يملأ الصحف من سناه بهاء
إن مَن مات في سبيل المعالي ... كفَّنته بثوبها العلياء
غسلته الدموع وهي لآل ... أبَّنتْه الأشعار وهي ثناء
وحوتهُ من القبور قلوب ... ونعتهُ في وكرها الورقاء
رب! رحماك هل يزمجر رعد ... وتروِّي وجه الثرى وطفاء
ومتى يُضْمِدُ الجروح أساها ... أزمنت علة وعز الدواء
من تفانى في المجد نال بقاءً ... وطريق البقاء هذا الفناء
ولقد آن أن يُلَمَّ شتات ... وتُسوَّى أرض ويعلو بناء

٢

أيها الغرب!

أيها الغرب إنَّ للشرق شأنًا ... وعلى غابر الزمان العفاء
هبَّ من نومه وكان خليقًا ... أن يُجافي أجفانه الإغفاء
أيقظتْ كلَّ راقدٍ واستفزتْ ... كلَّ قلبٍ حقيقةٌ زهراء
ما لشرقيٍّ بعد هذا هوان ... أُطلقتْ من قيودها الأُسَراء
ولقد عاش الشرق دهرًا طويلًا ... وهو في مقلة الزمان ضياء
تِلك صحف التاريخ تَشهد أَنَّا ... خيرُ نَسل أقلَّت الغبراء
كم عمرنا الديار وهْي خراب ... وملأنا القفار وهْي خلاء
وركبنا البحار وهي طوامٍ ... وألفنا الأسفار وهي عناء
يوم لا دُقَّ بالحديد ترابٌ ... لا ولا شُقَّ بالبخار الماء
وملكنا بالسيف ملكًا جسامًا ... لم يشد مثل ركنه بنَّاء

٣

أيها الشرق!

أيُّها الشرق حدِّث الغرب عمَّا ... أحدثت في حياتك الأبناء
وإليك الأبصار من كل قطر ... شاخصات وللأمور انتهاء
وجدير بمن يجدُّ لأمرٍ ... أن يَرَى قبلُ ما يكون وراء
وسيحكي التاريخُ ما كان مِنَّا ... ليت شيئًا يحكيه عنا ثناء
قَلِّدوا الشَّرقَ يا بني الشرقِ سيفًا ... لم تخن غربه يد شلاء
أوتروا القوس إنَّ للسهم مرمًى ... واقدحوا أزندًا شأنها الإبراء
جددوا عهده أُسرة أورثوكم ... هم بِمَا أورثوكمُ كرماء
وارفعوا الصوتَ إنْ أَرَدْتُم بَلاغًا ... رُبَّ أُذن عن الهدى صماء
إن مجدًا أُورثتموه قديمًا ... سلبتكم فخارَه الأعداء

لبس الغرب حلة الشرق حتى قيل عريان ما عليه رداء
ولقد كان الغرب أعرى وجود حين للشرق جبة وكساء
جددوا العهد يا بني الشرق وارعَوْا ذممًا أخفرت فأصمى البلاء

٤

سهروا ورقدنا

سهرت كلُّ أمة ورقدنا فلها الذِّكر دوننا والثناءُ
كيف ترضى يا شرق أن تكسب الغر ب فخارًا من دونك العلياء
كيف ترضى يا شرق أن يمشيَ الغر ب أمامًا وأنت تمشي وراء
أفلم يأنِ أن تُجَدِّد عهدًا شهد الصبح فضله والمساء
أفلم يأن للحقائق أن تقـ ـدح زَندًا لوريها الفهماء
أفلم يأن للمعارف أن ينـ ـشق عرفًا لمسكها الأذكياء
أفلم يأنِ للصنائع أن تجـ ـريَ شوطًا لنيلها النجباء
أين دارُ السلام إذ هي دار شيدتها العلوم والعلماء
أين كُتْبٌ للعلم إذ أحرقوها برمادٍ منها أُقيمَ بناء
أين في مصر ما استعاد بنوها يوم عدت ألوفها الزوراء
أين أقلام قلَّمت ظفر جهل يوم للجهل صولة ومراء
مِن جِمانا نور العلوم بدا فيـ ـها وعَمَّت أقطارها الأضواء
نحنُ أحييينا ما أمات زمانُ الـ ـجهل مما قد أسس القدماء
إنَّ للفارابي شأنًا بما سا رت عليهِ في إثره الحكماء
لابن سينا قانونه ولفخر الدِّ ين ما فيه تفخر النبلاء
ولكم هزت المنابرَ منا خطباء تشفي الظمى فصحاء
ما حللنا في أرضٍ الَّا وحلى جيدها العلم والهدى والذكاء
لو أردنا الإلكتريك فعلنا وكذاك البخار والكهرباء
غير أنَّا عن موقف الجسم كنا في أمور للروح فيها اهتداء
نحن قوم لم نرع روض هيولا ها ورضنا الأفكار حيث نشاء

٥

قد أقمنا في غير عش درجنا ... فكأنا في خبطنا عشواء
فترانا والغرب يلبسنا الثو ... ب ولولاه ما يخاط الرداء
نحن في حاجة إليه من العيـ ... ـش ولولاه عيشنا لأواء
لا نُباريه في محاسن شتى ... ولنا فيما ساء منه اقتداء
فعليك السلام يا شرق إن لم ... تُحيِ ما أسستْ لك الآباء

٦

أي الرجال أحرارها؟

ألجفنٍ كما يُريد اكتحال ... ولجفن على القذى إغضاء
عميتٌ مُقلة تلذ بغمض ... لم تمهد وطاءه العلياء
أنسام الهوان دون المنايا ... إنَّما الموتُ والهوان سواء
ليس دار الهوان للحُرِّ دارًا ... إنما الحر داره الجوزاء
يا بني الضادِ إنَّ للضاد حقًّا ... ناطحت دون هضمه الآباء
إن رضينا غير الكرامة وردًا ... غص منا بشاربيه الماء
ليت شعري ما ينقم القوم منا؟ ... أم على أبصار هناك غشاء؟
ليت شعري ما ينقم العمي منا؟ ... رب قوم أرض ونحن سماء
يشهد الله أنَّ أوَّل بيت ... للعُلى فينا شاده البنَّاء
خيرة الله نَحنُ في الخلق مما ... ولدت من أنسالها حواء
نحن شيء وغيرنا بعض شيء ... نحن نورٌ وغيرنا الظلماء
نحن بحر وما سِوانَا سَرَابٌ ... نحنُ در وغيرنا الحَصْباء
إنما ينكر الحقيقة غِرٌّ ... أو لئيم أو حاسد مستاء
نحن في الحي مهبط الوحي قدمًا ... وإلينا المصير والإنتهاء
كل حرٍّ بقية السيف منا ... يوم دانت لسيفنا الأنحاء
لا يرم بعضكم لبعض فخارًا ... أيها القوم كلكم عتقاء

(٩) جزيرة العرب

نظمها لحفلة نبوية في المدرسة الإسلامية سنة ١٣٣٨هـ.

لحصاها فضل على الشُّهبِ وثراها خير مِنَ الذَّهبِ
تتمنى السماء لو لبست حلة من طرازها العجب
إن بدا الآل في مفاوزها قل لنهر المجرة احتجب
وإذا البَرقُ شام مبسمها أسكرته بخمرة العجب
عج بأرض الحجاز أشرفها لتريك الأقمار من كثب
رضي الله عن نجوم هدًى فوق سرج تضيء أو قتب

لست أرضى السماء لي وطنًا
بدلًا من جزيرة العرب

مهبط الوحي مهد حكمته منبت الفضل معدن الأدب
مطلع النور وهي مظلمة منبع الرشد وهي في شغب
بسناها ضاء الوجود ولو لا هداها لضل في الحجب
يوم قدَّ الحسام آلهة صنعتها الأكف من خشب
فاسألن الحجاز أقدسها يوم جاء الأمي بالكتب
رضي الله عن نجوم وغى فوق سرج تصول أو قتب

لست أرضى الجنان لي وطنًا
بدلًا من جزيرة العرب

نحن أحفاد أمة نصبت علمًا للهدى على النصب
نحنُ أحفاد أمة سطرت مُعجزات التاريخ بالقضب
نحن أحفاد أمة خطبت يوم قامت بأرفع الرتب
سوف نحيي مجد الأُلى حكموا عرش كسرى في سالف الحقب
سوف نُحيي مجد الأُلى لهم لوت الأرض عنق مضطرب
فكسوها ثوب البهاء بما أبدعوا من علم ومن أدب

لست أرضى الجوزاء لي وطنًا
بدلًا من جزيرة العرب

نحن يوم الحفاظ قادتها نحنُ أبطال جيشها اللجب
بشروها والله يكلؤها ببلوغ الآمال والأرب
بشروها والله يكلؤها رغم أنف الزمان بالغلب
فسلام على رجال هدًى لا يضحون الجد للعب
وسلام على كماة وغًى يُرجعون العدى على العقب
فبنفسي أفدي مضاربهم وبأمي أفديهمُ وأبي
لست أرضى الفردوس لي وطنًا
بدلًا من جزيرة العرب

(١٠) مطلع الشمس

أيقظوا من رقدة الجهل هماما سهرت أجفانه دهرًا فناما
أحدث الدهر أمورًا بعده وضياء الصبح قد عاد ظلاما
رب نار أضرموها بعده أيقظوه فعسى يطفي الضراما
إن ركنا بالقنا شيده سامه من سامه اليوم انهدما
إنَّ عرشًا رفعت همته ثلَّه قوم وساموه اهتضاما
أيُّها الشرق انتبه حتى متى ليسَ عمر الليل دهرًا لتناما
قم لفجر سطعت أنواره وتجلت في فم الدهر ابتساما
قم فغصن الجد أضحى مُثمرًا وحمام اللهو قد آض كماما
قم لروضٍ صوَّحت أزهاره ولأرضٍ أنبتت كل خزامى
مطلع الشمس أراها أفلتت منك واعتاضت لدى الغرب مقاما
رُبَّ أعمى قد غدا يُبصرها أترى الشرق بصيرًا يتعامى
كنت يا شرق ولا غرب ولا كيف من دونك قد نال المراما
كان من خلفك يمشي خالفًا صرت تمشي خلفه وهو أماما

(١١) قوة الحق

هي من مرتجلاته، نظمها عفو الساعة لتلميذ من المدرسة الإسلامية ألقاها في حفلة نبوية سنة ١٣٣٨.

أي يـوم هـذا وأي زمـانِ بارك الله في بني عدنانِ
أي نجم بدا بأفق علاهم فأفاض الهدى على الأكوانِ
فسلام على ابن عدنان دومًا بسناه تثلثَ القمران
كيف أحيا الآمال وهي موات بين تلك الرمال والكثبان
أوجد النور من ظلام ومن مُنْـ ـبثق الكفر جاء بالإيمان
وحد الله وحده في شعوب رسخت في عبادة الأوثان
كيف ثل العروش وهو يتيم كيف جاء الأميُّ بالقرآن
قوة الحق أضعفت صولة البا طل ممن بداه بالبدوان
فسلام الرحمن يغشى رسولًا جاءنا بالهدى من الرحمن

(١٢) عشق الروح

روح العشق[١]

استجلِ أقمار الجمال سواطعًا واعشق ترى مُثل الكمال لوامعا
وبما يخصُّ الجسم لا تَكُ قانعًا العشق مرآة تُريك بدائعا
مما يخصُّ الروح من أشكال
للعشق معنى يستفز لنظمه درر القوافي إن تنَوه باسمه
يشكو الهوى قلب أُصيب بسهمه ويعز سلطان الهوى في حكمه
من أن تذلَّ لكاعب وغزال
أوكل بنفس للهوى مُنقادة وكأنَّما هو للنفوس سعادة
فاربأ بنفسك والهوى لك عادة ليس الهوى إن تستفزك غادة

[١] الأصل والتخميس له ولكن التخميس كان عفو الساعة، وبديهة الوقت.

يطفي جواك بها رحيق وصال
ارع المحاسن وهي ذات تورُّدِ في كل ما يبدو لمقلة مهتدي
لا تنكرنَّ جماعة في مفرد هيهات يحسن أن تميل لأغيد
شغفًا به عن كل سر جمال
كل الظواهر إن جهلت ظهورها كتب يراع الحسن خط سطورها
نثرًا ونظمًا إنْ وعيتَ زبورها استجل في كل المظاهر نورها
ليريك معنى الحسن كل مثال

(١٣) الكتب المقدسة وأبناؤها

ربِّ لا تُسألُ عما تفعلُ وإذا نحن فعلنا نُسألُ
إنَّ ما تفعله عن حكمة بينما نحن أثامًا نفعل
كل حكم لك فيه حكمة ربما تخفى على من يجهل
لا تُؤاخذنا بما نفعله ربِّ رفقًا نحن قوم همل
ما اهتدينا بالذي جاءت به كتب أنزلتها أو رسل
إنَّ في إنجيل عيسى عظة لو رعت إنجيل عيس الملل
أطفئوا النور الذي جاء به وبظلم وظلام بدلوا
أين سِلْم أمر القوم به ما لنيران الوغى تشتعل
أين زهد وعفاف وهدًى جمل النفس بهن الأول
يوم شادوا للتقى أديرة مجَّدوا الله بها وابتهلوا
لا سلاح لا كفاح لا وغًى لا جيوش سفهًا تقتتل
وعلى المذبح ضحوا أنفسًا في سبيل الله كانت تعمل
فابكِ أقوامًا على أمثالهم يندب الدير ويبكي الهيكل
وعصى توراةَ موسى قومُه إذ هُمُ أحرى بأن يمتثلوا
فضلوا الأسر على حرية جاءهم فيها الكتاب المُنزل
سئموا استعباد فرعون وإذ جاءهم موسى أبَوْا أن يقبلوا
فاسأل الصحراء إذ تاهوا بها واسأل الأسباط عما فعلوا
وسل التيجان عن أصحابها كم نبيًّا ووصيًّا قتلوا

كيف يحيا بعد يحيى معشرٌ قتلوه دون أن يقتتلوا
إن عيسى رغم من كذَّبَه من أولي العزم نبيٌّ مُرسَل
سلكوا غير سبيل الحق مذ جهلوا من حقه ما جهلوا
إنَّ في إنجيله تفصيل ما أجملت توراتهم لو عقلوا
لو أطاعوا أمرها ازدادوا هدًى إنَّ نورًا فوق نور أكمل
إنَّ في ألواح موسى حكمًا رددت رجعَ صداها الرسل
غير أنَّ القوم في تبليغهم أجملوا طورًا وطورًا فصَّلوا
حملوا الأقوام والأيام ما كان في وسعهمُ أن يحملوا
شرعةً من بعد أخرى شرعوا لعباد الله كيما يكملوا

* * *

وحوى القرآن نورًا وهدًى فعصى القرآنَ من لا يعقل
قل لقومٍ نبذوا أحكامه ما لكم مما نبذتم بدل
فاسألوا التاريخ عن قرآنكم يوم ضاءت بسناه السبل
فكأنَّ الأرض أُفْق أنتمُ فيه بدرٌ كامل لا يأفل
وكأنَّ الكون فيكم روضة وعلى الأغصان أنتم بُلبل
وكأن الملك ثغر باسم وبه بيض المواضي قبل
أخذ العدل بكم مأخذه مثلما زانَ العيونَ الكحل
نشر العلم بكم أعلامه وتجلت للمعالي ظلل
أينما سرتم سرى نور الهدى وغدت سحب الأماني تهطل
كل وادٍ إن تشاءوا مخصب كل وادٍ إن تشاءوا ممحل
وعلى الشرق خلعتم حللًا فاسألوه أين تلك الحلل
أين ميراث كرامٍ بذلوا في سبيل الله ما لا يُبذل
أين ميراث كماة فعلوا في سبيل المجد ما لا يُفعل
قد جهلنا من تعاليم الهدى ما به نلنا الهدى من أول
وظلمنا سُنة المُختار من هاشم وهْو النبي الأكمل

* * *

ثأر الله لدين الله من معشرٍ ضلوا به واسترسلوا

جهلوا ما شرع الله لهم ثم عابوه بما قد جهلوا
لو أتى الدينُ على أهوائهم مثَّلوه حكمًا وامتثلوا
يا دعاة الشرِّ ما خيركُمُ خير مَن فيكم غويٌّ مبطل
سأقولُ الحق لا يمنعني رامح من قوله أو أعزل
كل يوم دولة تظلمني ويح فرد حاربته دول

(١٤) رب الفضيلة

رب الفضيلة والحجى لا تحترم غير الفضيلهْ
وإذا صحبت ذوي الرذيـ ـلة كنت من أهل الرذيله

خيري الهنداوي

خيري الهنداوي.

شاعر في شعره أثر البداوة ورِقَّة الحضارة، ترى الطبيعة بادية على نظمه، يُضمِّن قصائدَه على الأكثر وصفَ نفسه، ونزعته إلى الحُرِّية والانعتاق، وكم في صدور أحرار الديار نفوس مُعذَّبة في أقفاصٍ من التقليد ضيقة قد حان وقت تحطيمها.

وُلد خيري الهنداوي من أبٍ عربيٍّ علوي، وأمٍّ تركيةٍ مستعربةٍ سنة ١٣٠٣هجرية، في قرية باصيدا من أعمال ديالي، وهي تبعد عن بغداد ٣٦ ميلًا.

قرأ قليلًا من كتاب التنزيل على مُعلِّم خاص حتى بلغ الخامسة من عمره، فانتقل أبوه وأخوه وأهله كلهم إلى بغداد، فدرس القرآن وتعلَّم قليلًا من الكتابة العربية في بعض كتاتيبها الخاصة؛ إذ لم يكن ثَمَّةَ في بغداد مدرسة حكومية شهيرة غير المدارس العسكرية، ولم يشأ أبو خيري أن يُدخل ابنه فيها رغبةً منه في تعليمه الشعر، ونفورًا من الجندية. وقد انتقل أهله بعد ثلاثة أعوام إلى العمارة لتوظُّف أبيه بوظيفة فيها، فدخل مع أخيه المدرسة الإعدادية هناك، فكان من مُقدمي التلامذة وأنجحهم، ولم تنقضِ عليه سنة وبعض السنة حتى انتقل أهله كذلك إلى «شطرة العمارة»، أو «قلعة صالح»، فدرس هناك في كُتَّابها ثم عاد مع أهله إلى العمارة، وبعد شهور انتقلوا إلى باصيدا، وكان والد المُترجم لا يفتر عن تلقين ابنه الشعر، وقد مرض في مسقط رأسه مرضًا اضطره إلى ترك الدرس، وارتحلت الأسرة بعد مُدَّة إلى الديوانية لأنَّ كبيرها توظَّف مديرًا لناحية عفك، فشرع المترجم يقرأ النحو على المرحوم مصطفى أفندي الواعظ، ولما انتقل مع أهله إلى عفك حيث وظيفة أبيه استمرَّ يدرس الدروس العربية على السيد حسين المُلَقَّب بالشرع، ولما عادوا إلى الديوانية بعد سنة ونصف أخذ يدرس على العلَّامة الحاج علاء الدين الآلوسي قاضي اللواء حينذاك.

ويقول صاحب التَّرجمة في مُذكراته: «إنني في كل هذه المدة التي درست فيها النحو والدروس العربية لم أكُن أفقه شيئًا منه لاعتلاق نفسي بحب الشعر والأدب؛ لذلك لم تجد هذه القواعدُ لها مَحلًّا في دماغي، وأظن أنَّ السبب الجوهري في الأمر طُرُق التدريس القديمة العقيمة.»

ولما جاء الشنافية واجتمع ببعض رجال الأدب من النَّجفيين المستطرقين إلى البصرة ونواحيها شعر بحاجته إلى القواعد، فدرس على الشيخ جعفر نصَّار واستفاد منه كثيرًا، ومن أستاذه الشيخ علي الطريحي، وتعرف هنا بالشيخ محمد السماوي (اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من شعره في غير هذا المكان من الكتاب)، فشجَّعه على النظْم فشرع فيه، غير أنه لم يكن راضيًا عما ينظمه حتى استقام نظمه، فطفق ينظم القصائد في رثاء آل البيت وينشرها في تلك الأطراف؛ فيكون لها وقْع خطير بالنظر إلى جلال موضوعها، وظل مستمرًّا في طريقه الأدبية إلى أن عاد إلى بغداد، وقد اشتدَّ ساعده وملك زمام نفسه،

فتعرف بالأستاذين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي، وعاشرهما مُدَّة طويلة فاتسعت مداركه، وانتبه إلى أمورٍ في الشعر والأدب، وفي السياسة والاجتماع كذلك، مما لم يكن له به سابق عهد، فأكثر من مُلازمة الأستاذين المُشار إليهما، واستفاد منهما فوائد جُلَّى.

ولما تألفت «جمعية الاتحاد والترقي» في البلاد العُثمانية، أوقف الأديب الشاب قلمه في نظم القصائد وكتابة الفصول في تحبيذ خطتها والدَّعوة بمبدئها حتى إذا ما انشقت على نفسها، وأُسس حزب الحرية والائتلاف، ظلَّ هو ثابتًا على مبدئه مُدافعًا عن جمعية الاتحاد مُندِدًا بخصومها إلى أن تجلى له خطؤه بانكشاف ضمائر الاتحاديين في أعمالهم وإرادتهم بالعَرب شرًّا، فرجع عن فكره، وانضم إلى المُجاهدين العرب في سبيل التحرُّر والخلاص.

وقد سجنت الأتراك المُترجم مرارًا لجهاده القومي، وضَيَّقوا عليه في سجنه أخيرًا لما سقطت الفلاحية بيد الجيش البريطاني في الحرب العظمى، وأحَسَّ من الاتحاديين في آخر ساعةٍ أنهم يريدون هدر دَمِهِ، فَدَبَّر له في الحال حيلة وفَرَّ من السجن، ثم اختفى في دار أحد معارفه في بغداد إلى حين الاحتلال.

ودخل بعد الاحتلال في خدمة الحكومة فعُين عام ١٩١٧ مُساعدًا ماليًّا في الجزيرة والعزيزية، ثم مُساعدًا ماليًّا وسياسيًّا في الحلة، ونُفِي بعد ظهور الثورة الأهلية هناك مع من نُفِي من زعماء الحلة إلى هنجام، وعاد منها بعد تسعة أشهر، فعُيِّن في نيسان سنة ١٩٢١ مديرًا لناحية الجربوعية وظلَّ يشتغل في هذا المنصب، ثم نُدِبَ قائممقامًا لقضاء الشامية سنة ١٩٢٢، وحول منه بعد ذلك.

وإليك مختارات من شعره:

(١) نزعة النفس

إذا قلت فانصت أيُّها الشعبُ واسمعِ ... فلستُ امرَأً يُلقي الكلام ولا يعي
أراك جهلت الحزم فاختلت أعزلًا ... وأنت بوادٍ لو تعقَّلت مُسْبع
إذا رجَّع الأقوامُ في الغرب خدعة ... رقصت على الصوت البعيد المرجَّع
وإنْ لمحت عيناك أصغر حادثٍ ... تنكَّرت لي حتى كأن لم تكن معي
يمرُّ عليَّ الآن صوتٌ سمعته ... بأيامك الأولى فأودى بمسمعي

تعقَّلْ وسِرْ إن كنت تطلب غاية ودعْ عنك تلفيق الكلام المُصنَّع
حنانيك لا تذهب بحلمك نغمة ولحن كثير اللحن غير موقع
تَبصَّرْ هَدَاكَ اللهُ فيما تريده من الأمر واحذر عثرة المتسرع
وُقيتَ العمى ما كل بيضاء شحمة ولا كل وادٍ في الغوير بممرع

* * *

سئمت ببغداد المُقام لأنني أرى ليَ فيها موقعًا غير موقعي
بكيت على عزي وما أنا والبكا لدى الخطب لو لم يعصر الذل أدمعي
سأنأى ولم أترك لدى القلب من هوًى إلى الدار إلا لفتة المتوجِّع
أقابل حرَّ الهاجرات بمهجة أبتْ والدنايا أن تقيم بموضع
لعمرك لم يقنع بقوتٍ معممٌ ولا اقتنعتْ بالظلِّ ذات تقنُّع
يُريد زماني أن يُجرِّب طاعتي لأحكامه لكنني غير طَيِّع
ويخلق لي بعضَ الأقاويل معشر ليقنعني لكنه غير مقنعي

* * *

إذا في قصور المُلك لم ترغُ ناقتي فيا شدَّ ما أرغت ببيداء بلقع
وإن قصرت فيها أكفِّي عن المنى فما قصَّرتْ في ساحة الروع أذرُعي
وإن أنكرت دار السلام مواقفي ستشهدُ أقلامي عليها وأدرُعي
سَقاني زلالَ المجد أكرمُ والدٍ وزقتنيَ العلياء أنجب مرضع
إذا كان لي عَقلٌ ورَأيٌ وحكمةٌ فلستُ بمجهولٍ ولا بمُضيع

* * *

ألا قف معي يا ابن العراق سُوَيْعة ودع جانبًا ما تدَّعيه وأدَّعي
وطِرْ في سماء الكائنات لعلَّنا نرى في زواياها فتًى غير موجَع
أودُّ لوَ اني أستطيع تكَلُّمًا فأبدي لك السرَّ الذي تحت أضلعي
أحاول كشف الستر عما تُكنُّه ضلوعي ولكن أين لا أين مفزَعي
وما جزعي أني أموت وإنَّما تراني جزوعًا حيث يُجهل مصرعي
ولي أي طفل بعد موتي مضيع مهان إلى أيدي الورى متطلع
ضعيف القوى لا يستطيع تزاحمًا مع الناس يمشي مشية المتكسع

صرفت على تثقيفه ماء شرتي وإنيَ عن تدريبه غير مقلع
تُبشرني الآمال إن عشتُ برهة له سوف يحيى تبَّعا وابن تبَّع
أشح بنفسي لا لنفسي وإنما أشح بها حبًّا لقومي وأربعي
سئمتُ حياتي حيثُ أصبحتُ موثقًا على الرغم من طبعي بقيد تطبُّعي
متى نجد الإنسان ينطق صَادِقًا ويَترك ألغاز الكلام المسجع
متى نجد الإنسان للناس نافعًا يُعين ذوي الحاجات من غير مطمع
تقاربت الآراء في كنه بدئنا وفي المُنتهى كلَّت طلاع التتبُّع
ظنون وأوهامٌ بعيدٌ يَقينها وإني على تصديقها غير مزمع

(٢) أيها الشرق

أيها الشرق هل فقدت الشروقا فأضلَّ الأقوامُ فيك الطريقا
لا مجال للعين مهما أطالت في دجاك الإمعانَ والتحديقا
ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ طبَّقت كل بقعةٍ تطبيقا
لا أرى إنْ أصبحت إلا فتوقًا وإذا ما أمسيت إلا خروقا
موقف يدهش الشجاع من الهو ل ويُبكي دمًا عليك الشفيقا

* * *

يا مقر اللطف الإلهيِّ قلْ لي كيف أصبحت للبلاء مطيقا
أنت أذنبت أم بنوك أم الظُّلَّـ ـمُ شاءوا أن يغصبوك الحقوقا
بيَّتوا أمرهم بليلٍ وجاءو ك جميعًا يتلو فريق فريقا
شتتوا الشمل منك وهْو جميع وأقاموا مقامه التفريقا
حاولوا لا أبًا لهمُ أن يكون الشَّـ ـرق كالعبد مستضامًا رقيقا
فنهضنا كالأُسد في أوجه القو م لنجتثَّ بغيهم والفسوقا
نمتطي غارب العزائم أحرا رًا زكوا منبتًا وطابوا عروقا
وخشينا على السلام فلا رُمـ ـحًا حملنا ولا حُسامًا ذليقا
أعجزتْهم آراؤنا صائبات ورأَوْا نبلهم يطيش مروقا
أيقنوا أننا سنجتاح ما قد لفقوه بمكرهم تلفيقا

شاوروا ظلمهم ومدوا من البغْـ ـي يدًا أحرزوا بها التوفيقا
قذفونا خلف البحار بأرضٍ عندها يلعن الصبوح الغبوقا
قيعة في جزيرة لا ترى فيـ ـها أنيسًا إلا الصدى والنعيقا
لم تطأها الخيلُ العِتَاق ولم يُعـ ـمل إليها الرَّكب المجدُّ النوقا

ومنها:

أيها الضفدع الكبير خلا الجوُّ فأكثر كما تشاء نقيقا
غاب عنك الشجاع لكن خذ الحذ ر عسى فيك أن يمرَّ طروقا

ومنها:

بتُّ ليلي وللهموم بجنبيَّ عراك نفى الرقاد سحيقا
خطرت لي خواطر بعد هدءٍ أيبست مِنِّيَ الحشا والريقا
مرحبًا بالخُطوب إن هي كانت سببًا موصلًا إلينا الحقوقا
وأحَبُّ الخطوب عندِيَ حبسٌ فيه نسطيعُ بالكرام اللحوقا
إنَّ في الحبس للفتى في سبيل الـ ـحق مجدًا يعلو به العيوقا
لا أبالي إذا خدمت بلادي أأسيرًا رأيتني أم طليقا
وإذا كان في اغترابي نجاح لا عدمت التغريب والتشريقا

ومنها:

أنا إن لم أفْدِ العراق بنفسي لا دعتني ابنها الكريم العريقا
وإذا لم أصن حماها بسيفي ذقت من قبل أن أعق العقوقا
أخذت موثقًا عليَّ ومثلي حين يعطي عهدًا يكون وثيقا
وسقاني ساقٍ من الذكر حتى كدت بالدمع أن أكون شَروقا
أين «هنجام» من مرابع أنسٍ رنَّق القوم صفوها ترنيقا
فوق شط الفرات حيثُ يرف الـ ـماء عذبًا والظل رطبًا صفيقا
أو على دِجلة بحيثُ تفض الرِّ يح مِسكًا بين الرِّياض فتيقا

أربعٌ قد خلعتُ جدة لهوي ... في رباها وما خلعت خليقا
ليت شعري هل مبصر أنا يومًا ... علَم «ابن الحسين» فيها خفوقا
تلك أمنيَّتي فلا عيش إلا ... أن أراها تهتز غصنًا وريقا

* * *

أيها العين إن ذكرت بلادي ... فأمطري لؤلؤًا وسيلي عقيقا
واستثيري يا نفس أنت زفيرًا ... وأضرميه بين الضلوع حريقا
إنَّ أرضا قد أنبتت مثل قومي ... هي أرضٌ أَجدِرْ بها أن تشوقا
إن قومي همُ الألى أوسعوا الأر ... ض فتوقا وأحكموها رتوقا
وطأت خيل «طارق» هضبات الـ ... ـغرب و«العبشمي» جاس «فروقا»
تاجروا بالنفوس وهي غوالٍ ... وأقاموا من المفاخر سوقا

ومنها:

ويك لا أرتضي الحياة بذل ... قم فمزقْ إهابها تمزيقا
وأدر لي في «الرَّافدين» حميا الـ ... ـحرب صرفًا وكسر الإبريقا
إن موتًا يكون في ساحة العزِّ ... لموت أَجدِرْ به أن يروقا
يا لَقومي لقد دهتها الدواهي ... وهْي تأبى من نومها أن تُفيقا
أسبات والقوم تطمع أن تبـ ... ـتز منها عراقها المموقا
صاح عَرِّج إذا دنوت عليها ... واجتذبها إليك كمًّا وزيقا
وقل القوم أخلفوا الوعد والعهـ ... ـد فهبِّي وحلقي تحليقا
وامطريهم عزمًا وبأسًا شديدًا ... واقذفيهم رأيًا وفكرًا دقيقا
واعلميهم أنَّ العراق عريقٌ ... ليس يرضى بأن يكون لصيقا
قبِّلي قبلة الوداد أخا هو ... دٍ جهارًا وصافحي البطريقا

ومنها:

أيها الحق لُحْ كما شئت شمسًا ... واملأ الأرض والسماء شروقا
أنت شيء فيه انطوى كل شيء ... أنت سِرٌّ قد أعجز المخلوقا

أنت كل القوى فليس عجيبًا أن تدك الأطواد نيقًا فنيقا
قد أرادوا أن يُطفئوا منك نورًا شعَّ منه السنا إلى أمريقا
وتجلى على مرابع «واشنـ ـطون» يوحي فرقانه المفروقا
فوعى «ولسن» الرئيس من القو ل نصوصًا قد نُمِّقت تنميقا
وتلا ملقيًا على القوم آيًا قبلوها وأظهروا التصديقا
صدقوها لغايةٍ حين تمت كذبوها وخالفوا الصديقا

ومنها:

أيها الحق أنت سؤلي من الدنـ ـيا فكن لي مدى الحياة رفيقا
أنت أُنسي إذا ادلهمَّ دجى الخطـ ـب وملَّ الصديقُ فيه الصديقا
فكأني والناسُ حولي صفوف يُكثرون الهتاف والتَّصفيقا
صارخ باسمك الكريم جهارًا لا كفورًا أخشى ولا زنديقا
فهناك الوجوه تُشرق بشرًا وترى وجه من عرفت صفيقا
تجد الناس في حديثٍ ولهوٍ وهو صمتًا تخاله مخنوقا
ذاق ما ذاق من حلاوة قوم ومن العَدل مرَّها أن يذوقا
بُؤْ بما اخترت من قبيح صنيعٍ قد عرفت المحروم والمرزوقا

(٣) إلى طالب

إلى المجد قُدها فهي للمجد تنزع فقد طال ما ترجو وما تتوقع
لقد سمعت صوت النهوض إلى العلى فقامت على أقدامها تتطلع
فظلت وصوت المجد يملأ سمعها مُسهدة أجفانها ليس تهجع
بحق العلى قُدها فإما حياتَها تنالُ وإِمَّا موتَها فهو أنفع
إلى مجدها فامدد ذراعك إنها ذراع بها تمتد للمجد أذرع
تقدم ولا تخشَ السواد الذي ترى فما كل مفتول السبال سميذع
لقد رضيت عدنان في كل ما ترى من الأمر وانقادت لعلياك أجمع
وقحطان قد ألقت إليك قيادها فألقى لك التاجَ الملوكي تبع

ولم تتخلف عنك بكر بن وائل ولا شَطَّ منها عن مزارك مربع
لقد أفلتت شمس العُلى من سمائها وليس لتلك الشمس غيرك يوشع

* * *

أَطالبُ إن لم تطلب الحق بالقنا سيبقى برغم المجد وهْو مضيع
تُطالبني نفسي بزورة طالب فأعزم لكنَّ الحوادث تمنع
أرى الأرض قد ضاقت عليَّ برحبها فهل أنت يا ابن الأكرمين موسع
وهل أنت لا عاش التفرُّق مقدمي إليك فعيش دون لقياك أجدع
مناي وقوف بين مشتجر القنا أُحرِّض قومي للعلى وأُشجِّع
ولست أبالي إن قضيت لبانتي دنا أم نأى عني الحِمام المروع
فلست امرَءًا يبغي حياة طويلة يذل بها للشانئين ويضرع
ولكنني أبغي حياة شريفة بما عشت في أفيائها أتمتع

(٤) فتاة سلانيك

أُمَّ البلاد أضاعك الأقوامُ فبكا مرابع مجدك الإسلام
قد ضيعتْكِ بنوكِ في أضغانها بل أسلمتْكِ إلى العدى الأوهام
إن البلاد إذا تخاصم أهلها فالأبعدون بها هم الحكام
وإذا النفوس تغايرت أهواؤها لا غَرْوَ أن تتغير الأحكام

* * *

ذهبت سلانيك الغداة مضاعة فتنكست لذهابها الأعلامُ
قد أظلمت ساحات وتنكرت عرصاتها وبكت بها الآكام
ضاقت مرابع أنسها من بعد ما رحبت وأوحش ثغرها البسام
نبأ تلعثمت الرواة بنقله وتعثرت بطروسها الأقلام
أمَّ البلادِ عليكِ من متوجع قطن العراق تحية وسلام
يا ملجأ الأحرار جاوزكِ البلى خانتكِ بعد عهودها الأيام
لو كان يومك منه في أبنائنا خبر لطاشت للعدو سهامُ

* * *

كم روعت في ساحتيك لدى الوغى ... خِود وكم لفظَ الحياة غلام
عاشا زمانًا في بلهنية الصبا ... غِرَّيْنِ لم يزعجهما النَّمام
لم يسمعا غير المدافع ضحوة ... فتسارعا فإذا هناك زحامُ
وإذا البوارج في الخضم كأنَّها الـ ... أعلام تمخر والدخان قتام
والنار تبعثها المدافع ألسنًا ... توحي ولكن وحيُهنَّ حِمام
تتطاير الأرواح من أصواتها ... رُعبًا كما تتطاير الأجسام
علمًا بأنَّ الأمر ليس بهيِّنٍ ... بل إنه أمر ألمَّ جُسام
رجعا وقد أخذ العدوُّ عليهما ... سُبل الرُّجوع وليس ثَمَّ مقام
فتعانقا من بعد أن علم الفتى ... أن ليس يغني عنهما الإحجام

* * *

«أسماء» ها أنا ميِّت فتأملي ... هل تذكريني والعظام رمام
قالت وقد منع البُكاء كلامها ... إن حل موتك فالحياة حرام
وبكت فبدَّلت الدموع بخدها ... دررًا لها الحسن البديع نظام
ظلت تودِّعه وتلثم ثغره ... والموتُ نحوهما له إرزام
فمضى «نجيب» غير موجس خيفة ... في كفه البأس الشديد حُسام
مُتلفتًا ليُصيب آخر نظرة ... منها فلم تسمح له الأقسام
بل فاجأته من الفضاء رصاصة ... لا الخوف يَدْفَعُها ولا الإقدام
فهوى يجود بنفسه مُتعفرًا ... يعلوه مِن مرِّ الرياح رغام
فأتته صارخة تشق جيوبها ... حسرى تجيش بقلبها الآلام

* * *

أمُجرِّعي الثكل الممضَّ أنائم ... أم قد أتاك عن الوشاة كلام
فصددت عني معرضًا متجهِّما ... لا كان ما همست به اللوَّام
إن كنت تحسبني جنيت جناية ... فالصفح عند الأكرمين يُشام
ظلت تُخاطبه ولا من سامع ... وتذود دمع العين وهو سجام
حتى إذا علمت بأنْ لا يُرتجى ... لـ «نجيبها» حتى القيامِ قيام

صكَّت براحتها منير جبينها فاسودَّ ذاك البدر وهو تمام
صرخت بأعلى صوتها مرعوبة فالتفَّ حول صراخها الأقوام
أخذوا الفتاة أسيرة لأميرهم تدعو الكرام وما هناك كرام
يا هذه كفي الدعاء فقومنا لو تعلمين عن الدعاء نيام
ما القوم إلا سحب صيف أرعدت ثم انجلت بالريح وهي جهام
لا تستغيثي ليس «معتصمٌ» بنا كلا ولا فينا يعدُّ همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا فجميعنا بمماتها أيتام

* * *

يا أيُّها الشرق الذي قد عمَّه للغرب من بعد الشروق ظلام
ما الغربُ أوَّل ظالم لك بالذي يأتيه، بل أبناؤك الظُّلَّام
قد أهملوك وأنت معقل عزِّهم فاسْتهْوَنتك بوطئها الأقدام

* * *

يا واطئًا ذاك التراب ترفقًا فلقد شكا من وطئك الإسلام
رفقًا بوطئك إنما تحت الثرى قومٌ وإن هانوا لديك عظام

ومنها:

لو أنَّ قومي شاهدوا اليوم الذي كثر الصراخ به وطار الهامُ
لأرَوْا بني البلقان كيف ضرابهم بل كيف يثبت في الوغى المقدام
قومي إذا اشتدَّ الضراب تخالها نشوى وما غير الضراب مُدام
فالحربُ مجلسها وساقيها القنا والنقع نقلٌ والمدافع جامُ
لم تخشَ بادرة الطعان لدى الوغى بل لا تهاب الموت وهو زؤام
أملي بقومي سوف تنهض نهضة للمجد يقصُر دونها الصمصام
يستبعد الرجل الخبير وقوعها بل لا تجيء بمثلها الأحلام
تبقى وإن خلق الزمان جديدة لم ينتقض لجديدها إبرام

(٥) زينب وخالد، أو فتاة بغداد وفتاها، في سنة ١٩٠٨–١٩٢٠

الدهر

هو الدهر في أهليه ما شاء يلعبُ ... فسيان عندي بِشرُه والتقطُّبُ
يريني على عدِّ الليالي عجائبًا ... فلم أَدرِ من أي العجائب أعجب
فلا خير إلا وهْو بالشرِّ مُقرَن ... ولا يُسر إلا وهو بالعُسر مُصحَب
ولا نعمٌ إلا الزوال عقيبها ... ولا كُرب إلا وما بعدُ أكربُ
حياة وموت وابتسام ودمعة ... يُبعِّد ما يختاره ويُقرِّب

زينب

قضى أن يعيش الظلم شيخًا منعمًا ... وتقضيَ بؤسًا في الحداثة زينب
فتاة أبوها السعد والجد أمها ... وخالتها العلياء والعمُّ يعرُب
تربت بمسدول الستار مصونة ... يُهذبها من نفسها ما يهذب
تلقت دروس الفضل عن مجد أهلها ... وفي الأهل للإنسان نِعْم المؤدب
فجاءت كغصن البان يورق ناضرًا ... وكالشمس إلا أنها ليس تغرب
تَعشَّقها الأترابُ خُلقًا وخلقة ... فكلٌّ لها أم تُعوِّذ أو أب
مخدَّمة ما إن تقوم لحاجة ... ولم يتعنتْها من الأمر متعب
تُفدَّى إذا مرت وإن هي أقبلت ... فملء الرُّبى أهل هناك ومرحب
إذا حضرت في البيت فالبيت مشرق ... وإن هي غابت عنه فالبيت مغرب
بباب أبيها السعد يخدم ربه ... يشد عرى عليائه ويطنب

النزهة

مضت هي والأتراب يومًا لنُزهة ... تُروِّح فيها نفسها وتُطَيِّب
فأفضت لمُلتفٍّ من النبت يانع ... تفضِّضُه شمس الضحى وتُذهِّب
تراه على وجه الغدير كأنه ... نقابٌ به وجه الغدير منقب
وللدوح تصفيق وللطير ضجة ... تحركها كف النسيم فتصخب
رأت مَنظرًا يستنفد الوصفَ حُسنُه ... ويشرح صدرًا للحزين فيطرب
فألقت نقابًا خلفه الشمس وانبرت ... تجيء مع الأتراب فيه وتذهب

التقاء النظر

وكان على قربٍ من الروض جالسًا ... فتًى كنسيم الروض أو هو أطيب
يجيل بإحسان الطبيعة طرفه ... يُصعِّده فيما أتت ويُصوب
تظلله من لفحة الشمس دوحة ... ويحجبه عنهن غصن فيُحجب
فهبَّ نسيم زحزح الغصن جانبًا ... فبان لعينيه البنان المخضب
رأى دُمية الحسن التي صاغها الهوى ... فأودع فيها ما يشاء ويرغب
فجُنَّ بها حبًّا ولم يَدرِ قبلها ... بأنَّ الهوى يأتي الفتى وهْو يلعب
وقام يداني خطوه مُتطلعًا ... ليعرف طلع الأمر وهو محجَّب
ولكنها من بين كل لِدَاتها ... أحسَّت بشخصٍ خلفها يتقرَّب
رأت ما رأى منها به فتكتمت ... ومرَّت ومنها القلب بالحب يلهب
مضت ومضى للحي كلٌّ مُوَلَّه ... بصاحبه يدعو الرشاد فيعزب

العشق والإخوان

رأى خالدًا إخوانُه متغيرًا ... على غير ما فيه لهم فتعجبوا
وظنوا به الظن الأثيم ورجَّموا ... وقالوا به القول المسيء وأطنبوا
وما هو إلا زفرة والْتفاتة ... ودمع كمنهلِّ السحائب يسكب
ينوح كما ناج الحمام صبابة ... ويشهق من فرط الغرام وينحب

خالد

ومَنْ خالد هل أنت تعرف خالدًا ... فتًى كل ما فيه لكلٍّ مُجبَّب
غذته الكرام الصيد من آل غالب ... لبان علاها فهو أصيد أغلب
ودر به للعلم والحلم والحجى ... أبٌ عن أبيه في العلاء مدرب
ومات ولم يترك سوى الطفل خالد ... وكانت سنوه تسعة حين تحسب
وقامت على تثقيفه خير حرَّة ... غذته لبانًا لم يُشَبْ فهو طيب
وتمم عشرًا من سنيه وأربعًا ... فتمَّ له فيها الحجى والتأدب

العهد القديم

ومذ كان طفلًا كان إلفًا لطفلة ... يُرافقها دون اللِّدات ويصحب
حلت بهما في كل وادٍ محلة ... وزين من إثريهما فيه ملعب
يعيشان خشفي روضة طلها الندى ... أظلهما في أيمن الجزع ربرب
غريرين لم تعلق يد الظن فيهما ... ولم يتريب منهما المتريب
قضى الدَّهرُ بالتفريق من بعد برهة ... فشرَّق أهلوها وأهلوه غرَّبوا
ومرَّت سنون أمحل العهد عدها ... على أن ربع القلب بالحب مخصب
فما رأى العهد الجديد من الهوى ... تراءى له العهد القديم المغيَّب
فظل زمانا باهتا مُترددًا ... يُصَدِّق أخبار الهوى ويُكذب
إلى أن بدا صبح الحقيقة وانجلى ... عماه فكاد الجهل بالحلم يذهب
تَدَلَّه من فرط الصبابة والجوى ... فرَقَّ له حتى العَذول المؤنب

أم خالد

رأت أمه من دائه ما أمضَّها ... وأيْأَسها من بُرئه المتطبب
فظنت به عينًا ولم تدرِ أنها ... لإنسانها فيها الدواء المجرب
وجاءت إليه بالرقي وبالحصى ... تُرقِّيه في هذا وفي ذاك تضرب
رأت أن ما جاءت به غير نافع ... فثاب إليها رأيها المتنكب
أحست بأن الحب يرشق قلبه ... ولكن خفى عنها المراش المصوب
فظلت ولا بحثٌ لديها سوى الهوى ... تُطيل له فيه الحديث وتسهب
يَهَشُّ ويصغي حين يسمع قولها ... ويُعجبه ذاك الطراز المُذَهَّب
إلى أنْ أَلانت بعد لأْيٍ حصاته ... فأعرب مَسْحُورًا وما كاد يعرب
فأبدت له كل السرور وسهلت ... له كل صعبٍ دون ما هو يطلب
ولكنها قد أضمرت في فؤادها ... قنوطًا وخافت أن يُحس فيعطب

الزيارة

مضت خلسةً واليأس يجذب ثوبها ... إلى خلفها مسترجعًا وهْي تجذب
فأفضت إلى بيت الشريف ابن تُبَّع ... فأوقفها في سدة الإذن حجب
وبعد قليل أُدخلت بحفاوة ... يُؤهَّل فيها باسمها ويرحب
وقد أقبلت أُمُّ الفتاة وسَلَّمت ... عليها ومنها الوجه بالبشر مشرب
تطارحها أحلى الحديث فكاهة ... وتمزج منه الجدَّ هزلًا فيَعذُب
لقد بُهتت مما رأت وتعجبت ... وكاد عليها منه يقضي التعجب
ولكنها لما زوى اليأس وجهه ... وزُحزح عن فجر الأمانيِّ غيهب
دنت باحترامٍ نحوها وتَبَسَّمت ... وقالت بصوتٍ خافتٍ أين زينب
فقالت لها والدمع يسبق قولها ... لقد كان يا أُختاه ما كنت أرهب
تعالي معي ثم انظري حال زينب ... ترَيْ ليس من ماح لِمَا اللهُ يكتب

المرض والعيادة

رأت جسدًا مُلقى أضرَّ به الهوى ... ودمعًا كما شاء الجوى يتصبَّبُ
جثت عندها طورًا تشم عقاصها ... وتمسحه طورًا وطورًا تقلب
أبنتاه ردي عازب الحلم والحجى ... فعمَّا قريبٍ منكما الصدع يرأب
لقد جئت أسعى في اجتماعكما معًا ... ولولاكُما ما كنت أسعى وأدأب
ولو كنت شاهدت ابن حبك خالدًا ... لكنت رأيت الحب كيف يُعذِّب

البغتة والحياء

لقد سمعت بنت الضنى ما أهاجها ... فقامت على أقدامها تتوثب
تظن رقيبًا جاء في ذكر خالد ... يُفتش عن أسرارها وينقب
ولكنها قد صدَّق الطرف سمعها ... ولم يبقَ عند القلب للشك مذهب
توارت حياءً بالفراش وكفها ... على وجهها عنها بها تتحجب

كشف السر

لقد تركتها في الفراش وأسرعت ... خروجًا وغير الأم لا تتطلب
رأتها وقد جاءت لغرفة زوجها ... تُمهد ما فيها له وترتب
فقالت لها إن الشحوب أضرها ... ولكنَّ منها خالدًا هو أشحب
تكاشفتا السر الذي كان مضمرًا ... وأظهرتا الأمر الذي كان يُحجَب

الخطبة

وبينا هما في القولِ إذ جاء زوجها ... يحف به من هيبةٍ منه موكب
فقال لها مَن هذه ما مرادها ... أجاء بها أمر، أطوَّح مطلب
فقالت وقد دبَّ الحياء بوجهها ... وأمطرها من عارضٍ منه صَيِّب
هي ابنة عبد الله زوجة هاشم ... لخالدها جاءتك زينب تخطب
فنكَّس رأسًا واستمرَّ مفكرًا ... يُشرِّق في أفكاره ويُغرِّب
ومن بعد يأسٍ من رضاه أجابها ... لما هي جاءت منه تبغي وتطلب
تباشر أهل الدارِ والدارُ أشرقت ... وكلٌّ له من معجب البشر مطرب
ورافقت البشرى ضحى أم خالدٍ ... إلى خالد وهو القنوط المقطب
فكاد ولم يملك من البِشر نفسه ... لزينبه شوقًا يفرُّ ويهرب

العقد

فأرسل في إثر القضاة فأحضروا ... وصاح بتقريب الشهود فقربوا
وأمُّوا جميعًا دار سعد بجمعهم ... وسعد لهم في ساحة الدار يرقب
ومِن بعد أن قاموا بما هو واجب ... وأدَّوْا لسعد شكرهم وهْو أوجب
دعاهم إلى بهو الطعام فأطعموا ... وجيئوا بأصناف الشراب فأشربوا
وراحوا وكلٌّ عنده ألف مقول ... له بجميل الصنع في الناس يخطب

السجن والتغرُّب

وقامت نساء الحيِّ تصلح زينبًا ... تُوشِّحها هذي وتلك تُجلبِب
وفي الدار يقضي خالد بانتظارها ... سويعات شوق هُنَّ في الطول أحقب
ففاجأه من جند جنكيز ثلة ... وجاءوا به قسرًا إلى الحبس يُسحب
وزجَّ بجب يكمه العين ظلمة ... هو القبر ضيقًا أو من القبر يقرب
تُعذبه الظُّلَّام جوعًا نهاره ... وفي الليل يقفوه الغرام يعذب
نساه ابن جنكيز فظل بجبه ... شهورًا على جمر الغضا يتقلب
وجيء به يومًا على غير موعد ... وسيق إلى سيواس فيمن يغرب
قضت نحبها تلك العجوز تحرُّقًا ... عليه وفاضت روحها وهي تنحب
وسعد مضى تقتاده أم زينب ... ولم يبقَ إلا البوم في الدار تنعب
تجاوب إذ تبكي الشقية زينب ... ولا ثالث إلا الشقاء المطنب

الجناية

أتعلم ما كانت جناية خالد ... وفيمَ عليه القوم صاحوا وأجلبوا
لقد كان صبًّا بالعراق وأهله ... يثور إذا سيموا الهوان ويشغب
يدافع عن أحسابهم وحقوقهم ... ويطعن في صدر العدوِّ ويضرب
وهل ريبة إن ذب عن مجد قومه ... فتًى عن بُنيَّات العلى لا ينكب
أعدلًا يرى الأقوام حبس ابن حرَّةٍ ... يغار على مجد العراق ويغضب
إذا كان في حبِّ الديار جريرة ... فكل فتًى فوق البسيطة مُذنب

الرجوع إلى الوطن

أتت وهْو في سيواس أعوام فتنة ... بها مزقت جلد ابن جنكيز أكلب
وبثت بأنحاء العراق رجالها ... وكلٌّ له ناب حديد ومخلب
نحا الوطنَ المحبوبَ والأهلَ خالدٌ ... وليس له إلا التشوُّق مركب
سرى والهوى يقتاده بزمامه ... يُغالبه الشوق الشديد فيغلب
وحط بباب الكرخ ليلًا رحالَه ... وأَمَّ بشوقٍ دارَه وهْو مُتعَب

وأنحى لا صبرٍ على الباب طارقًا بكفيه حتى كلَّ عضد ومنكب
يترجم لليل الأصم نداءَه صدى الدار والريح الجنوب تعَرب

جارة خالد

لقد سمعت صوتَ الفتى جارةٌ له فأرَّقها صوتٌ أجشُّ مشعب
من السطح نحو الصوتِ في غلس الدجى دنت فشجاها الطارقُ المتأدِّب
رأت خالدًا والليل يرفع شخصه فيطفو وطورًا يعتليه فيرسب
مضت كمضي السهم تطلب زوجها تنبِّهُهُ من نومه وهو مضرب
ومن بعد إلحاحٍ تثاءب قائلًا دعيني أنم من ذا أتى وهو مغضب
ولكنه لما تبيَّن قولها تحدَّر منقضًّا كما انقضَّ كوكب
رأى خالدًا فانصاع يلثم خده وأدمُعُه في خدِّه تترسَّب
وأدخله مستبشرَ القلبِ دارَه يسبُّ الذي سنَّ البعاد ويتلب
يضاحكه لكنه غير ضاحكٍ ويطربه لكنه ليس يطرب

النعي والبكاء

أبا سالمٍ ما لي أرى الباب موصدًا أَأُمِّيَ ماتت أم إلى أين تذهب
أبا سالم إني وحقِّك هالك إذا لم تُخبِّرني وأنت المسبب
بكت رقَّة من قوله أمُّ سالم وقالت له في عبرة «أنت طيب»
فصك بكلتا الراحتين جبينه وخرَّ على وجه الثرى يتقلب
يصيح بيا أماه قومي ورحِّبي وكفي الأسى جاء السجين المغرَّب
أَأُمَّاهُ قد خلَّفتِني رهن دمعة إذا أنضب الدمع الأسى ليس تنضب
تُشاطره مرَّ البكا أمُّ سالمٍ على تربها والشيخ كالطفل يندب
إلى أن تولَّى من دجى الليل أسحم وأقبل بازيٌّ من الصبح أشهب

المأتم

تسامع أهل الحيِّ فيه فأقبلوا ... وكلٌّ إليه الأرضَ يطوي وينهب
يُقبِّله هذا وهذا يضمُّه ... وهذا يُحيِّيهِ وهذا يرحب
مضى باحترامٍ بينهم نحو داره ... يُحاط كما حِيط العذيق المرجب
تربَّع في كرسيِّه بسكينةٍ ... يُريد غلاب الحزنِ والحزنُ أغلب
قضى بجميل الصبر مأتم أُمِّه ... وفي ثوبه من لاسع الفقد عقرب
وخُبِّر عن حال الفتاة وشأنها ... وكيف رماها دهرها المتقلب
فأصبح في خطبين خطبٍ أمضَّه ... وآخر قفَّاه أمضُّ وأصعب

الصديق الإسرائيلي

أتاه ابن إسرائيل يومًا لداره ... على غفلةٍ وهْو الصديق المقرَّب
رآه كئيبًا في الخفاء مُفكرًا ... تُدهوره كفُّ الأسى وتُقلب
فظن ولم يعدُ الحقيقةَ ظنُّه ... بأنَّ الفتى من أصفر النقد مترب
فقال له خفِّض عليك فإنما ... صديقك مَن في النائبات تُجرِّب
إذا منع المالَ الصديق صديقه ... فمِن واجبات الحزم عنه التجنُّب
مطيعًا تجد مرني فإنيَ حاضرٌ ... لدفع الذي تحتاجه متأهب
فقابله بالشكر والبِشْرِ قائلًا ... فِداؤك من قومي حُضور وغُيَّب
بمثلك يغلو قدر كل مواطن ... ويعرف قدر الخلة المتعصب

الزفاف

ولما تولَّى عنه للهمِّ شاغب ... وفارقه من شاغل الغم أشغب
غدا وهْو مَشْغُولٌ بتدبير أمره ... يُجَهِّز ما يحتاجه ويؤهب
فأكمل في يومين كلَّ شئونه ... وزُفت له المنكودة الحظ زينب
شكا كلُّ حِب شجوَه لحبيبه ... يُفصِّل مكنوناته ويُبوِّب
وباتا وكلٌّ يجتني ثمر المُنى ... بكفَّيْه لا يخشى ولا يترقب
ولم يعلما أنَّ النمير الذي جرى ... سيرجع في ثغريهما وهو طحلب

عَودٌ عل بَدء

غشى الظُّلم أقطارَ العراق بحزبه ... على حين قد أفنى قواها التحزب
وشقَّ على ذاك الأبيِّ هوانُها ... فقام يُداوي جرحها ويطبب
وقارب رأي الشعب بعد ابتعاده ... وكان يَئُوسًا عن تدانيه أشعب
وما زال يسعى مدنيًا بخطابه ... قلوبًا لأُخرى شطَّ منها التقرب
يُميت ويُحيي ليله ونهاره ... يُؤَلِّف أشتات الهوى ويحزب
إلى أنْ بدا فجرٌ من النجح صادق ... يضيء به نجم من الفوز يثقب

الاعتقال والموت

أَحس به الظُّلَّام وهو لطفله ... بأفراح أيام الختان يؤدب
ففارق بغدادَ العراقِ مكبلًا ... وأُخرج منها خائفًا يترقب
وأصبح في جُبٍّ بمنفاه ثاويًا ... به من جراح الهمِّ ما ليس يعصب
يحيط به جيش من الهند أَسود ... ويرأسه طفل من البيض أصهب
فلا مَلَك يرجو الدنو لجبه ... ولا بَشَر يدنوا إليه ويقرب
رماه بداء السل همٌّ مبرح ... وأورده الهُلْكَ النوى والتغرُّب

هول المصاب

نعاه ببغداد النعيُّ مُصَرِّحًا ... يُكَنِّيه تَعظيمًا له ويلقب
فحنت أسى تلك الفتاة وأسرعت ... تُمزق عنها ثوبها وتؤرب
تقود صغيرًا خلفها يشتكي الوجى ... كما يشتكي قِصْرَ الجناحين أزغب
يولول في آثارها مُتعثرًا ... بأذياله قسرًا يُقاد ويجنب
إذا ما بكى تبكي لمُرِّ بكائه ... وتضحك أحيانًا عليه فتغرب
تسير بلا رشدٍ على غير غاية ... وفي القلب من نار الجوى متلهب
يلوح النهى طورًا لها ثم يختفي ... كما لاح برق في دجى الليل خلب

الطفل وزينب في ساعة الموت

مضت برهة لم يعرف الظل شخصها ... ولم يُنجِها من غارة الخطب مهرب
فأضجعها الغمُّ الفراشَ مريضة ... يدبُّ حواليها اليتيم ويلعب
يضاحكها مُستطعمًا غير أنه ... يعود على أدراجه وهو أسغب
أَحست ومنها الموت دانٍ بطفلها ... وفي الجسم أظفار المنية تنشب
ومدت إليه الكف تجذب ثوبه ... فلله من تدني إليها وتجذب
بُنيَّ إذا ما متُّ من لك راحم ... ومن بك يُعْنَى أم لأجلك يتعب
بُنيَّ يتيمًا أنت بعدي مسيبًا ... تعيش كما عاش اليتيم المسيب
بُنيَّ لقد هان الردى بعد خالد ... ولكنَّه في يتم نفسك يصعب
أتلهو بقربي منك في الصدر أنمل ... ويبسم ثغر منك في الوجه أشنب
وساد سكون بعد ذلك مرهب ... يُقابله وجهٌ من الليل مرعب
وأعقبه الأمر العظيم الذي به ... بدا العدلُ محنيَّ القرى وهو أحدب

الجنازة

أتت بعد أن لاح الصباح تعودها ... عصابات جاراتٍ لها تتعصب
فشاهدن ذاك الطفلَ يُعوِل باكيًا ... يطوف حوالي جسمها ويحرب
كشفن غطاءً كان يستر وجهها ... فأبصرن ما يُدمي القلوب وينصب
صرخن ومزَّقن الجيوب كآبة ... وأي فؤاد لا يذوب ويكأب
تسارع نحو الصوت حضر جارها ... وللدمع منهم في الخدود تَسرُّب

الطفل في دجلة

لقد شُغلوا عن كل شيءٍ بدفنها ... ولم يشعروا إلا وقد غاب «جندب»
مشى تترامي السُّبْلُ فيهِ بلا هُدًى ... إذا مذهب منها انتهى امتدَّ مذهب
أتى الجسر حيثُ الظلم تركض خيله ... غرورًا وسياراته تتكوكب
فأصبح نهبًا بينها مُتقسمًا ... وفي الماء محذوفًا بها يتقلب

خطاب لدجلة

أدجلة تدري أم تراها جهولة تسير ولا تدري بمن يترسب
أدجلة ذا قد أنجبتْه كريمة وأنجبه فحل من العرب منجب
أدجلة بالله احفظيه من البلى فإن العلى إن لم تصونيه تعتب

شنشنتي

إلى السيف أشكو لا إلى الناس منية تُواعدني فيها الليالي وتكذب
سأطلبها مهما تعرض دونها من الهولِ لا أخشى ولا أتهيَّب
فلا حملتني إن تقاعدت بُزَّل ولا ركضت بي إن تقاعست شزب
عشقت العلى طفلًا فكيف بسلوتي وها أنا ذا والحمد لله أشيب
وقد عرفت عدنان فضلي ويعرب وما أنكرت بكر بلائي وتغلب

أنا وصاحبي

أقول ورحب الأرض ضاق بصاحبي إذا اشتد ضيق المرء قُلْ سوف يرحب
تريد وتخشى الهول أن تدرك المنى وهل صَحَّ أن لم يهنأ النقب أجرب
تظن طلاب المجد كأسًا وقينة تهيم بها بين الربى وتشبب
إذا خلت أن المجد سهلٌ طِلابُه فظنك هذا من طِلابك أعجب
تنحَّ وخلِّ الدَّرب خلوًا لأهلها فهم منك أدرى بالرسوم وأدرب

كاظم الدجيلي

الشيخ كاظم الدجيلي.

أديبٌ كثير الولوع بالتنقيب والبحث عن تاريخ بلاده وأحوال أهلها وجغرافية بلادهم قديمًا وحديثًا، وناظمٌ يُحِبُّ الصَّراحة في شعره، وكاتب يلمُّ بأطراف موضوعه إلمامًا لا

يترك لغيره مجالًا للزيادة عليه، ومتكلمٌ لَسِنٌ فصيح المنطق لا يملُّ الكلام في ميدانٍ يعجبه التكلم فيه، كما أنه لا يملُّ السكوت إذا وقع عليه في موضعه.

لو كان للعلم والأدب قيمة في هذه الديار لكان للشيخ كاظم الدجيلي مجالٌ واسع لإظهار مواهبه وجَلَده على البحث، ولو كان لحرية الفِكر حرمة في هذا القُطر لرنَّت حقائق الدجيلي في شعره رنَّة تحدثت بها المجالس، لكن ما العمل وقد خُلق الإنسان أسير بيئته.

أصل الدجيلي من عشيرة الخزرج الذين هم إخوة للأوس من فخذٍ يُعرف أبناؤه منذ القديم بالبابليين نسبةً إلى بابل الإقليم الشهير في العراق، وقد ترأس والده فخذه مُدَّة، كما أنَّ جدته الصحيحة (واسمها نائلة المحسن) كانت تقضي في الخصومات التي تقع بين قومها، وتتصدرهم إذا دخلت مجلسهم.

وُلد كاظم الدجيلي في قرية دجيل المعروفة اليوم بسميكة في العقد الأوَّل من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/آذار سنة ١٨٨٤م — واسم والده الحسين بن عبدان بن درويش بن نهار، ووالدته علية بنت ويس العبيد. وقد هاجر والد المُترجم بعد ستة أشهر من ولادته إلى بغداد فاستوطن جانب الكرخ منها، ولم يزل بها إلى الآن.

ولما بلغ الخامسة من عمره تعلَّم القرآن الكريم على معلمة في جوار بيتهم، اسمها ضفيرة بنت الحاج علي الحمامجي، فختمه في ستة أشهر ونزع إلى تعلُّم الكتابة، ثم انتقل إلى مكتب الملا إسماعيل في جامع الغنَّام في الكرخ، وظلَّ يدرس عليه نحو سنتين، ولم يشأ أهله إدخاله في مدرسةٍ من مدارس الحكومة لانصراف أذهان القوم عنها في ذلك الحين.

وأخذ بعد حين يشتغل مع أبيه في المُتاجرة بالحبوب والقطاني ويدرس بنفسه، وقد نشأ فيه ميل إلى قرض الشعر وتتبع الآداب وأخبار العرب. وإذ وجد نفسه عاجزًا عن استيفاء ما يُريد من العلم على هذه الصورة ترك المتاجرة برغم إرادة والده، وانقطع إلى الدرس والمُطالعة، والتردُّد على فريقٍ من أفاضل العلماء والأدباء الذين استفاد منهم فوائد جليلة في العلم والأدب واللغة والتاريخ، نذكر منهم الأستاذ شكري الآلوسي، والسيد حسن الصدر الكاظمي، والأب أنستاس ماري الكرملي، والأستاذ جميل صدقي الزهاوي.

تزوَّج المترجم سنة ١٩٠٤م ووُلد له ثلاث بنات وابن.

واشتغل قبل الحرب الكبرى بتحرير بعض الجرائد البغدادية، ثم انقطع إلى إدارة مجلة «لغة العرب» والكتابة فيها حتى حجبتها تلك الحرب الضروس.

وقد نشر سنة ١٩١٤ مقالة بعنوان «حول الضماد» في مجلة «المستقبل» المصرية لصاحبها سلامة موسى، فحكم عليه التُّرك بالسجن سبع سنوات بسببها، وحال دون تنفيذ الحكم إعلان الحرب الكبرى.

وللدجيلي معرفة بقراءة المخطوطات القديمة، ويد في تعيين تاريخ كتابتها بمجرد النظر إلى أشكال أقلامها وأنواع أوراقها، وهو يعرف طرفًا من الإنكليزية وقليلًا من التُّركية والفارسية، وله مكاتبات مع ثلةٍ من كبار المُستشرقين، ولديه خزانة نفيسة جمعت طائفة من المَخطوطات النَّادرة، والمطبوعات القديمة.

ودخل سنة ١٩٢٠ مدرسة الحقوق في بغداد فأظهر كل نشاط واجتهاد في دراسته، وهو يوم كتابة هذه السطور في صفها النهائي.

رحل كاظم الدجيلي رحلاتٍ عدةً إلى إيران وكردستان وأطراف العراق وعربستان، وجاب القرى ومنازل الأعراب، ودرس أخلاقهم وعاداتهم وحالاتهم الاجتماعية، وكتب عنهم ما لم يتهيأ لغيره من الرحالين والرُّواة، وطُلب سنة ١٩١١م بواسطة وكيل القنصل الألماني في بغداد المسيو ريشاردس ليكون معلم اللغة العراقية الحالية في مدرسة المستشرقين في برلين، وطلب إليه أن يرحل مع صديقه العَلَّامة الدكتور إرنست هرتسفلد الألماني، وأن يكتب في رحلته هذه كتابًا في أحوال الأعراب وعاداتهم وأخلاقهم وأوضاعهم، ووصف جغرافية العراق، فألَّف في تلك الرِّحلة كتابًا مُمتعًا، لكن الكتاب ضاع منه عند عودته إلى بغداد لمرضٍ أصابه في الطريق، ولم يقف على خبره إلى اليوم. ثم أعاد الكرَّة إلى هذه الرِّحلة بأمرٍ من الجمعية الجغرافية كذلك فرحل في أيلول سنة ١٩١٣، وقد استصحب في هذه المرة الشيخ علي القرة داغي العالم الفاضل لما له من النفوذ والحرمة في أطراف كردستان، لكنهما لما وصلا الدكة التي تبعد ثلاث ساعات عن خانقين غربًا، رجع الشيخ علي إلى بغداد مضطرًّا، فأُجبر المُترجم على الرجوع كذلك، وجاءت الحرب العظمى بعده قاضية على أعمالٍ وآمالٍ كثيرة.

ورحل في ١٩ آذار سنة ١٩١٣م إلى الفرات وكربلاء وشفاثا وقصر الأخيضر والنجف وعريسات والشامية والديوانية وكتب فيها كتابًا.

ومن أخلاق المترجم أنه يُحِبُّ الصراحة في الفِكْر والقول والعمل، وإن أغضب سامعيه وجرح عواطفهم، وطالما جلبت عليه هذه الخلة سخط بعض الناس. وهو يقتصد في كل

شيء إلا الأمور التي تعود إلى الصحة والشرف، ولا يتعاطى الدخان والمشروبات الكحولية، وفيه أثر حدَّة، وصوته عند التكلم عالٍ على الدوام، ومن صفاته أنه لا يُحب الانتساب إلى الأحزاب والجمعيات السياسية.

وأحسن أوقات النظم والإنشاء عند الدجيلي آخر الليل، وأول النهار مع الانفراد في المكان، ويُحِبُّ دائمًا أن يكون عدد أبيات القصيدة وترًا.

أما مبادئه وآراؤه، فقد وقفت على جُلها في رسالة موجزة بقلم المُترجم أقتطف منها ما يأتي وفيه البلاغ:

آمالي في الرقي الاجتماعي كبيرة، أهوى الخير للبشر جميعًا، ولم أتعصب لرأي مُخالف للحق بل أجاهر باحتقاره، ولو كان صاحبه ذا حرمةٍ عند الناس. أعترف بخطئي إذا تحققتُ وقوعه ولو أمام أعدائي، ظني في المجتمع أسوئي، وأعتقد أنَّ الناس كلهم نفعيون ومحبون للشهرة وطباعهم مجبولة على الشر أكثر مما هي على الخير، وإنما الذي يروض جماحها ويهذبها التأثير الذي يطرأ عليها من حُسن التربية والتعليم والإقليم ليس إلا.

أرى أن لا نسب حقيقيًا في العالم لأنَّ كل فرد من الأفراد يتولَّد من ذكرٍ وأنثى، وتلقيح النسل يكون منهما، وإذا ارتقينا إلى أبيه وجدِّه وأمه وجدَّته نجدهم يتألفون منم أكثر من عشر قبائل، وإذا صعدنا إلى أبوين وجدين لهم يكون المرء من أكثر من مائة قبيلة، وهلم جرًّا.

لا قبيح ولا حسن في العالم بالمعنى الأعم، فالذي تراه قبيحًا قد يراه سواك حسنًا؛ لأنَّ جميع الأشياء منوط اعتبارها بأهمية الزمان والمكان.

الدين الصحيح للإنسان هو أن لا يعامِل غيره بما لا يرتضيه لنفسه.

إذا جنَّ الإنسان جنونًا مُطبقًا واستحالت إعادة عقله إليه طُبِّب، أو إذا ابتُلي بداءٍ مُبرحٍ ولم يشفه منه إلا الموت، ويُخشى سريان العدوى منه إلى غيره، فالإسراع في القضاء عليه من أوجب الواجبات؛ لأنَّ الموت يُريحه ويُريح أهله المتعَبين من أجله، ويُوفِّر للجميع طعامه وشرابه ولباسه ومقامه.

إن الإنسان مضطر في جميع أعماله وغير مُختار، وإنَّ شقاءه وسعادته في الأكثر يولدهما الاحتياج؛ لأنَّ الحاجة هي التي تبعث صاحبها على الأعمال القبيحة، كما أنَّها تبعثه على إنتاج كبار الأعمال وعظيمها، فهي التي تفتق الحيلة وتبعث على الرَّذيلة، وأم الاختراع.

لا عيب ولا عار في الدنيا إلا على الكسالى والخونة والغادرين، وكل ما يتعاطاه الإنسان ويكسب من ورائه شيئًا للمعاش بدون أن يضر بسواه هو شريف.

لا ينبغي أن يُحرَّم على المرء شيء ما لم يضر بعقله وصحته وأدبه.

جميع الأديان التي يرجع أصلها إلى إلهٍ واحدٍ فأعمال أصحابها مُقَدَّسة مبرورة، وإن جميعها في التوحيد على حدٍّ سواءٍ بدون فرقٍ أو تمييز، وإن ناقض آخرها الأول، وتعددت فيها وسائل العادة، واختلفت طرق التزلف للتوصُّل إلى ذلك المعبود العظيم.

إنَّ الحق تابع للقوة وخاضع لها، وإن للقويِّ الحقَّ بالقضاء على الضعيف وفقًا لناموس الطبيعة العام؛ لأنَّ حياة الضعيف تُولِّد الضرر في المجتمع بدون أن تنفعه بشيء، وبواسطتها يتأخر سير المدنية، وعمران الحضارة في العالم.

الوطن الحقيقي للإنسان هو ما يرغد في عيشه ويرتاح قلبه باستيطانه، ويكثر انتفاعه منه ويملك حرية القول والعمل فيه على حد قول الشاعر:

وكل محل يُنبتُ العزَّ طيب

وضع المترجم رسائل وكتبًا عديدة لا تزال مخطوطة كلها، وقد نُشر منها فصول ومقالات في كثيرٍ من المجلات والصحف في العراق وخارجه، مثل: المقتطف والهلال والمستقبل في مصر، ولغة العرب ودار السلام في بغداد، ومرآة العراق في البصرة، ومعظمها مُزَيَّن بالتصاوير والخرط، وها نحن أولاء نذكرها:

(١) رحلة الفرات: وصف رحلته إلى الفرات وكربلاء وشفاثا ... إلخ، وما شاهد الكاتب في تلك البلاد والقبائل وأحوال أهليها الاجتماعية وعوائدهم.

(٢) تاريخ النجف: في تاريخ بلدة النجف ووصف المشهد العلوي فيها، كما أنَّ له بحثًا مسهبًا في المياه التي سيقت إلى بلدة النَّجف منذ القديم إلى يومنا، وتراجم من أجرَوْها.

(٣) تاريخ الكوفة: ضمَّنه تاريخ الكوفة ومسجدها الشهير ومسجد السهلة، وما جاء فيهما من الكتابات القديمة والحديثة في الصخور والجدران أو قد زالت منذ عهد قريب.

(٤) تاريخ كربلاء: أتى فيه على تاريخ كربلاء ووصف مشهدَي الإمام الحسين وأخيه العباس فيها، وقد نُشر مثال منه في «لغة العرب».

(٥) المشاهد المقدَّسة في العراق.
(٦) سامرَّاء قديمًا وحديثًا: نُشر نموذج منه في «لغة العرب».
(٧) تاريخ الكاظمية: قديمًا وحديثًا ووصف مشهدي الإمامين موسى الكاظم، ومحمد الجواد، وتراجم العلماء والأدباء الذين نبغوا فيها، نُشر فصل منه في «مرآة العراق».
(٨) تاريخ البصرة.
(٩) الآثار العراقية: نُشر فصول منها في «لغة العرب».
(١٠) أشعار الأعراب: ضمَّنه بحثًا في أشعار الأعراب الحاليين وأقوالهم وأمثالهم.
(١١) أعراب العراق: يبحث فيه عن أنساب أعراب العراق وتعدُّد قبائلهم وبطونهم وشيوخهم وفرسانهم وشعرائهم وعرفائهم وعاداتهم.
(١٢) الأغاني العراقية: مع ذكر مشاهير المغنين العراقيين.
(١٣) صابئة العراق: الطائفة المعروفة فيه.
(١٤) اليزيدية: الطائفة المعروفة في أطراف الموصل.
(١٥) الأسر البغدادية: يبحث فيه عن الأسر الحالية ومرجع أهلها، وبدء نشوئها، وكيفية تأليفها.
(١٦) الفرق الثلاث: بحث المترجم في هذه الرسالة عن الفرق الثلاث الإمامية، وهي: الأصولية والإخبارية والشيخية أو الكشفية، وتبيان الفروق التي بينها.
(١٧) الأمثال العراقية: أودعها الأمثال العراقية العامية وشرحها.
(١٨) المصطلحات العراقية: بَحث في اللغة العامية في العراق.
(١٩) السفن العراقية: ضمنها وصف السفن العراقية ورجالها ومصطلحاتهم (نُشرت في لغة العرب وترجمها بعضُ المستشرقين إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية).
(٢٠) الشعر القصصي الحماسي: أثبت فيها — ردًّا على الآنسة النابغة «مي» — وجود الشعر القصصي الحماسي عند العرب الأولين (نُشرت في المقتطف).

وهناك رسائل وكتب يشتغل الشيخ المترجم في إكمالها، منها:

(٢١) بغداد: بحث مسهب في بغداد وولاتها وقضاتها قديمًا وحديثًا.
(٢٢) قضاة البصرة وولاتها.
(٢٣) سمات الأعراب الحاليين.
(٢٤) تركية وإنكلترة في العراق.

(٢٥) العراق: وصف الحالة الاجتماعية والأدبية والسياسية في العراق، منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى يومنا هذا.
(٢٦) العلم والأدب في العراق: يتضمن تراجم علماء العراق وأدبائه منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى الآن.
(٢٧) الوثنية في العراق: يبحث في الخرافات العراقية قديمًا وحديثًا.
(٢٨) الاحتفالات المقدسة في العراق.
(٢٩) ديوان الدجيلي.

وها نحن أولاء نثبت نخبة من نظمه:

(١) الحياة الاجتماعية

حديثك عن غير القويِّ حرامُ ... وسعيك في نصر الضعيف أثام
تحدَّثْ بمجد الأقوياء ففيهمُ ... قعودٌ بأحكام الورى وقيام
يؤلِّه مذ صار ابنُ آدم قوةً ... وما الكون إلا قوةٌ ونظام
إذا كنت بين العالمين أخا قوًى ... رعتك عيونُ الناس حين تنام
حمى الغاب بأسُ الليث من كل طارقٍ ... ولم ينجُ من فتك البزاة حمام
يقولون إنَّ الحق من فوق قوة ... ومَا الحقُّ إلا مدفعٌ وحُسام
ولو درسوا علم الطبيعة لانثنَوْا ... وفيهم غرامٌ بالقُوى وهُيام

* * *

وما الخلق إلا جائرٌ باسم عادلٍ ... ولكنه مُرخًى عليه قِرام
ينوح على مَيْتٍ ويأكل لحمه ... ويُهدي الصديقَ الزادَ فيه سمام
تمثل في أفعاله وخصاله ... لئام وقوم طيبون كرام
تكلمَ قلبي كِلْمَة من منافقٍ ... ورُبَّ كلامٍ في النفوسِ كِلام
فهل فيك يا بغداد نفس زكية ... تُعلِّم قومي كيف ساد عصام
بكت مُقلتي لما رأتنيَ أعزلًا ... وعزَّ عليها في الظلام منام

* * *

إلى العزِّ فاركبها معوَّدة السرى ... عليها ركوب الصاغرين حرام

تَغرَّبْ تَفُزْ بالعذر أو تبلغ المنى ففي الغمد يصدى السيف وهْو حسام
ولا تكُ عن نيل العلاء بقاعد وفيك إلى نيل العلاء قيام
ولا ترضَ ذُلَّ الخاملين وعيشَهم فإنَّ حياة الخاملين حِمام

* * *

أرى الناس أشياعًا وكلٌّ بزعمه له مذهب قصد السبيل قوام
ورُبَّ فتى أفنى الحياة عبادة ومعبوده الأوثان وهْي رجام
يصوِّر تمثالًا ويدعوه ربه فيعضده من تابعية فئام[1]
ويأتيه آتٍ بالنذور ونذره شراب طهور سائغ وطعام
يروم به عفوًا ورزقًا وصِحَّةً وليس بمقضيٍّ هناك مرام

* * *

ورُبَّ خرافي يروح ويغتدي وأفعاله فيما هناك أثام
فعاش إلى أن مات هذي فعاله وقدَّسه بعد الممات طغام
وشادوا عليهِ قُبَّة وتوسَّلوا إليه ببُرء الداء وهْو عقام
وجاءوه من شرق البلاد وغربها شعائرهم نُسْكُ لهُ وصيام
وخروا على أعتاب مثواه سُجَّدًا وأحشاؤهم فيها جوًى وأوام
وقالوا وهم يَبْكُون شوقًا ورهبة وصار لهم حول الضريح زحام
بك الله يُحيينا غدًا ويميتنا وأنت شفاءٌ للورى وسقام

* * *

ورُبَّ جَحودٍ ينكر اللهَ جهرةً وغير مبالٍ أن نحاه ملام
ينادي: بني الدنيا اسمعوا وتنبَّهوا فما هي إلا عيشة وحِمام
أساطير أقوام مضَوْا وخرافة مقال الورى: بعد الممات قيام
وكيف يعود الجسمُ بعد فنائه وتحيا عظام المَيْتِ وهْي رمام
لعمرك رأي يترك العقل ضاحكًا عليه ويجري الدمع وهو سجام

[1] الفئام: الجماعة من الناس.

* * *

ورُبَّ أخي علم يُعلِّم قومه فيسمع للتعليم منه كلام
يقول لهم: سر الطبيعة غامض يُشاهَد نور حوله وظلام
تَحيَّر فكر الفيلسوف بكُنهها فمات ومنها في حشاه ضرام
وكم حاول الماضون كشف ستارها فطافوا على غير المراد وحاموا
وما مطرت سحب لمن قام منهمُ وكيف وصرَّاد الدعاة جهام

* * *

حكاية أديان الأنام عجيبة تجمع فيها فرقة ووئام
تريد الهُدَى والخير للناس كلهم وكم ثار منها فتنة وخصام
وغايتها القصوى عبادة واحدٍ حقيقته ما إن تُرى وتُرام
عظيم لديه يصغر الخلق كله وتُستصغر الأجرام وهْي عظام
له أثر في كل شيءٍ وآية وبين قواه والوجود لزام
دعَوْه بأسماءٍ قد اختلفوا بها وعدُّوه نورًا لا يكاد يُشام
وقالوا وهم في حالة اليأس والرجا متى تتلاشى ظلمة وغمام
متى تجمع الأديان في الأرض وحدة لها سنة مشروعة ونظام
ويسلك كل العالمين سبيلها وغايتهم منها هدًى وسلام
وينسَوْن زنديقًا وينسَوْن مارقًا ويُفقد منهم مفسدون لئام
ويحيَوْن فوق الأرض لا فرق بينهم وليس حلال عندهم وحرام
كأنهم في العيش أبناء أسرةٍ كأنَّ بنيهم إخوة وتؤام

(٢) بوليس بغداد: وهي إحدى منظومات السجن الست

بدت نارها للشاربين ونورها وطافت بها والليل أليل حورُها
جلتها على الندمان صفراء عسجدًا من التين والتفاح كان عصيرها
معتقة في الخلد حيثُ تقدمت على زمن التاريخ عصرًا عصورها
تموت بها الأحزان موتًا مؤبدًا وتحيا بها البشرى ويأتي بشيرها
ويعقد تاجًا كسوريًّا حبابها إذا دار في الأقداح منها مديرها

لها سورة تجري الدموع لفعلها ... وتلتهب الأحشا ويندكُّ طورها
بتكشير أسنانٍ وتقطيب حاجبٍ ... ورَعشة رأسٍ يستدل خبيرها
سقتها بلا مزجٍ فغيَّر شربها ... طباع الندامى واستمرَّ مريرها
وقد ثقلت ألحاظهم ورءوسهم ... وقد حلَّ في الأعصاب منها فتورها
وقد خفَّ من أحلامهم كل راجح ... فطاش ولما يبغِ طيشًا كبيرها
إذا أشفق الساقي وبدَّل كأسها ... يعنفه شرِّيبها وعقيرها
أدرها علينا بالكبير فإننا ... كبارٌ ومن شأن الصغير صغيرها
وإن أنتَ قدَّمت المُدام بسرعة ... سُررنا وغايات النفوس سرورها
متى يهدر الإبريق عند انسكابها ... علينا يَزِدْنَا من هواها هديرها
ولما تكاملنا عديدًا وعدة ... وتمَّ لدينا أُنسها وحبورها
هنالك وافانا ونغَّص عيشنا ... بوليس به الأكدار ثار مثيرها
وقال بعنفٍ من أباح جلوسكم ... أجبناه من دار السلام أميرها
وأنَّا أناس جالسون مكاننا ... ولم نأتِ ضرًّا للعباد يضيرها
وهذا جواز بالجلوس مصرَّح ... فمزَّقه والعين منه يزيرها
وقال جهلتم قدرنا ومقامنا ... أنرهب أحكامًا إلينا مصيرها؟
ونحن الأُلى سَيْر الرعايا بحكمنا ... وفي يدنا أعمالها وأمورها
إذا ما أردنا أن نجوس ديارها ... تُفتَّح من دون التساؤل دورها
إرادتنا من فوق كل إرادة ... وفي قولنا يقضي الدعاوى مديرها
فقلنا أمن أمرٍ لديك وحاجة؟ ... ليُقضى ببشر سهلها وعسيرها
فقال: نعم إني أحب فتاتكم ... نوارًا، وإني منكمُ أستعيرها
فقلنا له إن الفتاة عفيفة ... ولم يتبيَّن فسقها وفجورها
فأوجعَنا ضربًا على الرأس بالعصا ... إلى أن تهاوت من عصاه قشورها
وقال وقد سالت دماء وجوهنا ... على أوجهٍ منا وخرَّ خريرها
أصيخوا فإني من خبرتم وذقتمُ ... رئيس بوليس خاف منهم جسورها
وإنيَ إن أنسب إليكم جناية ... فليس من الصعب العسير حضورها
أراكم سُكارى لا تعون وحالكم ... يؤدي إلى سجن البوليس مسيرها
ونادى بوليسًا خارج الباب واقفًا ... فجاء كما تأتي الطيورَ صقورها

وغلَّ بغلٍّ من حديد أكُفَّنا ... وقال كذا يلقى العقابَ شريرها
وقد أُخذت أموالنا وعروضنا ... فضاع بقصد الحفظ منها كثيرها
وأخرجَنا بالقهر والليل مسدف ... وفي الجو سحب قد بكانا مطيرها
وجرَّ نوارًا خلفنا وهي حاسر ... وقد غاب من عظم المصاب شعورها
وهشَّم من ضرب السياط جبينها ... وجُزَّت من السحب العنيف شعورها
وسالت دماءٌ من جميع جهاتها ... فبدل منها بالذبول نضيرها
فسرنا وفي أكتافنا منه زاجر ... وأرجلنا بالوحل جم عثورها
إلى أن وردنا السجنَ والسجنُ ضيق ... وقاعته مُحدَودبات صخورها
وقد ألصقتها بالتراب رطوبة ... يفت بأعضاد القويِّ يسيرها
يشم حديث العهد منا نتانة ... يزيد إذا اشتد الهجير ظهروها
ويلقى من السجان عند دخوله ... من الضرب ما يلقى بنجد كفورها
وذي سُنة استقبالهِ لسجينهِ ... لكي يعرف الدنيا وكيف غرورها
محل به حكم المساواة معلن ... يَعيش سواءً عبدها وأميرها
ولكن ترى فيه اللئيم مكرَّمًا ... وتلقى كريم الناس وهو حقيرها
«إذا حرسيٌّ قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام» وغاب شعورها
«نرى الباب لا نسطيع شيئًا وراءه» ... وزاد عليه من بنينا مرورها
نراها على بُعد من الخوف والأذى ... يسارقنا الأبصارَ منها بصيرها
«حواجبنا تقضي الحوائج بيننا» ... إذا شُغل الحراس في من يزورها
ترانا سكونا صامتين كأننا ... من الخلق موتى والسجون قبورها
وفي كل صبح نقصد الطُّرُق التي ... تدق بأيدينا نهارًا صخورها
يمر صغير النفس مستهزئًا بنا ... وينظرنا بالإعتبار كبيرها
وبتنا كما شاء البوليس على الثرى ... وليلتنا قد طال منها قصيرها
ولازمَنا من شدة البرد رجفةٌ ... بها العين منَّا لم يقرَّ قريرها

* * *

وقد زادنا وجدًا أنينُ مُكَبَّلٍ ... يُصعِّد أنفاسًا تعالى زفيرها
تنهَّدَ لما أنْ رآنا تحسُّرًا ... وأدمعه ينهلُّ منها غزيرها
وقال مَن الأقوام؟ قُلنا جماعة ... وتُهمَتنا بالسكر دُبِّر زُورها

ومن أنت يا مَن نفَّس الكربَ خطبُه؟ فقال: فتاة لم يخنها ضميرها
ألمَّ بها للقُوت عُسر وحاجة وكافلها في الهند وهو أسيرها
وقد شُغلت يومين في شغل ضابط ولم تُعطَ من مستأجريها أجورها
فأثَّر فيها الضعف من شدة الطوى وحل قواها هزلُها وفتورها
فطاحت بأحكام الطبيعة في ضنًى ثلاثين يومًا والشفا لا يزورها
وجاء مع «المُختار» وهي مريضة بولس دعاها كي يراها مديرها
فأرسلها للسجن ضابط شغلها وذا ذنبها في زعمهم وقصورها

* * *

وأخرى بقعر السجن تُرْضِعُ طفلها وتبكي من الجُلَّى فيبكي صغيرها
أهاج بكاها كامن الوجد والأسى ونارًا من الأحزان زاد سعيرها
فقلنا لها ما الأمر؟ قالت: بريئة من النسوة اللاتي تُصان خدورها
إلى الحرب ساق القائد الغر بعلها فراح ولم يرجع إليها عشيرها
قد بلغ الحكام — زورًا — مجيئه إلى أهله سرًّا فضاقت صدورها
وجاء وقد جن الظلام «بوليسهم» بصحبته «مختارها» وخفيرها
يفتش عنه الدار وهو الذي مضت على موته أيامها وشهورها
وقد وجدوا في الزبل ساعة فتشوا حديدة سيفٍ فيه طال دثورها
وقد صدأت من طول عهدٍ فلم تكن ليحملها صعلوكها وحقيرها
فأودعني من أجلها السجن ربه ومن يسعد الحصناء غاب نصيرها

* * *

وفي الصبح ساقونا إلى متحكم بأحكامه غر حكاه غريرها
فجازى فتاة البؤس شهرًا ونصفه لياليهما في السجن يمضي مرورها
وجازى فتاة السيف خمسة أشهر وغسْل ثيابٍ عصرها وبكورها
وقد حَبسوا من غير جرم رضيعها لترضعه إن درَّ منها دريرها
وجازى نوارًا بالغرامة إذ بدت وحالتها تُبكي العدى وتثيرها
وعاقبَنا كلًّا بعشرين جلدةً فجيء بأسواطٍ دقاقٍ سيورها
تنقع إن يُضربْ بها المرء ضربة لتبقى على الأبدان منها بثورها
وشُدت إلى الأخشاب أيدٍ وأَرْجُلٌ وجُرِّد من تلك الشقاة ظهورها

وقام بأمر الضرب قاسٍ مدرَّبٌ يُحاكيه من أُسْدِ العرين هَصُورها
وظلت رجال ذات جرم بزعمهم تنادي مُجيرًا من يَدَيْه يُجيرها
فلم يأتَها ذاك المجيرُ وإنما عليها من الأسواط جاء أخيرها
ولا يحسبن المرء تلك خرافة فناظمها سمَّاعها وخبيرها
ولم تك مأساةً لعمري غريبةً ففي جانبَي بغداد جم نظيرها

(٣) هل أنت شاعرة؟ فإني شاعر

نظمها ترضيةً للنابغة ماري زيادة المصرية المعروفة بـ «مي» وذلك على أثر انزعاجها من ردِّه على ما كتبته في المقتطف من خلو الآداب العربية من الشعر القصصي الحماسي.

قلبي بكل هواي لاسمكِ ذاكرُ هل أنت شاعرة؟ فإني شاعرُ
يرتاح للذكرى ويطرب كُلَّما وافاه طيف من خيالك زائر
يا من تحدثَت الرجالُ بفضلها وبها النساء النابغات تُفاخر
لكِ في سويداء الفؤاد وفكرتي وبمقلتي وفمي محل عامر
إني امرؤ بالنَّابغات مُتيَّم وإلى النَّوابغ شوقه مُتكاثر
الحب أضناه وبرَّح قلبه وأمضَّ آلامًا محب صابر
لم يُبقِ منه الشوق إلا صورة يأسى لها لمَّا يراها الناظر

* * *

واهًا لذي أدبٍ يعيشُ وحظه قطع بلا وصل وجد عاثر
ساءت معيشته فكل حياته نفْس معذَّبة وطرفٌ ساهر
ما عنده إلا عدوٌّ كاشح أو صاحبٌ يُخفي العداوة غادر
دئبان في إضراره أو ثلبه هذا يروِّحه وذاك يباكر
ما سَرَّه منهم عدوٌّ غائب إلا وأحزنه صديق حاضر
لم يدرِ أيهما أشد نكاية وكلاهما في الشر كلب عاقر

* * *

في كل قلبٍ يا أميمة نبعة للحب زاهرة وغصن ناضر

والحب منتجع الحياة وكل ما أحيا النفوس فذاك حب طاهر
والحب سلطان تَملَّك أهله خضعت سلاطينٌ له وجبابر
والحب فلسفة تعذر وصفها وعن الحقيقة كل فهمٍ قاصر
والحب معنى الله أو هو ذاته «طمحت إليه خواطرٌ ونواظر»
إني لأحوي في الفؤاد محبة لم تَحوِها للعاشقين ضمائر
ليتيمة الشرق المضيع حقه دول له تقضي وفيه تناظر
في عدلها جور وإن حكمت له! ومن الغريب يقال عدل جائر!

(٤) الخمرة: هي إحدى منظومات السجن

وجدت الخمر أولها مرارُ وآخرها لشاربها خمارُ
تطيش بها عقول راجحات وأحلامٌ وأدمغةٌ كبار
وتذهب صحة ويجيء سقم وتنسلب الجلالة والوقار
وتُفقَد عفة ويزول نسك ويُخلَع من أخي الورع العذار
وتنحط الجسوم بها انحطاطًا ويحدث في العيون بها احمرار
ويثقل رأس حاسيها إذا ما تصاعد في الدماغ لها بخار
فيلتهب الدماغ بها التهابًا كأن عصيرها في الرأس نار
وتعقر نفس حاسي الكأس منها لهذا الفعل سُميت العقار
فبينا تنظر الصاحي أديبًا إذا هو عند سكرته حمار
تغير حاله الشريب لما يقر لها بمهجته قرار
فتتركه كأنَّ به جنونًا فليس له شعور واختيار
يجود بقُوتِه وبما لديه غداة له إلى القُوتِ افتقار
ويضحك بينما يبكي ويغدو له مِن غير ما سبب خوار
ويقبض نفسه في حال بسط ويغضب حيث لا غضب مثار
وخامره فتورٌ في قواه وجوع هيضة قيء دوار
دموع تستهل بلا بكاء نعاس من صداع فاعتكار

لقد كذب الأُلى أثنَوْا عليها وقالوا شربها فيه الشيار[٢]
تموت بها هموم النفس لما يكون إلى النفوس لها مزار
وتمنح قلب شاربها ابتهاجًا فيغدو بالسرور له مطار
وتبعث في أخي هزل نشاطًا وتَجبر من عراه الإنكسار
فيا لَلناس من كذبٍ صُراح غدا عند الأنام له ادِّكار
تعوَّد كذبه قاصٍ ودانٍ وصدَّقه الأُلى لهم اشتهار
ألم يكُ ما نظمتُ بها صحيحًا؟ فلي فيها تجارب واختبار
درست طباعها درسًا دقيقًا على أنواعها وهي الكثار
فلم أرَ غير ما حدَّثتُ عنه لها وصف يحق له اعتبار
وإن تكُ قد حوت أنسًا طفيفًا فذلك في الحقيقة مستعار
فقل للمدمنين ألا أفيقوا فما أعماركم إلا قصار
كفى من عارها إنكار سكرٍ ومن خزي افتضاحتها استتار

(٥) النفس: هي إحدى منظومات السجن

يا لك من آمرة ناهيهْ أحكامها نافذة ماضيهْ
لم يقوَ مخلوق على ردها لو كان رب السلطة القاضيه
جامعة الأضداد شيطانة إلهة رشيدة غاويه
قاسية رقيقة الحاشيه سافلة عالية راقيه
خبيثة شريرة باغيه طيبة طاهرة زاكيه
عاجزة قادرة إن ونت أو عزمت خالدة فانيه
أصغر من كل صغيرٍ كما أكبر من كبرة سلطانيه
تقلبت كالرِّيح أوضاعها هادئة عاصفة عاتيه
الحب والبُغض لها شيمة فدأبها غاضبة راضيه
يدفعها النفع على حب من ينفعها ولو إلى الهاويه

[٢] الشيار: الحسن والهيئة والجمال واللباس والزينة والسمن.

والضر لا يتركها لحظة بدون أن يجعلها قاليه
دقق معانيها وأوصافها والعلم لم يعرف لها ماهيه
أعني بها النفس التي حيرت أفكار أرباب النهى الساميه

(٦) معدومة المثال

جاءت تحييك بالوصالِ غيداء معدومة المثالِ
وأقبلت تنثني اختيالًا في حلل العزِّ والجمال
رنَّحها السكر من مدام الصِّـ ـبى ومن خمرة الدلال
تاهت على كل ذي جمال تيه غني أخي نوال
واشتاقها الصب كاشتياق الـ ـورى جميعًا لكسب مال
عذراء شرقية السجايا لم تتلفَّت إلى البعال
مدرسة الأم هذبتها فأصبحت قدوة الرجال
ما خطرَ الحبُّ قبل هذا لها بفكر ولا ببال
واليوم جُنت به جنونًا تخالها منه في خبال

* * *

واهًا لنفس المحب واهًا تُرخِص في الحب كل غال
وأي قلب من البرايا مما تحب النفوس خال
جرَّ فؤادي الهوى عليه وقال ما للهوى ومالي

* * *

أرى حياة الورى جهادًا في معركٍ دائم النضال
يخدع فيه الفتى أخاه والخدع قد جاز في القتال
كل امرئٍ ناصبٌ حبالًا حتى أنا ناصبٌ حبالي
يقنص بعض الرجال جهرًا وأكثر الناس باغتيال
والنفس عند المراد تقضي على سواها ولا تبالي

* * *

إني أحب العراق حبًّا سلكت فيه نهج اعتدال

لستُ له عاشقًا ملولًا ولستُ بالعاشق المغالي
وما أنا بالفتى الموالي وفي ثيابي أبو رغال[٣]
وهذه حالة يراها من يختبر سيرة الأهالي

(٧) الزمان العتيد

هاج وجدي ذكرى الزمان العتيدِ وشجاني فقْد السري الرشيدِ
وعراني من دهشة الحال ما لم يَعرُني في زمان عبد الحميد
أنا من عاش في العراق غريبًا أنا حرٌّ مقيد بقيود
أنا مَن قال في الحقيقة قولًا فانتحاه مُكابر بالردود

* * *

يا نديمي وأين مني نديمي غنني واسقني ابنة العنقود
فلقد هاجني تهدم مجد كان في الشرق ذا بناءٍ مشيد
هد أركانه الزمان وأبقى رسمه ندبة بوجه الصعيد
أيها الشرق هل ليومك عود؟ أيها الشرق مَنِّنَا بالوعود
يا مقرَّ الإله يا معبد الكو ن عجيب تدهور المعبود!
نهض الغرب للرقيِّ ففاز الـ ـقوم فيه هناك بالمقصود
ملكوا كل عزةٍ وثراءٍ واختيارٍ وعُدَّةٍ وعديد
سبقونا إلى العلاء بعلم تخذوا منه سلمًا للصعود
ووقفنا جهلًا ونحن كسالى ننظر القوم من مكان بعيد
نتمنى الرقيَّ حيث قعدنا كيف يرقى إلى العلى ذو قعود؟
نحسب العلم كله لفقيه عارف بالركوع أو بالسجود
وادَّعينا بأننا عُلماء تلك دعوى مُحتاجة للشهود

[٣] هو كما جاء في الحديث، أبو ثقيف. وكان من ثمود في مكة يدفع عنها، فخرج منها فأصابته النقمة التي أصابت قومه. وعن الجوهري والصاغاني أنه كان دليلًا للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق. راجع تاج العروس مادة «رغل».

إنَّما الفقه يا هداة كتاب ... لستمُ زائديه بعض مزيد
كتب الناس قبلكم فيه قدمًا ... وكتبتم ما لم يكن بالجديد
فأضعتم زمانكم بكلام ... هو عند اللبيب غير مفيد
وادَّعيتم بالاجتهاد ادِّعاءً ... ورويتم أدلة التقليد
ومنعتم عن أكل مال اليتامى ... وأكلتم مال اليتيم الوحيد
وشربتم دم البريء وقلتم ... حُرِّم الخمر في الكتاب المجيد
وحكمتم بالكفر من نَاظَروكم ... ودعوتم للدين بالتهديد
لستمُ عن إلهكم وكلاء ... أو حماة ولا له بجنود
فاتركوا الناس للذي عبدوه ... فهْو يجزيهمُ بيوم الوعيد
إنْ نجوا منكمُ فهم سعداء ... من نصارى ومسلمين وهود

(٨) مسير ومصير

أيها الحاكمون ظلمًا على النا ... س رويدًا فالله بالمرصاد
لا تغضوا طرفًا لدى الحكم عن فر ... دٍ ولا تنظروا إلى أفراد
أوردوهم حوض المساواة فالقو ... م جميعًا حرَّى القلوب صوادي
عاملوهم بالرِّفق والعدل إذ هم ... ما لهم غير عدلكم من فاد

* * *

لست أدري وليتني كنتُ أدري ... أي يوم تزول فيه العوادي
أي يوم يموت فيه غواةٌ ... قد تمادَوْا في الغيِّ أيَّ تماد
كم أضلوا عن الهدى واستبدوا ... بالديانات أيَّما استبداد
كُلَّما قام مصلح ثم يدعو ... هم إليه رمَوْه بالإلحاد
فمتى يا ترى يبدد شمل ... ذو اجتماع من دولة الأوغاد
ومتى تسترد بغداد مجدًا ... سالفًا: دمعة على بغداد

* * *

يا سواد العراق بيَّضك الجد ... ب فصرت البياض وسط السواد
يا سواد العراق فيك كنوز ... يعلم الله ما لها من نفاد

يا سواد العراق أمحلك القو م وقد كنت روضة المرتاد
يا سواد العراق شلت يمين ذات إثم دلت عليك الأعادي

* * *

إن خير القريض ما كان منه يطرب السامعين بالإنشاد
والذي نظمه يقص على القا رئ وعظًا يذيب قلب الجماد
فهو طورًا ما بين أمر ونهي وهو طورًا ما بين حادٍ وهاد
وهو حينا بين المآتم ناع وأوانًا بين العرائس شاد
خاليَ الذكر من أحاديث لبنى وسليمى وزينب وسعاد
سلس اللفظ والعِبَارة جزل مُعجز باهر كشعر زياد

(٩) لا خوفًا ولا طمعًا

تجنب الشر لا خوفًا ولا طمعًا والشر في النفس قبل الخير قد طُبعا
يسعى إلى الخير لا يرضى به بدلًا والنفس والشر منه يجريان معا
سعى أخو الفقر للعلياء مُطَّلبًا فلم يصل ذروة العلياء حيث سعى
واهًا له قد أمات الفقرُ همتَه إذ كُلَّمَا قام يسعى للعلى وقعا
أحبني وتفانى في الهوى رجل وجدت بالفعل منه الحب مصطنعا
فَظَلْتُ أمحضه نُصحي وأوهمه على هواه كأني لست مُطَّلعا

(١٠) روضة وغدير

إلى الناس نشكو الناسَ من سوء فعلهم فقد كثرت آثامها وشرورها
أرى الشر قد عَمَّ البرية كلها أكل الورى يا قوم مات شعورها؟
فلا الدين منَّاع ولا العقل رادع ولا العلم جالٍ ظلمةً أو منيرها
أرى الناس في هيجاء من أمر عيشهم تنازع فيها عبدها وأميرها
فكانوا ودنياهم سباعًا وجيفة تعاوت عليها أُسدها ونمورها
تقدم في الدنيا فساد أخو الغنى وأُبْعِد كل البُعد عنها فقيرها
إذا قال رب المال قولًا تطاولت إلى وعيه من كل قومٍ نحورها

له حرمة في الناس وهي عظيمة ... وقدر جليل لم يحزه قديرها
له الرأي متبوع له الحكم نافذ ... له شهرة كالشمس سار مسيرها
بها الفضل مقرون بها العلم خالد ... بها من شئون العالمين خطيرها

(١١) صحبي وخلاني

حب الحقيقة يُصبيني فيتركني ... أحكي الحقيقة في سرٍّ وإعلان
كم قاتلٍ وطنًا باسم الحياة له ... فعُدَّ أمثاله خُدَّام أوطان
تعوَّد الناس مذ صاروا مداهنة ... فهم مراءون من شيب وشبان
ما كنت تلقاه من أخلاق سوقتهم ... كذاك تلقاه في أخلاق أعيان
تنازعوا لبقاءٍ حيثُ لا ترةٌ ... فأصبحوا بين أصحاب وعدوان
يرجو الصديق صديقًا فيه حاجته ... ويشرب الدم منه شرب ظمئان

* * *

مَن مخبري منكمُ عن حكمةٍ غمصت ... فحيرت كل ذي فكرٍ وإمعان
لم أبقت الشيب أحياء — وقد عجزوا ... عن الحياة — ولم أودت بشبان؟
لم أوقعت بكبار المصلحين ولم ... أروت كلابًا وأظمت أسد خفان؟
إني أرى الفهم عيًّا عن حقيقتها ... ولو تلقى علوم الإنس والجان!

(١٢) شئون وشجون

تطول حياة المرء ما طال ذكره ... وإن الفتى من يجعل الذكر سرمدا
إذا كان عمر المرء ستين حجة ... فعمر مساعيه زمانًا مؤبدا
وما العيش في هذا الوجود سوى المنى ... إذا نلت مقصودًا ترى العيش أرغدا
سعى الناس للذكرى بطرق عديدة ... وكلٌّ يرجي ذكره أن يخلَّدا
بقدر مساعي المرء يبلغ قدره ... إذا هي كانت سيئاتٍ وسؤددا
ومن يخدم الأوطان خدمة صادق ... يخلِّد له التاريخ ذكرًا ممجَّدا
ومن يدفَعِ الأعداء أو يحمِ قومه ... يَعِشْ ويَمُتْ جم الفضائل أحمدا
وما آفة الأوطان إلا منافق ... يُهيج سرًّا حين يظهر مسعدا

أبان له وجهًا من القول أبيضا ... وأخفى له قلبًا من الفعل أسودا
«لعمري وما عمري عليَّ بهين» ... لَذاك على الأوطان شر من العدى
أخذنا عن الماضين أخبار مَن مضَوْا ... فكنا بها نلقى الضلالة والهدى
كفى عبرة للمرء سيرة غيره ... فكل امرئ منَّا لأصواته صدى

ومنها:

أرى النجح باسم الإتفاق محققًا ... كما لا ينال النجح جمعٌ تبددا
ودعوتنا لا يكثر اليوم أهلها ... إذا لم تكن باسم العراق مجردا
وكل حقوقٍ في العراق صريحة ... ولست أرى فيما أقول مفندا
فواجب هذا القطر أصبح شاملًا ... لأتباع موسى والمسيح وأحمدا

(١٣) عوامل الحياة

شاب رأسي والعمر غض قشيبُ ... يا شبابي واهًا علاك المشيبُ
إنما الشيب مُفسد لهوانا ... فهْو واشٍ وعاذلٌ ورقيب
إنما الشيب يبعث الهزل في الجسـ ... ـم فمرآه في النفوس رهيب
إنما الشيب للمات نذير ... إن يوم المشيب يوم عصيب
قيل إن المشيب فيه وقار ... قُلت فيه للذل أيضًا ضروب
حالة لا يريدها كل حي ... فالورى في قَبولها مغصوب
إنَّ رأسي والشيب فيه كليل ... طلعت فيه أنجم لا تغيب
هي فيهِ نيازكٌ ذات غازا ... تٍ بها السهم كامن واللهيب
أشعلته بنارها فهْو منها ... ويح رأسي عما قريبٍ يذوب

منها:

ما لدينا سوى الطبيعة شيء ... من سمانا وأرضنا موهوب
لستُ أدري وما عرفت لماذا ... حسناتي لدي الحبيب ذنوب
إنَّ قلبي نحو الحبيب سليم ... ليت شعري ماذا يريد الحبيب
رُبَّ صحبٍ عقدت فيهم رجائي ... أسلموني وللأعادي وثوب

ومنها:

«علمونا أنَّ الحياة جهاد» علمونا أنَّ الجهاد وجوب
علمونا أنَّ الحياة ممات للذي حقه بها مغصوب
علمونا أنَّ القويَّ بهذي الـ أرض يحيا وبأسه مرهوب
علمونا أن القويَّ أحق النَّـ ـاس بالملك وهْو عنه غريب
علمونا أن الضعيف بعيد عن حقوقٍ منالهن قريب
علمونا أنَّ التَّخاذل ضغف فيه تفنى قبائل وشعوب
علمونا حق الحياة لنحيا كشعوب طريقها ملحوب
علمونا أنَّ الجهالة عار علمونا أنَّ البطالة حوب
علمونا أنَّ الخيانة والغيـ ـبة والغدر والنفاق عيوب
علمونا أنَّ الطبيعة فيها كل شيء تهواه منا القلوب
علمونا أن ابن آدم فيه قوة تنجلي لديها الغيوب

(١٤) المرأة

يا زوجة المرء ويا أمَّه حارت بك الأبصار والباصره
ما أنتِ إلا امرأة فذَّةٌ قد نعتتها الأمم الحاضره
إلهة معبودة تارة وتارة شيطانة ساحره
تغضب في حال الرضا مثلما ترضى وفيها غضب الواتره
لا وصلها دام ولا قطعها كدولة عادلة جائره

(١٥) بنات الماء

وصف فيها طريقه في الفرات ما بين الكوفة والهندية المعروفة بـ «طويريج».

بنات الماء سيَّرها البُخارُ بنا تجري وليس لها اختيارُ
جرت والطير طائرة فخلنا بأنَّ الطير ليس لها مطار
وسابقت الرياح لدى مهب فراحت لا يُشقُّ لها غبار

متى بَعُدَ المزار على سفين ... وجدت لمثلها قرب المزار
ركبناها وماء النهر جارٍ ... كمجرى السيل تشربه البحار
فسارت في الفرات لها صعودٌ ... كما نهوى وللماء انحدار
تشق الماء ماخرة بعزم ... به بعث القوى غاز ونار
فيترك سيرُها في النهر موجًا ... يعود به لجرفيه انهيار
حباها العلم مكرمة وفضلًا ... وعزًّا لا الحدائد والنضار
ولولا العلم ما ركب البرايا ... على طيارة أبدًا وطاروا

* * *

بنات الماء مركبها وثير ... وليس لسيرها عج مثار
يطيب لراكبيها العيش فيها ... إذا ما الشمس حجَّبها البخار
وقد هب النَّسيم بكل لطف ... كجانٍ قد أتاك له اعتذار
وللصفصاف حيثُ النَّهر طامٍ ... على جنبيه زهو وازدهار
وريح تُنْعِش الأرواح طيبًا ... كأن مهبَّها مسك وقار
ترى أغصانه والريح تجري ... لها ثَمَّ انكسار وانجبار
تجور الريح عادية عليها ... وليس لها على الريح انتصار
لأن يد الطبيعة أسلمتها ... إلى عيشٍ به القدراء جاروا
وقد أفنى القويُّ به ضعيفًا ... وفاز به على القل الكثار
وأحسن ما تراه هناك عين ... إذا سارت ومن في الأرض ساروا
فتحسبهم وقد ركضوا وقوفًا ... يُقِلُّهم جواد أو حمار
هناك الحال تملأنا سرورًا ... وتُضحكنا لما صرنا وصاروا
مضى الزَّمن القديم غداة فيه ... يُقلُّ الركبَ من إبل قطار
ووافى دهرنا الحالي بما لم ... يكن من قبلُ فيه لنا افتكار
عجائب تُعجز الشعراءَ وصفًا ... وفي الأشعار ليس لها انحصار

ومن رباعياته ومسدساته قوله:

غاية المرء انتفاع ... في وقوف ومسير
وإذا لم يبغِ نفعًا ... فهْو من غير شعور

* * *

أكثر الناس رعاع وقليل عقلاء
وترى الجهل كثيرًا عند من هم أغنياء
وهُمُ من كل هذا شرفاء وجهاء

* * *

شاعر قام يُغنِّي وهو لم يدرِ الغناءَ
أيها الشاعر مهلًا قد هتكت الشعراء
كاتب يكتب منا وهو أعمى في الكتابة
ومن البلوى تراه يدَّعي فيها الإصابة

* * *

عبد الناس إلهًا ما رأَوْه ورآهم
طمعًا فيه وخوفًا منه هل يخفى هواهم

* * *

يُنهض الشعبَ رجالٌ لا يهابون الرجالا
يجبهون الخصم جبهًا ويردُّون المقالا

* * *

طالب يطلب علمًا وهو غرٌّ ذو سفاله
قبلما من كل شيء أصلِحوا يا قوم حاله

* * *

قيل إن الروح شيء خاضع للوسطاء
قلت هذا يتراءى لعقول البسطاء

* * *

ليس في الأرض سلام يا محبًّا للسلام
حيث أهل الأرض طُرًّا كلَّ يوم في خصام

* * *

إنما الدنيا حياة ومماتٌ وخلود
فإذا ما مات حيٌّ فهو هيهات يعود

* * *

مَيِّتٌ نبكي عليه حينما نقتل حيا
أتظن الأمر يبقى أبد الدهر خفيا

نفسيَ تدعوني إلى مطلب وحيلتي تقصر عن نيله
والعقل قد حدثني قائلًا وقد وجدت الصدق في قوله
لا يستفيد اليوم إلا إمرؤ حيلته أكثر من حوله

* * *

الناس من دنياهمُ في عذابْ وهم لها طرًّا كثيرو الطِّلابْ
والخلق تهوي من به مطمع وصاحب المال كثير الصحاب
أحبه الصحب على ماله وحيثُ تلقى الدبس تلقى الذباب

* * *

وسائل يسأل عن مبدئي فقلتُ إني رجل أسوئي
خبرتُ دنياي وأبناءها مُذ نشأتي خبرة مستقرئِ
فلم أشاهد غير ما حالة أرتنيَ السوء بكل امرئِ

* * *

للناس غايات ولكنها جميعها نحو الهوى سائره
وكل من يسعى بلا غاية ليس له بصيرة باصره

* * *

كل امرئ أصبح في نعمة يَكثُر في العالم حُسَّاده
وحاسدوه لا يحبونه لكنهم مع ذاك عُبَّاده

* * *

نلت الغنى والفقر دهرًا فما تغيرت لي حالة فيهما
نفسيَ نفس الحرِّ إن كنت ذا مالٍ وإن كنت امرءًا مُعدِما

* * *

وصاحب صاحب وجهين قد عوَّد النفس على المين
عاشرته ردحًا فشاهدته صاحبه صاحب وجهين

* * *

لا عيش للأوطان إن قلقت أفكار أهليها من الذعر
تحيا البلاد وتستقيم إذا ساد الأمان بها مع اليسر

* * *

ولي وطن يعذبه أناس بدعوى أنَّ قصدهم شفاؤه
ولو تركوه يختارُ المداوي لأصلح حاله ولزال داؤه

* * *

ورُبَّ أُناسٍ يُظهرون مودتي ويخفون لي أفعى حدادًا نيوبها
أقابل بالإحسان سيئ فعلهم سجية حُرٍّ لم أزل أستطيبها

* * *

أرى الفقر يرمي المرء في كل محنةٍ ويخفض أرواحًا رفيعًا جنابها
وما الفقر إلا آفة دنيوية يموت الذي عضته في الدهر نابها

* * *

أرى الشر ما بين القمار وخمرة أسيغ من السم الذعاف شرابها
هما آفة الأموال والعز والحجى وحين نفوس لا يحين ذهابها

* * *

إنَّ داء الشرقي وهو عضال راسخ في العظام والأعصاب
بِشْره واستياؤه ورضاه وبُكاه لأتفه الأسباب

* * *

أيها القائمون بالسلم فينا ما لكم بينكم تُثار الحروب
إن فسدتم أنتم فمن يصلح الحا لَ وقد غاب شارع وطبيب

* * *

أمل المرء في البقاء طويل ليس يقلوه لو أسنَّ وشابا
كُلَّما طال عمره وغِناه زاد كبرًا وشحة واكتسابا

* * *

أهوى العراق وأهليه ولا عجبٌ إذا انتقدتهمُ جهدي وتمكيني
إني أحب لهم خيرًا ومصلحة والخير فيمن على عيبي يُقاضيني

* * *

إني أرى العيش في أرض سوى وطني إذا رحلت إليها اليوم أصفى لي
والعيش في بلدٍ قل الرفاق به خير من العيش بين الصحب والآل

* * *

الحياة معترك للورى ومضطرب
يغصب القوي بها والضعيف مغتصَب

* * *

الجميل يصنعه من له به أرب
والإله يعبده من يُخيفه اللهب

* * *

كل فعلٍ قيل عنه إنه شيء قبيح
فهْو لا شك بعيني مُتعاطيه مليح

* * *

أكثر الناس عبيدٌ لذوي المال الكثير
فكأنَّ المال فيه قدرة الله الكبير

الجزء الثاني

بيانٌ موجز

بين يديك، الجزء الثاني من قسم المنظوم من كتابي «الأدب العصري في العراق العربي»، وهو — مع شقيقه الأول وصنوهما الجزء الثالث الذي سيليهما — يمثل الشعر العراقي العصري أحسن تمثيل، ويُبيِّن أساليب شعرائنا وأغراضهم ومناحيَهم فيما ينظمون، وهذا قصدي من الكتاب فحسب.

بغداد، ١ كانون الثاني ١٩٢٣
رفائيل بطي

ملاحظتان

(١) جاء ترتيبُ الشعراء في الجزء الأول وهذا الجزء والذي يليهما حسبما خُيِّل لي، ولم أتعمد تقديم الواحد على الآخر أو المُفاضلة بينهما، إنَّما أودعت ذلك كتاب «نقد الأدب العراقي العصري».

(٢) يجد المُطالع في قسم المنظوم تفاوتًا في شعر المترجمين، ومراتبهم الأدبية، وقد سوَّغ لي هذا العمل الغرضُ الذي قصدتُ إليه في الكتاب من تمثيل صورة مُجَسَّمة للأدب العصري عندنا.

المؤلف

علي الشرقي

علي الشرقي.

غصنٌ من الأغصان العراقية، نبت في حقل النجف الأشرف من بيتٍ عريقٍ في العلم والفضيلة، وقد مرَّ عليه — يوم كتابة هذه السطور — من العمر ٣٣ ربيعًا قضى زهرتها

في التزوُّد من زاد الأدب، والتروِّي من أعذب مناهل الفضل، ولم يتلقَّ دروسه من أستاذ، لكنه نشأ يتيمًا فتتلمذ على المحافل الأدبية وجمع أكثر مادته من مُحاضرات الفُضلاء ومُطارحتهم في المواضيع العلمية، وقد تعاطى النَّفس المصري فنظم فيه ورقم، غير أنه اختار منذ أكثر من سنة إطفاء نفسه بعيشة الانقباض والعزلة، وربما نفث في زاويته بعض نفثات لا يرى مجالًا لنشرها اليوم.

وللمترجم آثار نفيسة بين منثور ومنظوم، منها:

(١) الغراف والطبايح: وهو كتاب تاريخي أحصى كثيرًا من الآثار العراقية المنسية.
(٢) نكت القلم: مجموعة مقالات في الأدب والأخلاق والاجتماع.
(٣) قيد الشوارد: مجموع لغوي نفيس.
(٤) ديوان الشرقي: يتضمَّن مجموع ما نظمه الشاعر في الأبواب المتنوعة.

وإليك نخبة من شعره:

قصيدة

وأشفقت يلذع خدَّ الحبيب فؤَادٌ على وجنتيه التهبْ
وما التهبت قطعات القلو ب إلا لتسبك هذا الذهب
دنت لا دنت منك كفُّ المشوق إذا كان صدغك منها اضطرب
على الرِّفق أيتها الماشطات فما بين طياته قلب صب
فؤادي وماذا يكون الفؤاد فلو كان من صخرةٍ لانشعب

* * *

ألا رحمة تدرك الساخطين فتثمر عفوًا سياط الغضب
من الدين أن نتعاطى الجفاء؟ ومن أدب النفس هذي الريب؟
وما افترق الدين والإجتماع لو اعتنق الناسُ دينَ الأدب
لقد صدِئتْ بالنفور القلوب تعالوا لنصقلها بالعتب
خليليَّ مثل جناحي حمام أعِينا وهبًّا إذا الشوق هب
يدًا بيد لا المَعين الزلال مشوبًا ولا الملح فوق الركب
سلا من يدين له واحدًا ومن قد يدين لإبن وأب

متى كتب اليأس للبائسين وفي أي لوح ومن ذا كتب؟

* * *

ولي صاحب هل صحبت الخيا ل لم تلتفت عنه إلا ذهب
مسحت الجفون له خافقًا مضى لا مضى حلمًا مقتضب
ويثملني العربيُّ الصميم إذا عب لي أدبًا وطرب
أحب الجميل وأهل الجميل ليبقى الهوى ولْيحيَ العرب
فيا لكِ من أمةٍ أوجفت ولم أتَّهم صدرها بالرهب
وكم بثةٍ ليَ في ضيمها وقد ذهبت حكةً في جرب
إذا حفظ الله أخلاقها فما ضائر أن تضيع الرتب
ولو أستطع درء آلامها درأت ولكنَّ رمحي قصب
ولا بُدَّ في العمر من صدفة تعلم نبعك كيف الغرب

عبرة الشرق

لفحت أمانينا الزمان فليلةٌ حبلى مؤمَّلة ويوم يطلقُ
أمَّا ضماد الجرح فهو مؤمل لكنَّما ألم الجروح محقق
بعد المدى يا راكضين تمهلوا وأبى الوفا يا ظافرين ترفقوا
حاولت أخطفها أمانٍ أفلتت هربًا وتلحقها اليدان فتصفق
يا راقدي الليل التمامِ نعمتمُ بالًا لعل بقربكم من يشفق
إني طرحت القلب بين رباعكم ليكون عندكمُ فؤاد يخفق
ولقد نفضت من الوثوق أناملي من ذا يحط يدي على من يوثق
أنا يا حمامات الأراك مُغرِّد لكن برغم حلاك لا أتطوق
طوباكِ خلصك الجناح فما استوى روحٌ مُقيدة وروح مطلق

* * *

نطقت بحاجتها الشعوب وأفصحت وأرى عراقي واجمًا لا ينطق
وكأنَّ هذا الشرق سفر غرائب شرحوا عليه الدارجون وعلقوا
ختمت صحائفه وجئنا بعدها حتى كأنا فيه فصل ملحق

يا مغرب الشمس المشتت فاستفد درسًا أفاض به عليك المشرق
لا بد أن تلقى جزاء مطامع أمم تبدد شملها وتمزق
هذي قضايا الشرق في تاريخه أنذر بلادكَ أيُّها المستشرق
عشقت بنو الشرق البلاد فمسَّها شره فبدَّد شملهم فتخرقوا
نهضت فأسقطها النهوض وإنما للضعف آخر قوةٍ تتفرق

قصيدة

الدمع عاطفة يجيشُ بها الأسى لتراوح الأشجان أو لتريحا
قلق الجفون وقد أروِّح بالبكا عينًا تَسيلُ مُعذبًا ومريحا
ما هذه العبرات إلا زفرة بردت فعادت مدمعًا مسفوحا
تتعلق الأهداب في أذيالها حرصًا وينقضها البكا لتطيحا
أخشى عليها أنْ يصدعها الثرى دررًا فأرخى عقدها تسريحا
درس الصبابة كم قرأت بلوحه عبرًا ووحيًا للعواطف يوحى
فصح الشعور به ولم أكُ شاكيًا إلا لكوني شاعرًا وفصيحا
في النفس أشياء فهل من موضع حرِّ الفضاء لأشتكي وأبوحا
ما أكثر الشوك المؤلم للحشى في ذي البلاد وما أقل الشيحا
عمَّ البلى فلوَ انَّ طوفانًا أتى هذا الورى لم يُبقِ منهم نوحا
مِن كل مَن ملأَ الضلالُ رداءه والإفك يملأ ثغره تسبيحا
فلأنصحنْ قَومي وإن جلب الردى فالعود يحرق نفسه ليفوحا
قالوا الصحيح نرى فقلت تفقأت عين ترَوْن بها السقيم صحيحا
وتسلفوا بشرى برجعة يوسف إن يصدقوا فلينشقوني الريحا
يا ديمة الإصلاح رشي موطني فعساه يُنبت مصلحًا ونصيحا

على نهر الغراف

زهو القصور ونزهة الأرياف غرف مطلات على الغرَّاف
تلقى الحضارة والبداوة عندها بإزاء أفرع أو بجنب طراف

أنفت على الأحقاف فهْي مدلة ... لكنها ببساطة الأحقاف
نهضت على حمراء دجلة زانها ... صافي الأديم على الأديم الصافي
بمحلة الأغصان أحلف أنَّها ... مِنْ حُسنها بمحلة الأعطاف
شالت نوافذها كعين مُلاحظ ... وتطابقت كجفون عين الغافي
معمورة الأطراف كم من ليلة ... بجوارها معمورة الأطراف
والنهر مضفورُ السلاسل فلَّه ... جرى النَّسيم وكف منه الضافي
يجري وتصدعه النَّسائم صدفةً ... فنثاره صُدَعٌ من الأصداف
ملآن إن ركد النسيم تخاله ... جمدت مجاريه وجفَّ الضافي
قمر السما لك فوق دجلة منظر ... متنوِّع الأطياف والألطاف
وكأنَّ دجلة شعلة وهَّاجة ... سالت أشعتها على الأجراف

* * *

يا ماءُ أهلُكَ مجحفون فإن تُطِقْ ... طهِّر قلوبهمُ من الإجحاف
أمَّا المروءة فهْي آخر عهدهم ... صلى الإله على الوفاء الغافي
فلو استطعت نزفت دجلة ماءها ... وجعلت مجراها من الإنصاف
عذب النطاف وما وجدتك في فمي ... من كثرة الحسرات عذب نطاف
تقسو قلوبهم وقلبك ليِّن ... ويشوبهم كدر وأنت مصاف
ولقد سقطت على القلوب وحبها ... ونفذت فاشرب سودها بذعاف
وقد استقاك قريبنا وبعيدنا ... هذا أنا أفهكذا أحلافي
البدر مطَّلع عليَّ بأنني ... أرعى ومطلع على ألَّافي
في ذمة الأشراف ضيعة أمةٍ ... لم تدرِ غير عبادة الأشراف

* * *

يتنابثون تديُّنًا وتمدنًا ... والزرع زرع تشتتٍ وخلاف
الدين والوطن العزيز مُحبب ... من دون قسيس ودون صحافي

قصيدة

كيف أصبحتِ فافصحي يا بلاد ... فيك ما يعقد الرطاب الفصاحا
أسكون كما هدأت مساءً ... أم ضجيج كما انتبهت صباحا
ملأت آلك الفضاء عجيجًا ... ما استبانت تهللًا ونياحا
يا ضريح الآمال حولكِ حرنا ... أن بعثنا الرجا دفنت النجاحا
زيَّن الدارجون منك بلادًا ... بوسام الحمى فعاد مباحًا
آه ما أكثف الحجاب يقينًا ... رفرفوا حول ثغرها أرواحا
يا ركاب الأرواح قبلك ركب ... رائح أنت فاستبن أين راحا
لم يحلوكِ عقدةً تشغل الفكـ ... ـر فهل لازم السرى أم أراحا
ما أضلَّ الإنسانَ ينثر في الأر ... ض بذور الشقا ليلقى الفلاحا
نوهته قساوة وبلاء ... لقَّبوها شجاعةً وسلاحا
لم تزنه اليدان إلَّا ليُهدي ... للبرايا تصافحًا لا صفاحا
سلبت رحمةَ القلوب أمانٍ ... ألبسوها مراهفًا ورماحا
حلم خدَّر المشاعر منهم ... فتلاشَوْا تنازعًا وكفاحا
تأمن الشاة في السراح وبين النَّـ ... ـاس لا يأمن الضعيف سراحا

رثاء عرس

وقد ماتت العروس في زفافها كما تُختطف الوردة.

شمعة العرس ما أجدتِ التأسي ... أنت موقودة ويُطفأ عرسي
أنت مثلي مشبوبة القلب لكن ... من سناك المشئوم ظلمة نفسي
يا رعى الله للزفاف شموعًا ... يتهافتن حول نعشٍ ورمس
عكست حظها الليالي فذابت ... خجلًا تسقط الدموع بهمس
هكذا ذاب باحتراقٍ فؤادي ... هكذا سورة الدموع برأسي
جلوة أم مناحة لنجوم ... يتناثرن بين سعد ونحس
الرجا كان شمعة فتلاشى ... وانطفاء صدم الرجاء بيأس

* * *

أجلفت دهشة المُصاب الغواني فتطالعن من ستور الدمقس
تتبارى بخشية وانصداع تطأ الأرض بارتباك وهجس
كنجوم تكدرت فتهاوت من سماء إلى حظيرة قدس
فوجئت بالبكا ومذ جمد الدمـ ـع تباكين باحورارٍ ولعس
أبدلوها عن المنصة نعشًا طالما ضمَّ رب عرش وكرسي
وترى نعشها كباقة ورد تتهادى الأكف فيها بخلس
رقدت رقدة النديم بجنب الـ ـكأس في ساعة ارتياح وأنس
وبحضن الربيع أغفت فماتت ميتة الورد في ذبول ويبس
رفرفت حولها البلابل خرسًا وبكاها نزع الحلي بجرس
حزن وادٍ وارى شبابك أن لا ينبت الورد فيه من كل جنس
أسفًا يُخرج الربيع الرياحيـ ـن من الترب وهْي في الترب تمسي
وكثير في ذا التراب رياحيـ ـن تعطلن عن نبات وغرس

قصيدة

يا وحشة الخل الذي عنكم طواه بعادهُ
مل الوسادَ من الهمو م وملَّ منه وساده
ما حنَّ في الحي امرؤ إلا ورنَّ فـؤاده
أأُخيَّ يا نَفَس الربيـ ـع إذا زكت أوراده
كبدي وما كبدي سوى جرحٍ وأنت ضماده
للقاك أشتاق العراق فأنت لا بغداده
ذكراي أنت وإن غدت ذكرى الغريب بلاده
أعتاد تنغيص الحياة جفاك لا أعتاده
ما بال ربك يا وفا ء قليلة عباده
وأبو الخطية آدم وتعذَّبت أولاده

قصيدة

إن تنسني يا لا نسيـ ـتِ فهذه ذكرى مشوقِ
هل أنتِ ذاكرتي وفي الذِّ كرى وفاء للصديق
خفق الفؤاد إلى لقا كِ فهل فؤادكِ في خفوق
خمري وذكري أنتِ في كاسي وفي الصوت الرقيق
إني أشمك في الورو د وأشتهيك مع الشقيق
هذا حنيني للحبيـ ـب وذا وفائي للرفيق
نبتت عليه مغارسي وعليه قد وشجت عروقي
لا سامح الله الهوى فلقد تسامح في حقوقي
يا غابر الأيام كم من جفلةٍ لك في الطريق
هذي المنازل للشقا ء فكيف منزلنا الحقيقي
كل البيوت لباطل والحق في البيت العتيق

قصيدة

طيبت نفسي بالقلي ـلِ وإنَّ كحل العين ذرَّهْ
والدهر حلو كُلُّه لكن نفس الحرِّ مُرَّه
كم حسرةٍ في صدره يا ساعد الرَّحمن صدره
كذب التظاهر كفتا ميزاننا عجز وقدره
يا نادبين تصبروا كم تندبون ثرًى وصخره
للنفس سير دائب بحياتها والموت فتره
لي نشأة ما بين تسـ ـعة أشهرٍ مرَّت وعشره
كانت حياة وانقضت لم أدرِ عالمها وذكره
وكذا حياتي هذه بعد السنين المستمرَّه
تطوى وأُصْبِحُ بعدها في نشأة أخرى ونشره
ميلادنا ومماتنا ونشورنا أنواع طفره

قصيدة

خير الربيعين الشباب فليته كالورد يُرجعه الربيع الثاني
ليت الذي ردَّ الغصون وقد ذوت خُضرًا يردُّ ليَ الشبابَ الفاني
أو ليت عافية الشباب كوردة يبست وباقٍ عطرها لزمان
إني وبالحسرات قضيت الصبا كالعود ينشر طيبه بدخان
نهض الأراك وقد نهضت بجنبه وكساه ريعان الصبا وكساني
ريان يشربه الصباح نضارة فكأنما يسقيه باللمعان
وعلى الوجوه من النَّسيم ذكاوة مثل اصطباح الورد في نيسان
نَفَس الربيع جرى على ماء الصبا مُتعثرًا بكمائم الريحان
والصبح يهبط منه روح منعش للزهر أو لطف من الرحمن
والجلنارة حلية ذهبية قد علقت بذوائب الأغصان
والنبت عمَّم صلع هامات الربى زهرًا وشد مآزر الكثبان
والنخل حول النهر مثل عرائس نصت سوالفها على غدران
وجذوعها أشباحُ جانٍ مارد نهضت بقنزعةٍ من الشيطان
وجرى الفرات جماله بجلاله مُتجبرًا يزدان بالطغيان
يتفاوت الإبداع في زهر الرُّبى بتفاوت النفحات والألوان
ما هذه الأزهار إلا تربة نَبتت لتنشقنا شذى الأوطان

من قصيدة

أناجيك والليل مصغٍ صموت أمرعية للخليل العهودُ
فضاء تحرك فيه النسيم وقلب تحرك فيه النشيد
نسيمكمُ لا نسيم الصباح وريحانكم لا الربيع الجديد
حبيبي ودون الحبيب القفار بقلبي فقلبي قريب بعيد
ويا قلب صرت دمًا بالفراق فهيهات هيهات قلبًا تعود
شقيقي برغمي عاد الربيع وعادت بدون الشقيق الورود
وصعب عليَّ يهب الشمال وتبقى شمائلنا والركود

كـمـا ذبـل الـورد أيـامـنـا تقضت وفيهن عطر شديد
فللمنظر الحلو تبكي العيون وللرونق الغض تبكي الخدود

* * *

ألا نـابـغ لـحـيـاة الـبـلاد فينبت فيها الجديد المفيد
عسى يتحرك فيها الرجاء فما أخر الشرق إلا الجمود

محمد الهاشمي

محمد الهاشمي.

هو أنبغ فتيان العراق في المنظوم، يتطلَّع له العارفون إلى مستقبلٍ مجيدٍ في عالم الشعر، عشق الأدب ونبه فيه يافعًا، فسبق كثيرين من الشبان والكهول ممن يتعاطَوْن هذه الصناعة. وقد أخذ ينسج على طراز الشعر المنثور في بعض كتاباته، عقيب عودته

من القُطر المصري. وهو في منظومه أجود منه في منثوره، كما أنَّه في كتابته أصح الشباب وأمتنهم.

وُلد محمد الهاشمي في بغداد حيثُ تقيم أُسرته سنة ١٨٩٨م، وهو محمد بن يحيى بن عبد القادر ينتهي نَسَبُه إلى الشيخ علاء الدين الحموي الشهير المعروف بالشيخ علوان صاحب المؤلفات في فقه الشافعية والتصوف، له مزار معروف في حما.

تعلم في صغره القرآن الكريم على أبيه، ثم درس العربية وعلومها على أخيه الأكبر حتى أتقنها، ودرس كذلك على عِدَّةٍ من علماء بغداد، وابتدأ ينظم الشعر وهو في الثانية عشرة من عمره.

دخل المترجم سنة ١٩٠٨ مدرسة الكرخ الرشدية، وقضى مُدَّتها الدراسية، ودخل مدرسة بغداد السلطانية سنة ١٩١٢، ولم يعجبه التدريس ولا التعلُّم في بغداد؛ لأنَّ لغة التعليم كانت يومذاك التركية، والفتى شغوف بالعربية مستهامٌ بمحاسن آدابها، ثم إنَّ الحكومة التركية دعته إلى المحاكم وهو فتًى لنظمه قصائد زعموا أن فيها خروجًا على السلطة وحُكِم عليه بالسجن، وما لبث أن خرج فهمَّ بالسفر إلى مصر، وفي أواخر سنة ١٩١٣م هاجر من العراق إلى وادي النيل فحلَّ في القاهرة تاركًا أهله وأسرته.

مكث الفتى الهاشمي في القاهرة من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩١٩ يطلب العلم في الجامع الأزهر؛ فسئمت نفسه طريقة الأزهريين في التعليم، ونال سنة ١٩١٧ الشهادة الأهلية من الأزهر الشريف، فدخل الجامعة المصرية، ثم إنه اضطُرَّ إلى الخروج من مصر لما نشبت الثورة المصرية، وكثرت القلاقل في البلاد فغادرها إلى بلاد الشام، ومكث فيها إلى سنة ١٩٢٠م، ثم عاد إلى مسقط رأسه بغداد.

ولما عاد إلى العراق عُيِّن أولًا كاتبًا في وزارة الدفاع، ثم نُقل إلى الديوان الملكي كاتبًا كذلك، وما لبث أن اضطُرَّ إلى الاستقالة. وقد دخل مؤخرًا مدرسة الحقوق البغدادية، ولا يزال فيها إلى حين كتابة هذه السطور.

كانت حياته المدرسية مُضطربة، لكنَّ ذلك لم يثن عزمه عن التقدُّم في فن الأدب، فاستقام على الاشتغال به وبالخاصة بالنظم فتقدَّم، وهو كلما نظم قصيدة أحس بتقدُّمه في هذا المسلك.

وشِعر الهاشمي رقيق تشعر فيه بالعاطفة والإحساس الدقيق، كما يستعذبه اللسان لسلاسته وسهولته، ويجد المُتتبع لمنظوماته أنَّ بين جنبيه روح الشاعر الكبير؛ لذلك يُؤمل له عارفو أدبه مستقبلًا مجيدًا في هذا الباب، وهو يحب أن يدانيَ العصريين في نظمه مبتعدًا عن الطرائق القديمة، ويرغبُ في الإكثار من الشعر الحزين «التراجيديا» في حكاياته أو شعره القصصي الذي سيكون له منزلة إذا عُنِيَ به وتقدَّم فيه.

(١) مؤلفاته

(١) عبرات الغريب: هي الجزء الأول من ديوانه، طُبع في دمشق الشام بعد الحرب الكبرى، مُحتويًا ما نظمه الشاعر الشاب من حداثته إلى سنة ١٩١٨م، وفيه كثير من جيد الشعر.

(٢) ديوان أراجيز العرب: جمع فيه مئاتٍ من الأراجيز التي عثر عليها في مصر وسورية والعراق.

(٣) ديوان ابن الدمينة: وقد عُنِيَ بشرح ديوان عبد الله بن الدمينة، وطبعه مع السيد محيي الدين رضا لما كان في مصر.

(٤) الجزء الثاني من ديوان الهاشمي: وهو الجزء الثاني من ديوانه، لم يُطبع بعد.

وله بعض المقالات نُشرت في مجلة المقتطف وغيرها، وقد أصدر في هذه السنة «مجلة اليقين» في بغداد، وهي جامعة بين الدين والعلم والأدب.

وإليك نبذة من شعره:

اليتيم الباكي

إلى كم أنت تكتب بالدموعِ ... رواياتٍ عن الخطب الفجيعِ
على قلبي دموعُك نازلاتٌ ... ألم ترَه يدقُّ من الدموع
كأن وقوعها جمرات نار ... أحر من الصهير على الضلوع
دموع قد أفاضتها عيون ... بها لليتم آثار الخشوع
إذا أجهشتُ أجهش لي فؤاد ... يُطاوعني على الألم الوجيع
أرقُّ من النسيم هوًى وعطفًا ... أبيُّ الطبع للزمن الفظيع

يؤاسي كل ذي حزن بحزن ... ويَقتسم الشجون على الجميع
ولو حمَّلته قسطًا ثقيلًا ... من الآلام آذن بالخضوع
ولو تشفي الدموعُ غليلَ قلب ... إذنْ لشُفيت بالدمع الهموع
على الزمن الذميم قد التقينا ... فكيف لنا بإسداء الصنيع
زمان فاز بالقدح المعلى ... وفزنا منه بالقدح الخليع

* * *

سألقي نظرة مُلئت حنانًا ... على البؤساء من طرفٍ خَشوع
يعيش الأغنياء على رخاء ... ونحن نعيش في بؤس وجوع
تنام عيونهم بالليل لكن ... عيون البائسين بلا هجوع
نشاوى بالغنى سحبوا ذيولًا ... وداسوا بالنِّعال على النطوع
نسوا البؤساء في الدُّنيا جياعًا ... وخلوهم إلى الزمن المنوع
لكلٍّ من بنيهم ألف ثوب ... عليه علامة الصنع البديع
أناموهم على بيض الحشايا ... وفي غرفٍ من القصر الرفيع
وأطفال على الأوساخ ناموا ... كأفراخ الحمام على الجذوع
وليس لهم سوى الدقعاء فرش ... ولا الْتحفوا سوى الثوب اللذوع
يُقضُّون النهار طوًى وجوعًا ... ويطوون الليالِيَ بالدموع
أحاديث الشقاء لهم عزاء ... تعلل نفس ذي البؤس الجزوع
ويضرب منهم ذو السقم عيًّا ... بليلته هزيعًا في هزيع
قد انتجعوا فخانتهم قواهم ... وهل لكسير قلب من نجوع
رأيتُ اليتم ذنبًا لليتامى ... يراه الأغنياء بلا شفيع

* * *

مضى أهلي وعرَّضني زماني ... لفتكٍ من مصائبه ذريع
يتيم ليس يعرفني قريبٌ ... ولستُ على الشقاء بمستطيع
أبي! أمي! علامَ تركْتُماني ... ضعيف مطامع وقصير بوع
أجيبا دعوتي، أنا مستغيث ... وليس سواكما لي من سميع
لقد همَّا بيوم نوًى قذوف ... ولكن لم يهما بالرجوع
يُعاوده التذكُّر كل حين ... فيُغضي طرف مبتئس وديع

تـذكَّـر أُمَّـه وأبـاه يـومًـا فأسبل ديمة أخذت بروعي
لـه قـلـب، ولـيـس لـه لـسـان يُطاوعه على الدمع المطيع
مضى أبواه قد تركاه طفلًا ترعرع قبل أيام الربيع

* * *

تخرق بعد فقدكما لباسي وأقدامي بها أثر السلوع
وصرت كأنني حمَل غريب به انبتَّ الطريق عن القطيع
وحيد في فلا متباعداتٍ تراميه إلى الكلأ القشيع
يجوع فينتحي رعيًا قليلًا ويَرجِعُ بالعفاف وبالقنوع
نعم! إني غريبٌ في فلاةٍ ولكن ماكث بين الربوع
وفقْد الوالدين أشد وقعًا عليَّ من التغرب والشسوع
وأي تـغـربٍ كـهـلاك أهـلٍ؟ فمن أُم قضت وأب صريع

* * *

وهل لي مثل أمي من مربٍّ تمسح وجنتيَّ من الدموع
وتقبل إن بكيت لها بوجهٍ ضحوك الثغر كالصبح الصديع
وتكسوني إذا رثَّت ثيابي وتسقيني الحليبَ من الضروع
وتحملني على يدها وتحنو عليَّ بقلبها الشاجي الولوع
فلا حبٌّ كحبِّ أبٍ وأمٍّ ولا قلبٌ كقلبهما الهلوع
كأني قطعة من روح أمي كأني قلبُها بين الضلوع
وعاطفة البنوة ذات سرٍّ خفيٍّ ليس يُعرف بالشيوع
إذا رُوِّعْتُ كانت لي ملاذًا تزيل الهم عن قلبي المَرُوع
ويسعدني على جزعي بكاها كماطرة على الروض المريع
تطاوعني إذا سرت الهوينا وتتبعني على السير السريع
أتيه تدلُّلًا وأميل عجبًا ويُعجبها عطائي أو منوعي
تخاف على ابنها من كل شيءٍ فتحمله على كوع وبوع

* * *

وكان أبي على عيشي حريصًا فلما عشت آذن بالصدوع

وكم قد برني وأقام ميلي ... كبرِّ الغيث ذابلةَ الزروع
أقام عليَّ خُدامًا وأبقى ... عليَّ كرامتي ورجا بروعي
وأدخلني المدارس واصطفا لي ... محلًّا للتعلم ذا فروع
وكان يقود رهطًا من جيوش ... تسد الشمس في وقت الطلوع
جرت في الحرب معركةٌ عوانٌ ... وكرَّ الهاجمون على الجموع
وشد أبي أمامهم بقلب ... جريء عند صدمته شجيع
فصادفَت الرصاصة عارضيه ... فخر مضرَّجًا بدمٍ نجيع
تذكَّرني على حين احتفاءٍ ... وآلم نفسَه وجعُ النزوع
ففاضت روحه وغدا طريحًا ... فيا لله من قدرٍ شنيع
وغادرني يتيمًا بين قومٍ ... أضاعوني على اليُتم المضيع

* * *

حملت أذية في شرخ عمري ... أشد عليَّ من سُمٍّ نقيع
ألا يا ليت أمي لم تلدني ... ولم أشرب أحاليب الرضيع
تجلَّد يا بني فإنَّ قلبي ... كقلبك في التألُّم والفجوع
فليس على أبيك الذنب لكن ... على قومٍ أساءوا في الصنيع
أبوك حماهمُ شرَّ الأعادي ... ولم يحموك عن عُرْيٍ وجوع
وتلك جناية تقضي عليهم ... بذلٍّ للشريف وللوضيع
نسُوكَ وما نسُوا حربًا ضروسًا ... أصابتهم بداهيةٍ زموع
فلا تجزع فكل فتًى سيلقى ... مكانًا في السفوح وفي اليفوع
عليك أمانة الوطن المُفدَّى ... وفيك بقية الشرف الرفيع

الفتاة المخدوعة والشرطي الأثيم

يا أم عرضيَ لا جاهي ولا مالي ... إن لم أصنه فلا رعيًا لآمالي
يا أم موتيَ أولى بي إذا افتضحت ... بين النساء جناياتي وأفعالي
يا أم إنيَ أخشى أن يُخادعني ... بالحب يا أم هذا حب محتال
خذي المواثيق منه أو خذي قسمًا ... بأن يبرَّ علينا حلفة الآلي
إنَّ الشباب الذي أغواك رونقه ... والله يا أم لا يبقى على حالي

ألم ترَيْ منه ما يكفيكِ تجربة ... وحكمة عند ذكرى عهدك الخالي
الشيب علَّمكِ التفكير فاتخذي ... ما شئتِ من عظة منه وأمثال

* * *

تبسمت وهي كالسعلاة ساخرة ... وأدبرت بمُحيا وجهها البالي
قالت: فتاة أضاعت رشدها سفهًا ... تُريد تفنيد آرائي وأقوالي
واضيعتي! بعد عمرٍ قد وقعت به ... على تجاريب إدبار وإقبال
دعي ابنتي هذه الأفكار واتئدي ... فإنَّ غشَّك لم يخطر على بالي
وهل سمعتِ بأم تخدع ابنتها ... كيما تبيت على حزنٍ وبلبال
ماذا يُريبك منه؟ إنه لفتًى ... مؤدب النفس لا جافٍ ولا سال
زين الشمائل يسبي القلبَ منظرُه ... يُحدِّث العين عن فضل وإجلال
لو لم يحبكِ حب الصدق كان له ... عُذر بهجرك هجر المعرض القالي

* * *

بينا هما في جدالٍ مُفحمٍ فإذا ... بصالحٍ جاء يمشي مشي مختال
نادى: فلان ... أجابته العجوز نعم ... ادخل فديتك ... أغلقها بأقفال
فقام كالذئب يشكوها صبابته ... ويملأ الجفن دمعًا ليس بالغالي
يقول إني محب! وهو ذو كذب ... مالي أطعت هوًى في القلب ما بالي؟
أحب أسماء! بل إني سأعبدها ... عبادة الله أبكاري وآصالي

* * *

خفف عليك — أجابته العجوز — فما ... أراك تعشق بنتي عشق أنذال
إني سأنصحها كيما تحبك من ... فؤادها إن بنتي ذات إهمال!

* * *

عادت إلى ابتنها في البيت تنصحها ... فقابلتها بإجهاش وإعوال
كأنما البنت قد جُنت! فقد أخذت ... تهذي بأقوالها من خلف أسدال
يا أم لا تغضبي إنْ كنت صادقة ... إنِّي أُحاذر إغوائي وإضلالي
حيث التفتُّ أرى نفسي تعنفني ... أرى أمامي ظلامًا مثل أجبال
أرى أمامَيَ أشباحًا تُروِّعني ... أرى أبي بينها يُوحي بتعذالي

أبي! أبي! فانظريه فهو ذاك أتى ... يا أم يُنذرني ليلًا بأهوال
يا أم إني أرى ما لا ترَيْنَ فقد ... علمتُ أَنِّي سأُكْسى ثوب إذلال
لا تأمنيه على عِرضي فمُنيته ... بلوغ شهوته مني وإغفالي

* * *

قالت لها أمها: ما أنت مرشدتي ... ما كان أرشدني عن رأي أطفال
مجنونة أنتِ قبل اليوم فاتبعي ... رأيي ولا تزعجي قلبي بتسآلي
لقد علمتُ بما في نفسه فدعي ... إليَّ أمركِ واستهدي بأعمالي
يريد جعْلك يا بنتي حليلته ... من يومه فابشري بالمنصب العالي
فإنه شُرَطيٌّ في حكومتنا ... على جنودٍ من الفرسان أبطال
السوط في يده من فضةٍ وله ... مسدس بنضار خالص حال

* * *

كانت فتاةً عن الفحشاء طاهرة ... نجيبة ذات أعمام وأخوال
بكر رداح لوَ انَّ الناظرين رأَوْا ... جمالها اتخذوه أيَّ تمثال
لا تعرف الإثم مِن طُهرٍ ومِن أدب ... ولم تجر على ريب بأذيال
تبكي إذا عذلتْها أمُّها حزنًا ... وأمها أُولعتْ بالقيل والقال

* * *

دعته: يا صالح ادخل قد قنعتُ بما ... أكدتَ من وعد صدقٍ غير إعضال
هذي ابنتي فهلمَّ اخطب مودتها ... إني رضيتُ بإكثارٍ وإقلال
رأيت أسماء أمست غير راضية ... مما تحاول من ريثٍ وإمهال
تعالَ إنك منا صرتَ ذا نسبٍ ... أنعم بصهر كريم النفس مفضال!

* * *

فجاء من غرفة بالدار مظلمة ... إليهما ساحبًا أطراف سربال
فقالت ادخل إليها ... وهي خارجة ... وكن به من زواج ناعمَ البال
غدًا سيعقد شيخ الحي مهركما ... غدًا سندعو سراة القوم والوالي

* * *

أصابها وظلام الليل معتكر ... ما كان يُسمع إلا جرسُ خلخال

خلا بها فدعاها وهي قائلة: ألا مُغيث فراعته بولوال
فكمَّ فاها بمنديل وهددها بالقتل حتى قضى أمرًا بإعجال
جناية كان هذا الأمرُ أولَها وكان أفظعَ منه الحادثُ التالي
وحين لاح ضياء الفجر ودَّعها وقال للأم عندي بعض أشغال
أزوركم في مساء اليوم فانتظري عَودي فإنيَ مأمورٌ بأعمال
ولَّى فعض على أطراف أنمله غيظًا وقال بلغتُ الآن آمالي

* * *

مضى فبلَّغ عن كلتيهما خبرًا إلى رئيسٍ سريع الفتك ختال
فقال: مولاي مر جندًا تُصاحبني فقد عثرت بدارٍ مثل أطلال
تقيم فيها فتاة غير طاهرة مُريبة ذات أخدان وأخلال
شهدتها أمسِ والشبانُ تطرقها ليلًا وقد شربوا أقداح جريال

* * *

فقال: خذها ولا ترحم شبيبتها إلى مكانٍ من الفحشاء محلال

* * *

فعاد أدراجه والجند تتبعه طورًا زفيفًا وطورًا سير إرقال
حتى إذا بلغوها قال: لا تهنوا نهبًا وهتكًا لأموالٍ وأثقال
جندي! أحيطوا بها من كل ناحيةٍ وأوثقوا يدها شدًّا بأحبال
فضيعت رشدها ماذا تقول لهم وكيف تدفع عنها جند أرذال
وأودعوها مكان العهر فابتُليت بجنة ذات أمراض وأغوال
وبعد شهرين ماتت، إنها بُليت بداء سلٍّ شديد الفتك قتال
لهفَ العفاف على عذراءَ قد قُتلت بالإفك واهًا على بيضاء معطال

* * *

قل للحكومة ويل للرعية من موظفين لئام الطبع جُهَّال
هانت على الحُرِّ وقعًا كل نازلة إلا المصيبة في عِرضٍ وفي مال

الوردة والفراشة: مقتبسة عن فيكتور هوكو

فراشة وقعت يومًا على شجرٍ ... تفتحت فيه أزهار وأكمامُ
قالت لها زهرة صفراء ناضرة ... وقلبها فيه أحزان وآلام
لا تهربي وأجيبيني بمسألةٍ ... عن حظنا وحظوظ الخلق أقسامُ
شأني وشأنك في أمريهما اختلفا ... لغيرنا فيهما نقض وإبرام
تمضين أنتِ إلى العلياء طائرة ... ولا أطير ولا لي ثَمَّ إعزام
لقد ضجرت ولكني على ضجري ... أحب نفسي وما في حبها ذام
أعيش والنَّاسُ عني مُبعدون وكم ... في قُربهم عِللٌ شتى وأسقام
أشبهتِني فلنكن زهرًا نطير معًا ... لنا بما فوق هذا الروض إلمام
لكن أرى الأرض وا لهفاه تُمسكني ... والريح تعليك هذا الحظ ظلام
إني سأعطيكِ من عَرفي الجميل لكي ... يعطر الجوَّ نشرٌ منه نمام
لا لست أعطيكِ، إنَّ الزهر يصحبني ... وأنتِ يُقصيكِ إنجاد وإتهَام
رضيتُ عيشيَ وحدي في الرياض أرى ... ظلي وينعشني ضوء وإظلام
وتهربين فتأتين الضياء إذا ... رأيتِ نارًا لها لمع وإضرام
في كل صبحٍ بكائي دائمٌ وعلى ... خديَّ من عَبرات الفجر تسجام
آهٍ لحُبِّكمُ الماضي الذي ذهبتْ ... به ليالٍ سعيداتٌ وأيام
خذي — كما ليَ — جذرًا أو هبي ورقي ... جنحًا — كما لك — والآمال أوهام

خطرات وعبرات قبل الولادة وبعدها

ليت أني بقيت فيكم وليدًا ... تتولى شئونيَ المرضعات
مُدَّة الدهر ما حييت وهمِّي ... جرع أرتوي بها صافيات
فقعود في المهد أحسن من سيـ ... ـر حثيثٍ في ضمنهِ عثرات
ولبان أحلى إليَّ من الما ... ء أفاضته دجلة والفرات
حلم كانت الحياة فقد فا ... تت وجاءت من الشباب حياة
لست أدري ما كنتُ أعمل فيها ... أهون العيش ما به الغفلات
ما بكائي حزنٌ ولا لسرور ... بسماتٌ من فيَّ مبتدرات

تتلقَّى الأحزان عني أُمِّي ... بفؤادٍ أشجانه صادقات
فإذا ما بكيت آلمها صو ... تي وسالت دموعها الحاميات
وإذا ما ضحكتُ آنستُ منها ... نظراتٍ وراءها بسمات
وكفاها من زينتي وكفاني ... خِرقٌ لفَّتْني بها بالِيات
حملتني على يديها وناطت ... بي قماطًا تنوطه الأمهات
أوثقتني مثل الأسير وضمَّتْـ ... ـني ولم تشفِ نفسها القبلات
وضعتني بحجرها وكذا الأطـ ... ـفال تحنو عليهمُ الوالدات
نظرتني وجهًا لوجهٍ كأني ... لمعانٍ في نفسها مرآة
عجبتْ من طفولتي وتمنَّت ... أن ترانِي فتًى له عزمات
هو حب من السماء أتاها ... ليس فيهِ تهاون وافتئات
قدَّسته الأبناء من عهد قابيـ ... ـل أخينا وقدَّسته البنات
ورأتهُ حواء معنًى جميلًا ... قصرت دون فهمه الكلمات
خرست دونه اللغات وللحبِّ ... الذي يحمل القلوب لغات
ألسن في الضمائر البيض فصح ... قائلات عن سِرِّه ناطقات
كغناء من الفضاء إلهيٍّ ... تجلت بوقعه النغمات

* * *

أي قلبٍ كقلب أمٍّ رءوم؟ ... عظمت في شغافه العاطفات
أين أمي؟ ولا حبيب كأمي ... أين تلك الشمائل الطاهرات
حبستني عنها الخطوب وحالت ... بين قربي وقربها حائلات

* * *

ارفقي بالوليد لا توثقيه ... فله من أمامه نكبات
هو ثقل عليكِ في الحمل والوضـ ... ـع وحزن حياته والممات
وسِّعي دونه الفضاء ففي الأر ... ض عناء وفي الثرى ظلمات
فالسماء الزرقاء والنور والفجـ ... ـر ووقت العشيِّ والغدوات
والظلام المنشور والبر والبحـ ... ـر وسهل البلاد والهضبات
جالبات إليه شجوًا إذا ضا ... قت به في أيامه الحالات
قد تفاءلت أن يكون سعيدًا ... وعليهِ من الشقاء سمات

لا تراعي له فأنت من الدَّهـ ـر عليه والحادثات جناة
لو كفاك التجريب ما حَبَّب العيـ ـشَ إليك الفتيانُ والفتيات

* * *

ما الذي قد رأيتِ في هذه الأر ض وماذا تفيدكِ الرغبات
ملئت بالأكدار في كل ماء فهْي إن تصفُ كَدَّرَتْها السقاة
اسمعي عن وقائع الحرب كم ذا كان فيها على الورى ويلات
تهلك الناشئين موتًا وتقتيـ ـلًا وتُردي الكماةَ فيها الكماة
من يتامى ومن أيامى ومن قتـ ـلى وجرحى كأنهم أموات
إنَّ للسقم ما ولدت وللمو ت وللحرب حين تدعى الحماة
قدميهم إلى «ملوخ»[1] قرابيـ ـن فهم في نيرانه حسنات
ذاك عهد مضى وهذا زمان فيه كل النيران معبودات
فاعلمي أنَّ كل مجد بنته فُوهات المدافع القاذفات
ليت شعري عهد الرضاعة هل أيَّـ ـامك الماضيات لي راجعات
كنت فيها أضم بين صدور ونحور تزينها لبات
هادئ القلب لست أعقل شيئًا لي نوم حينًا ولي يقظات

* * *

عمر كالأحلام مر ووقت حان مني يومًا إليه الْتفات
إن في المهد للرضاعة عهدًا طُويت في أيامه اللذات
حركات هي المنى وأناشيـ ـد أجادت إيقاعها المنشدات
هزةُ المهد هزةٌ تتناهى عندها من أوصاليَ الحركات
وإذا ما ظمئت للَّبن الطا هر سالت إلى فمي درات
لا عناء ولا جهاد ولا حز ن ولا لوعة ولا إعنات

* * *

سهل الأمر أولًا ثم لاحت من خلال الآمال لي عقبات

[1] ملوخ: هو إله قرطاجنة الأكبر كانوا يُقدِّمون له الأطفال قرابين تحترق بناره الموقدة في جوفه.

يا دليلي متى الوصول؟ وأين الـ ـمنتهى؟ فيمَ هذه الوقفات؟
أنت حيران والطريق رشيد أين طاحت بقلبك الغفلات
أرجوعًا إلى القديم فلا رجـ ـع ولكن تقدُّم وثبات
أنهكتك الطريق في أول السيـ ـر فكيف المراحل القاصيات!
ما تزودت من متاع كثير قبل أن يأخذ الجميع شتات
إن في السير شدة فليكن للـ ـقلب حينًا تجلُّد وأناة
فقليل من الزمان كثير
والبقايا من المنى صالحات

الذئب والحمل، أو القوة والضعف

اسمع ففي القول تذكير وموعظةٌ حكاية الذئب ذي العدوان والحملِ
أصابه يومَ قيظٍ صائف ظمأٌ فانصاع يطلب ماءً وهو ذو ملل
حتى أتى جدولًا تجري مناهله في السهل نازلة من قمتي جبل
فجاءه فروى بالماء غلته بعد العناء وبعد السير والكلل
رآه أطحل[٢] عن بُعد فخاتله فمر يعسل[٣] بين الريث والعجل
طاو لواه الطوى من سبعة ذهبت[٤] عليه بالجوع في الإبكار والأصل
ما ذاق فيها من اللحم العبيط[٥] ولا من القديد ولا من سائر الأكل
ولم يشق بها بطنًا ولا كرشًا وطالما اعتسَّ[٦] بين اليأس والأمل
إن كان للذئب أن يلقى فريسته فما الرعاء عن الخرفان في شغل

* * *

[٢] الأطحل هنا الذئب، من الطحلة وهي لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل.
[٣] من العسلان وهو الاضطراب وهز الرأس في العدْو.
[٤] طاو: جائع. لواه: ماطله. سبعة: أي سبعة أيام.
[٥] الطري.
[٦] طاف ليلًا.

وافى إليه على حرص وقال له ... وفي السريرة معنى السوء والدغل
ماذا أتى بك في أرضي لتفسدها؟ ... كدَّرت صفوي خلطت الماء بالوحل

* * *

فقال للذئب: يا مولاي موردكم ... عالٍ وإني شربت الماء من سفل
أين اليفاع من الأرض التي انحدرت ... وأين ماؤك من علِّي ومن نهلي
الماء من نحوكم آتٍ فمن عجب ... مولاي أن تحسب التكرير من قِبلي
وكنت ظمآن من حرٍّ ومن تعب ... قضى علينا به الراعي بلا مهل
قد ساقنا في حرور الشمس فافترقت ... ثلالنا[٧] بين مفقود ومنعزل
لم أدْرِ أين قطيعي، أين مرتعه؟ ... وكنت أتبعه في آخر الرَّسَل[٨]
فاسمح! فإنيَ ضيف في منازلكم ... والضيف يُكرم في حل ومرتحل

* * *

أبدى له الذئب أنيابًا وقال له ... بلى لقد جئتني بالحادث الجلل
كدَّرت مائي ولم تقصد بذاك سوى ... إهانتي وأردت الشر بالعمل
هذا وإنك يومًا كُنت تشتمني ... من قبل عامين من أيامك الأُوَل

* * *

فطأطأ الحمل المسكين هامته ... أمامه قائلًا من غير ما خطل
مولاي هذا مُحال إنما عُمُري ... شهران إنيَ لم أكبر ولم أَحُل[٩]
ما زلت مُرتضعًا أمي فتُرضعني ... مولاي من لبنٍ في الثدي محتفل

* * *

تنمَّر الذئب من لؤمٍ وقال له ... بلى لقد نلت من عِرضي فلا تسل
إن لم تكن أنت فالجاني عليَّ إذنْ ... أخوك، لا تنتحل عذرًا ولا تطل
فقال يا سيدي والله لم يكُ لي ... أخٌ فقد رعتني باللوم والعذل

---

[٧] جمع ثلة: جماعة الغنم.

[٨] القطيع.

[٩] من أحال: أتى عليه الحول.

* * *

فقال إن لم تكن هذا وذاك فقد ... يكون جارك في المرعى وفي النزل
أو ابن عمك أو نذلًا علمت به ... من الأقارب أهل الجبن والكسل
أهانني وهْو محشور بثلته ... ونال من شرفي جهلًا ولم يبل

* * *

... مولاي إني بريء غير مقترفٍ ... إثمًا أِمنْ أجل غيري أنت مختتلي[١٠]
أنا الضعيف وليس الحق ينفعني ... تُريد أكليَ فافعل غير ما وجل
لو كان ذاك فما بالي وبال أخي؟ ... لا الذنب ذنبي ولا عذري بمنتحل
غيري المسيء وألقى عن إساءته ... جزاء لا عاجز عني ولا وكل
للقوة الحق فافعل ما تشاء فما ... تجدي الحقيقة إن ضاقت على الحيل
إن الضعيف الذي يحمي جوانبه ... مستمسك بعرًى مفصومة الوصل[١١]

* * *

أجابه الذئب يا مسكين إن لنا ... حقدًا متى هجته كالنار يشتعل
فأنتمُ معشر الخرفان كلكم ... أعداؤنا اللد في ليلاتنا الطول
كم من خروفٍ يُعادينا ويشتمنا ... ونحنُ نكظم غيظًا غير محتمل
وغير هذا نُقاسي من رُعاتِكمُ ... ومن كلابكمُ مُستنكر الوجل
وهم يقولون فينا كل منقصة ... شرًا من الصلب أو شرًا من الهبل[١٢]
قد قبَّحوا بين كل الناس سيرتنا ... بين الثعالب والغزلان والوُعُل
هم الكلاب أعادينا اللئام وهم ... حماتكم والدجى مُغمٍ على المقل
الآن آخذ ثاري منك مُنتقمًا ... عن البعيدين من أهلٍ ومن خول

* * *

[١٠] اختتله: تَسمَّع سره.
[١١] جمع وصلة (بالضم): كل ما اتصل بشيء فما بينهما.
[١٢] الثكل.

تَحَفَّز الذئب مشتدًا بوثبته وشق ما بين رجلي ذلك الحمل
لم يُغنِه العذر لما كان مُعتذرًا ولا أفادته شيئًا صحة الجدل

* * *

إنَّ الضعيف وإن حُقَّت مقاصده فريسة للقويِّ الفاتك البطل
وأغلب الأمر أقواه وأكثره وكل شيءٍ فمقدور على العلل

* * *

لما رأيت عن التصريح مُتَّسعًا في القول جئت ألوم القوم بالمثل
من يفهمِ اللغز يُدركْ ما تضمَّنه وفي الإشارات سر ليس في الجمل
إذا أردت جعلت الشعر فاغرة[١٣] رقطاء تكشف عن أنيابها العصل[١٤]
وإن أردت قلبت الشعر شادية ورقاء تخلب لب العاشق الثمل
وتارة أنا أبكي السامعين إذا وقفت أنشدهم إنشاد محتفل
سكتُّ لما رأيتُ الشِّعر مُبتذلًا وأحسن القول شعر غير مبتذل
لقد سئمت من الأقوال أسمعها على المنابر من فخرٍ ومن غزل
فتًى وشعري فتًى نالت عواطفه من القلوب مكان الحزن والجذل

* * *

يا قوم فليتعظْ من كان مُتَّخِذًا من الأمانيِّ حبلًا غير منفتل
يا قوم ذلَّ ضعيفٌ عاجزٌ ونجا من الهوان قويٌّ غير مختذل
إن قلتمُ فاعملوا أو تعملوا فخذوا مناهج الصدق والإخلاص في العمل
لقد بنيتم من الأوهام شامخة عمياء تخفي علينا لاحب السبل
ملت نفوس من الغوغاء صاخبة على فلان كثير ظلمه وفل[١٥]

* * *

[١٣] فاتحة فاها، يعني الحية.
[١٤] واحدها أعصل، وهو الأعوج.
[١٥] لغة في فلان.

ويا شبيبتنا ماذا يكونُ لكم غدًا من الفضل والعلياء والنبل؟
دعوا السباب فما تُجدي قوارعه إنَّ السباب سلاح الجبن والفشل
وبالحقائق فأْتونا فما ربحت شبيبة تتحدَّى باطل الأمل
خلوا لغيركمُ الأقوال واشتغلوا بالعلم كم لكمُ بالعلم من شغل
واليأس فاجتنبوا اليأس الذي لعبت بكم وساوس منه لعب مختبل
الشعب يرجو لكم مُستقبلًا حسنًا والوقت فاقتبلوه أيَّ مقتبل
داء السياسة داء لم يُصب جسدًا إلا رماه عن الأعمال بالشلل

آلام الحياة

ثَمَّ، في الصحراء، في القفر الجديب
فوق غصنٍ شائكٍ غير رطيب
أخذت منه شَمال وجنوب
يتباكى بلبل الوادي الغريب

* * *

كان من قبلُ مُحبًّا مُغرمًا
علَّمتْه الحُبَّ أملاك السما
فلماذا لا يُرَى مُبتسما
بعدُ إلا بسماتٍ بقطوب

* * *

أي قلب للمُحِبِّ المبتلى
ضيع الماضيَ والمستقبلا
ذاهل عن كل شيء ما خلا
نزعة من ذلك الحب الكئيب

* * *

يا غريبًا ضاع في أوطانه
يملأ الصحراء من ألحانه

نـغـمًـا تـكـشـف عـن أحـزانـه
كـلـنـا مـثـلـك مـهـجـور قـريـب

* * *

اسـأل الأسـحـار عـن أحـلامـنـا
واسـأل الـظـلـمـاء عـن آلامـنـا
قـد نـفـثـنـا الـسـم مـن أقـلامـنـا
هـو سـم لا يُـداويـه طـبـيـب

* * *

قذفتك الرِّيحُ منْ رِيف فريف
مثلما تقذف أوراق الخريف
أصغ، تسمع من أغانينا حفيف
ادن مِنَّا أعد الصوت الطروب

* * *

هـهـنـا حـيـثُ يـفـيـض الـرافـدان
يـرويـان الـزرع فـي كـل مـكـان
فـلـمـاذا تـاركٌ هـذي الـجـنـان
ومقيم أنت في السهل الجديب؟

* * *

ادن مـنـا وبـأنـغـام الـسـمـاء
غـنِّـنـا إنَّ تـراجـيـع الـغـنـاء
تـمـلأ الأنـفـس عـزمًـا ورجـاء
وتُهيج الحب في نفس الحبيب

* * *

نفحة الفجر وأنفاس الغسق
قلبت نفسك تقليب الورق
ألفكر أم لشأن قد سبق؟

تشغل الآلام قلب العندليب

* * *

أنت يا بلبل مثلي أو أنا
مثلك اسمح واقترب إن هنا
عبراتٍ من فرادى وثني
هي والله دمع من قلوب

* * *

اعبِسَ او أقبلْ بثغر يضحك
بك لا يعبأ هذا الفلك
لا، ولا النور، ولا ذا الحلك
لا كما قدرتها تأتي الخطوب

* * *

اصطبر واسخر بآلام الحياة
وامحُ بالبسمة هذه العبرات
هي إن تعبس فكن ذا بسمات
خاليَ القلب ودع عنك النحيب

* * *

صدت آلامنا مثل الضباب
فغدت في الأُفُق الصافي سحاب
كل ما يرفعه هذا التراب
خالد يُعرض في يومٍ عصيب

* * *

هي دنيا كل ما فيها شجون
فاغض عن كل مساويها الجفون
إنما سخطك فيها كالجنون
والتغابي سلوة الصب الأريب

* * *

نـادِ أفـلاك الـسـمـوات الـعُـلـى
واندب الفَجر إذا الفجر انجلى
وامـلأ الـسـهـل بـكـا والـجـبـلا
نادِ هل من سامعٍ أو من مجيب

* * *

آهِ من صمتٍ على الأرض عميق
خـرس الـكـون، فـهـلا تـسـتـفـيـق
هـذه الآلام تـذكـو كـالـحـريـق
فـي فـؤاد دنِـف كـاد يـذوب

القبر والزهرة: مُترجم بتصرف عن فيكتور هوكو

القبر قال لزهرة مخضلَّة ما تعملين بطلك الرقراق؟
الفجر يرشحه عليك كلؤلؤٍ مُتناثر يا زهرة العشاق

* * *

مالت إليه وساءلته مُعيدة ماذا تُريد بهذه الأجسام؟
توري بلحدك وهو مفتوح لها أبدًا مدى الأيام والأعوام

* * *

قالت له يا أيُّها القبر الذي هو مُظلم كالليل لا يتقشَّع
هذا النَّدى عَرف يضوع شميمه في الظل، أو عسل لذيذ يجمع

* * *

القبر قال لها ألا يا زهرة يا من أراكِ كثيرة الخيلاء
من كل جسمٍ هالكٍ أنا صانع ملكًا يطير إلى سماء علاء

النحلة والجلنارة

وروضة من رياض الشام ناضرة ... طرقتها وضياء الفجر قد لاحا
تعطرت نفحات الريح حاملة ... عن زهرها حسرات عَرْفها فاحا
كأنما مَدَّ في ساحاتها ملك ... جناحه وسرى في الفجر مرتاحا
كل الطبيعة من ماءٍ ومن شجرٍ ... أصغت إلى الشعر إيماءً وإفصاحا
كأنما الفجر قد أوحى الظلام له ... أمرًا فأرشح بالأنداء إرشاحا

* * *

ونحلة من بنات النحل قد وقعت ... عطشى على زهرةٍ فيها ندًى ساحا
تشكو إليها سهادًا طول ليلتها ... والليل يُظهر للأبصار أشباحا

* * *

قالت لها الزهرة الحمراء باسمة ... لا تبأسي وانعمي يا أخت إصباحا
أسقيك ما شئتِ من مائي ومن عسلي ... ما دام في الأُفْق ماء الفجر نضَّاحا
لكن رأيتك — وا لهفاه — عاملة ... من أجل غيرك لا تجنين أرباحا
تعطين غيرك من شمعٍ ومن عسلٍ ... وتشربين من الأزهار أمذاحا[١٦]

* * *

قالت لها نحن كلتانا على شبه ... من شأننا فخُذِي عِلمًا وإيضاحا
فإنما أنتِ يا أختاه صائرة ... رمانة أتعبتْ بالسَّقْي فلاحا
يشريك غير الذي يجنيك منهمكًا ... وتُحرمين الذي يسقيكِ ممتاحا

* * *

الجلنارة قالت وهي ضاحكة ... يا أخت لا تُكثري بالقول إلحاحا
كلٌّ على أمره يا أخت منغلبٌ ... ولو غدا بسداد الرَّأي أو راحا
ولو تَفكَّر مَخْلُوق بعيشته ... لما تمنَّى لها يا أخت إصلاحا

[١٦] جمع مذح، وهو عسل الجلنار.

ليلة عاشق

أيها الساهر ما هذا الأرق ... ألذكر أم بُعاد أم قلق؟
غرق النوَّام في ليلهم ... وتولانيَ همٌّ قد طرق
ظلمة تأتي وأخرى بعدها ... تشبه البحر إذا البحر اندفق
أنا في الليل غريقٌ وأرى ... موجه يسبقني قبل الغرق
طال حتى ملَّه نوامَّه ... يا ترى كيف به من قد أرق
هادئ لكنني أزعجته ... بهموم أزعجتني في الغسق
طلع النجم ولولا نوره ... يدفع الظلماء عنه لاختنق
وعلى عينيَّ من ظلمائه ... طبق أحسسته فوق طبق
فيك يا ليل مواعيد الهوى ... يتقاضاها الأسى ممن عشق
يكشف العاشق فيه سرَّه ... والدجى يكشِفُ أسرار الأفق
يلتقي فيه المُحِبُّون ولا ... نلتقي نحنُ على غير فرق

* * *

رقد الورد وأغضى طرفه ... مائلًا بين غصونٍ وورق
ملَّ طول الليل حتى أننا ... لو سألناه بيانًا لنطق
تحمل الريح أريجًا طيبًا ... عنه والبرعم ساهٍ منطبق
شاكه الغُصن فأدمى خدَّه ... فهْو مُحْمَرٌّ كما احمرَّ الشفق
يجد العاشق فيه سلوة ... كُلَّما شم شذاه أو نشق

* * *

ساهر ما نِمْتُ إلا سِنَةً ... تتغشاني وتمضي في الحدق
عرض الطيف عليها عاجلًا ... ما شفى النفس خيال منطلق
كلما أغْمَضتُ جفني ردَّه ... أدمعٌ تهطل كالغيث الغدق
فكرة تبدو وأخرى تنتهي ... هي لولا الحُبُّ قد عدت حمق

* * *

طفق الحيوان فيه كله ... وأرى العاشق فيه ما طفق
تفعل الأوهام فيه فعلها ... وتريه كاذب الآمال حق

وحده تؤنسه عزلته رُبَّما واصله طيف رهق
كتب البؤس عليه والهوى لو جنى الحبُّ عليه لم يفق

* * *

أين محبوبيَ؟ لا أين فقد سئم الليل أنيني فشهق
ظهر الفجر على أرجائه وغزا الظلماء بالخيل البلق
كيف أرضى بجفاء قاتل وهمُ يرضَوْن بالعيش الأنق
ويقولون غريبٌ عاشق ما رأَوْا قبلي غريبًا قد عشق
سوف لا أكتم أسرار الهوى أيُقيم الماء في الحوض الفهق؟

تحية الشهداء[١٧]

لا تدفنوا الدم بالتراب فإنه يجري لنصر الحق فهْو مطهر
بل فاكتبوا منه على أعلامكم كِلْمًا كنيران الغضا تتسعَّر
هذا دم الشهداء يهدر فيكمُ لا تتركوه على البسيطة يهدر
قُتِلوا بلا ذنبٍ فجاء إليهمُ جبريل يبكي والملائك حُضَّر
فخذوه ذكرى في الثياب فرُبَّما ينسى وفاء عهوده المتذكر
أو فالطخوا بنجيعه جبهاتكم فالمسك في قطراته والعنبر
لا تغسوا بالماء أرضًا دُنست بالظالمين فكل ماءٍ أكدر
بل فاغسلوها بالدماء فإنها تنفي الأذى فيطيب منها العنصر
ظلت دماء الأبرياء رخيصة ذنب الزمان عليهمُ لا يُغفر
شيب وشبانٌ وأطفال لهم في السعي للعلياء فعلٌ يُشكر
يتطلبون الحقَّ من مُستعبِد مَلَكَ البلاد فظلمه مستنكَر
عُزْلٌ ولكن الثبات سلاحهم عقدوا الرجاء بذمة لا تخفر
الصدق عهد والوفاء عزيمة والحق دين والرجاء مقدر

[١٧] نظمها في القاهرة يوم وقعت حادثة سيدنا الحسين المحزنة، ورأى القتلى تتخبط بدمائها على قارعة الطريق سنة ١٩١٩.

أصواتهم بلغ السماءَ رنينُها تدعو الإله: لِيهْلِكِ المتجبِّر
ولْيخسرِ الطاغون غير أعزة ولْيُنصرِ الحق الذي لا ينصر
في الأفْق أصواتُ التضرع قد علت ترتاد عرش إلهها وتُكبِّر
ليست كأصوات المدافع إنها لَأَجَلُّ منا في السماء وأكبر
وقفت حيال العرش تدعو ربها والدمع والدم في المواقف يقطر
قالت تركتَ الظالمين بأرضنا والناس من أعمالهم تتضجر
سفكوا الدماء وأفسدوا فيها فما رُحم الضعيف ولا أُعينَ المقتر
يا رب ما فرعون أظلم منهمُ بل هم أضل عن الرشاد وأجور
يا رب خُذ بحقوقنا من أُمَّةٍ تأتي الفِعال المُنكرات وتغدر
ظُلْم تُهز له السماء ومن بها وله مَلائكة العلى تتذمر
لِمَ لا تَميدُ الأرض في أبنائها ولقد جرى فيها النجيع الأحمر
فمدامع الأيتام تَسفك فوقها تلك الأيامى أدمعًا تتحدر
الله يشهدُ والملائك أنَّهم ظُلموا وهم ضعفاء لم يتكبروا
طلبوا الحقوقَ وكلهم مُستهلك فأبى عليهم ظالم مستعمر
يا لَلرجال ويا لَظلم حكومةٍ كذابةٍ فيما تسر وتجهر

* * *

النيل يجري في البلاد وماؤه في كل أرضٍ خصبةٍ يتفجر
فخريره ألم وجيع صوته وهدوءُه حزن خفيٌّ مضمر
مستثقل ظلم الحكومة نادب عهد الهناء مضت عليه الأعصر
يرجو الحماية من بنيه وكلهم سهل عليه المطلب المتوعر
من كل بر بالعهود مُقدم لا ينثني جنبًا ولا يتغير

* * *

فتيانَ مصر إلى الدفاع تقدَّموا فالمجد في أيامكم والمفخر
لكم البلاد وأنتم أبناؤها ولكم بشعبكم العديد الأكثر
فتطلبوا الشرف الرفيع لأمةٍ مظلومةٍ ودعوا الخلاف وشمِّروا

صوت من الإنسانية

أفي الأرض تبقى أم إلى النجم ترفع؟ نفوس لها في الأرض مبكًى ومجزعُ
لعل لها بعد المنية رقدةً تخفف عنها بعض ما تتوجع
وتنسى بها بؤس الحياة وشرَّها فإنَّ حياة البائسين تفجع
لقد ساءها ما في الحياة وسرَّها لها في الثرى بين المقابر مضجع
ستردى جسوم طال فيها ثواؤها فتفنى ولا تبلى النفوس وتصدع
وقد زعموا أنْ سوف تفنى نفوسنا وقد حسبوا أنْ ليس للناس مرجع
أمن سنن الإنصاف أنَّ حقوقنا تضاع؟ وأنا بعد هذا نضيع
ومن ذا الذي يقتص من كل ظالم لكل ضعيف يستهين ويخضع
فلا بد من يومٍ يجازى بمثله ذليلٌ على أعماله ومرفع

* * *

تمتعت من نجم الثُّريا بنظرةٍ لك الله ما هذا الذي أتمتع
أحاول أن أرقى إليها بجثتي وما لي إليها سلم فيه أطلع
أهيم إذا لاحت لها وبحسنها ويخفق قلبي كلما هي تلمع
فيا أيُّها النَّجم المُطِلُّ على الورى لمثليَ أن يثوى بمثلك مطمع
فيا ليت أني قبل موتيَ صاعدٌ إليك وأني في بلادك أرتع
وكنت إذا ما جنَّ ليلٌ وأشرقتْ كواكب في داجٍ من الليل شرع
نظرت الثُّريا ثم أغضيت ناظري وقلتُ ألا ليتَ المنية تسرع
لأنجوَ من أرضٍ بها الفضل ضائع وفي أهلها بالشر والسوء مقنع
فقد سئمت نفسي الثواء بمجمع تُزيَّن فيه المنكرات وتُصنع
يذل به المستضعفون ويعتلي به الظالم المستكبر المترفع
فيا أرض ما لي في بلادكِ موطن ولا ليَ أطلالٌ ولا ليَ أربع
سقتك دماءُ الناس وهي بريئة وتسقيك أيضًا للأرامل أدمع
ففي كل بَرٍّ منك للحرب وقعة وفي كل بحر منك للدم موقع
أمات حنانٌ في النفوس ورأفة؟ فأوزعها بالبُغض والحقد موزع
بني الأرض هل في الأرض مِثْقَالُ ذرة من العدل يرعى الحق فيها ويتبع
ألا مرشد منكم إلى سُبُل الهدى فيأمر بالمعروف فيكم ويصدع

هُريقت دماء يملأ الأرضَ سيلُها ... لذاك ترابُ الأرض أسود أسفع
دماء جيوشٍ هاجمين كأنهم ... شياطين جاءت من جهنم قُمَّع
ترى النَّار من كل النواحي تجيئها ... فلم تكُ تدري كيف تمضي وتُهرَع
فمن تحتها الألغام تصدع أرضها ... ومن فوقها تأتي صواقع تصقع
فيا ويل جند مهطعين إلى الوغى ... أمامهمُ جند من الموت مهطع
رمتهم بنارٍ من سماء عصائب ... مِنَ الطَّير مَيْسُور لها الشر مجمع
كأنَّ سحابًا يمطر النار فوقهم ... فيُحرقهم غيث من النار مترع
أتتهم أعاصير الرِّياح بنارها ... على أرضهم فالأرض قفراء بلقع
وفي الترب مخبوء لهم كل خاسف ... لهم مصرع فيه وللترب مصرع
مشاهد تستبكي الجمادَ خطوبُها ... وتخضع منها الراسيات وتخشغ
أتانا بها عصر الفضيلة ما أتى ... بها زمن فيه ثمود وتُبَّع

* * *

سمعت أنينًا في البلاد مرجعًا ... إليكم فما هذا الأنين المرجع
تُعل له الأكباد وهي صحيحة ... وتضطرب الأحلام منه وتفزع
فقيل بلاد تُهلك الحربُ أهلَها ... فهم بعدها قتلى وجرحى وجُوَّع
أُبيحت دماء الأبرياء وما لها ... شفيعٌ إلى الإنصاف والعدل يشفع
أُبيحت دماء الناس فيها وما لها ... إلى أحدٍ إلا إلى الله مفزع

* * *

تُربَّى على سفك الدماء نفوسُكم ... وتُفطم في حب الشقاق وترضع
لقد وَلدتْ حواءُ أظلمَ نطفةٍ ... فمنزلها بين العوالم أوضع
متى يرعوي الإنسان عن بعض غَيِّهِ ... على أنَّه لم يَبْقَ في القوس منزع
يقولون إنَّ العصرَ عصرُ هداية ... وفيه لأنوار الفضيلة مطلع
يهذب فيه الناس بالعلم والحجى ... فكل امرئٍ بالحب والرفق مولع
قد اقترفوا إثمًا يُهدِّم ما بنَوْا ... فهل مقلع منهم عن الشر يقلع
سقَوْا أكؤسًا من حقدهم فنفوسهم ... تكادُ بمطوي الأذى تتهوع
فيا زُعماء الحرب إنَّ نفوسنا ... وأموالنا من غير ذنبٍ تُضيَّع
على رسلكم إنَّ المطامع دَمَّرت ... بلادًا بها نور من العلم يسطع

على رسلكم إن اليتامى دموعهم ... إلى الله تهمي في العيون وتهمع
فإن تجنحوا للحرب فهي فظاعة ... وإن تستحبوا الجهل فالأمر أفظع
دعوها دعوها سبة إنَّ ذكرها ... يُقبِّح من أعمالكم ويُشنِّع

دجلة والنيل

آن يوم من الرَّحيل قريبُ ... فيه يدمى قلب وتبكي عيون
ما بقاء الغريب في البلد النا ... زح إلا صبابة وحنين
كيف بالنيل إن ذهبت إلى دجـ ... ـلة؟ أني بالواديين ضنين
قد تحيرت بين هذا وهذا ... وانتحتني قبل الرحيل شجون
فتمتع قبل الفراق ففي مصـ ... ـر زمانٌ غضٌّ وعيشٌ ثمين

عبد الحسين الأزري

عبد الحسين الأزري.

كاتب وناظم، جال جولة في ميدان الصحافة بـ «مصباحه» قبل الحرب الكبرى، فظهر كاتبًا فاضلًا، وحام حول الشعر بعد الحرب، فأسمعنا شعرًا مُعجبًا أنسانا أنَّ نَاظِمَه كاتبٌ مُجيد. ونرى لقصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق اليوم رنة

استحسان، لما تضمَّنتْه من العواطف الرقيقة والإحساسات الطيبة، فضلًا عن سلاستها واتساق معانيها.

بيت الأزري بيتُ علم وأدب معروف، اشتُهر منه في القرن الماضي علَمان؛ هما الشيخ كاظم والشيخ محمد رضا أخوه.

وُلد عبد الحسين الأزري في بغداد في ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ، ونشأ فيها وقد تخرج في حداثته في المدارس الابتدائية، ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شيئًا كثيرًا من علوم الأدب والدين، وقال الشعر وعمره أقل من ١٥ سنة.

ودخل حزب الائتلاف بعد إعلان الدستور العُثماني، واشتغل بإنشاء الصحف، وأنشأ سنة ١٩١١ جريدة «المصباح»، ظلت تَصدر نحو ثلاث سنوات ثم قضت عليها الحرب العامة الكبرى؛ إذ نُفي المترجم إلى قيسري في بلاد الأنضول مع من نُفي من الأحرار والمنورين، لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه إلى فرع حزب اللامركزية الذي كان مركزه بيروت.

وهو يحسن اللغة الفرنسية.

ويُحب في شعره الخيال الجميل، والأسلوب القصصي. أما في كتابته فأحسن ما يعجبه النقد الأخلاقي. لا ينظم إلا في الخلوات، وأفضل أوقات النظم عنده الليل؛ سمير العشاق والشعراء والمنشدين.

(١) مؤلفاته

اشتغل الأزري بتأليف بضعة مؤلفات لا تزال خطية، منها:

(١) تاريخ العراق قديمًا وحديثًا: في جزأين كبيرين على أهبة الإكمال.

(٢) قصرالتاج.

(٣) بوران: روايتان من رواياته التاريخية الأدبية الغرامية التي ألفها، وبلغ بها الاثنتي عشرة رواية.

(٤) بطل الحلة: رواية وصف فيها ما أنزل الأتراك بالحلة من الفجائع.

(٥) مجموعة الأزري: مجموعة مقالاته في السياسة والأخلاق والاجتماع.

(٦) ديوان الأزري: اجتمع من منظوماته القديمة والحديثة مجموعة صالحة تُمثِّل ديوانه.

وقد انتقينا من شعره الحديث النخبة التالية:

نفس مُعذبة وقلب خافق

صدق الهوى ما كل ودٍّ صادق ... فلكَم تذرَّع بالوداد مماذق
ومكابر بالعشق لو كاشفته ... لعرفت منهُ سرَّ ما هو عاشق
لا تخدعنَّك يا بليد حشائش ... ما كل نبتٍ في الحقول شقائق
وأراك مفتونًا بفجر كاذب ... فارجع فليس وراء فجرك شارق
من أين تعرف ما الهزار وشدوه ... ما دام يطربك الغراب الناعق
وإذا طلبت من الرجال حقيقة ... فتتبع الآثار فهْي حقائق
أو كنت في طلب الحقائق مغرمًا ... فمن الحماقة أن يهمك حانق

* * *

وغبي قوم راح يحسب أنَّهم ... لا ينظرون وراء ما هو ناطق
متظاهر بالسلم وهو مُحارب ... وبوحدة الآراء وهو مشاقق
كمنت له خلف الثياب مآرب ... فكأنما تلك الثياب خنادق
يصطاد في مزق اللسان ولينه ... مُتخيلًا أنَّ العقول غرانق
هو رأس دائهم الخفي وأصله ... لو كان يفحصه الطبيب الحاذق
الخدع في نظر الحقيقة واحد ... لكنما للمرء فيه طرائق
ومن المصائب أن يُعاب مهذَّب ... ظلمًا ويوصف بالخلاق منافق

* * *

يا معولًا في جنح ليلٍ حالك ... قبض البريء به وفرَّ السَّارق
متطلعًا في الأفق لمحة بارقٍ ... يجلو الظلام وما هنالك بارق
هيهات لا تتكلفن طلابه ... فاللص مدَّرع وليلك غاسق
إني لتُطربني الصرامة بالهوى ... من حيثُ يبعثها الضمير الصادق
أحمامة الوادي سبقتُك بالغنا ... لولا فمي بالماء دونك شارق
ولربما سكت الحزين وفي الحشا ... نفس مُعَذَّبة وقلب خافق

عشت دهرًا فلم أجد غير ما بتُّ أُقاسيه من نوائب دهري
غصص لو حسبتها لتلاشت دون إحصائها دقائق عمري

سلب النوى نومي فأيقن عاذلي أنْ لا لقاء ولو بطيف منام
لم يدرِ أنك نُصب عيني والهوى قد صيَّر اليقظات كالأحلام

غنَّى فأطمعه السقا ة وعجلوا بسباته
كالعود تملأ جوفه فيكفُّ عن نغماته

الكتاب والحجاب

نظمها الأزري مُعارضًا لقصيدة «المرأة في الشرق» التي أنشدها الأستاذ معروف الرصافي على أحد مسارح بغداد، وقد أثبتناها في مُختاراته من هذا الكتاب، وأثبتنا هذه هنا من باب المناسبة ليس إلا.

أمنازل الخفرات بالزوراء لا زعزعتك عواصف الأهواء
قَرِّي فإنكِ للفتاة أريكة ضربت سرادقها على النجباء
لا تحزني مما رماكِ به الهوى ظلمًا وظنك معقل الإسراء
أين الإسارة في عفافٍ طاهر أين المعاقل من كناس ظباء

* * *

أكريمة الزوراء لا يذهبْ بكِ النَّـ ـهج المُخالف بيئة الزوراء
أو يخدعنَّك شاعر بخياله إنَّ الخيال مطية الشعراء
حصروا علاجك بالسفور وما درَوْا أن الذي حصروه عين الداء
أوَلم يرَوْا أنَّ الفتاة بطبعها كالماء لم يحفظ بغير إناء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها مما يجيش بخاطر السفهاء
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه عن خدع كل خريدةٍ حسناء
ليس الحجاب بمانعٍ تهذيبها فالعلم لم يُرفع على الأزياء

أوَلم يسغ تعليمهن بدون أن ... يملأن بالأعطاف عين الرائي
ويجُلن ما بين الرجال سوافرًا ... بتجاذُب الأرداف والأثداء
فكأنما التهذيب ليس بممكنٍ ... إلا إذا برزت بدون غطاء
وكأنما الإصلاح عَزَّ بناؤه ... ما لم يُشيد مسرح بنساء
إنَّ المسارح لا تدير شئونها ... من كُلِّفَت برعاية الأبناء
مثِّل بها دَور الفضيلة إنها ... تغنيك عن تمثيل دور إباء
وانظر إلى شأن المحيط وأهله ... كي لا تفوتك حكمة الحكماء

* * *

نص الكتابُ على الحجاب ولم يُبحْ ... للمسلمين تبرج العذراء
قل لي فماذا يصنع العُلماء لو ... نزَّهتهم من سيرة الجهلاء
ماذا يريبك من حجاب ساتر ... جيدَ المهاة وطلعة الذلفاء
ماذا يريبك من إزارٍ مانعٍ ... وزرَ الفؤاد وضلة الأهواء
ما في الحجاب سوى الحياء فهل من التَّـ ... ـهذيب أن يهتكن ستر حياء
هل من مجالسة الفتاة سوى الهوى ... لو أصدقتْك ضمائر الجلساء
شيِّد مدارسهنَّ وارفع مستوى ... أخلاقهن لصالح الأبناء
وافحص عن الأخلاق قبل حجابها ... أوَما سمعت بطائر العنقاء
هلا اختبرت الأقوياء خلاقهم ... لو كنت تأمن عفة الضعفاء
أسفينة الوطن العزيز تبصَّري ... بالقعر لا يغررك سطح الماء
وحديقة الثمر الجني ترصدي ... عبث اللصوص بليلةٍ ليلاء

يا وطن الرشيد

وطني لأجلك قد عدمت قراري ... وسئمت فيك حياة هذي الدار
أُحيي الليالي والعيون هواجع ... وهواجسي في جنحها سُمَّاري
أتنفس الصعداء ما بقي الدُّجى ... حتى أكدر نسمة الأسحار
أنا لم يُخيرني الزَّمان بصرفه ... كلَّا وإن ملك الزمان خياري
فلقد سبرت من الحوادث غورها ... وبها درست غوامض الأسرار
وعلمت أن النائبات بمرصدٍ ... ممن تغافل عن دبيب النار

فأنا المقصِّرُ والزَّمانُ موكل ... بعقاب كل مقصِّر خوار
ومَنِ الأُلى أرجوهمُ لأقلتي؟ ... إن لم أُقِلْ أنا في الحياة عثاري
ليلي وإن أرخى عليَّ سجوفه ... فالقلب ينظر من وراء ستار
كان الخيار بقبضتي فأضعته ... وبقيت مُتكلًا على الأعذار

* * *

وحمامة غنَّت فقلتُ لها اقصري ... فالصمتُ أجدر في فم المهذار
غنيتِ والأوراق ذابلة وقد ... ذهب الخريف بنضرة الأشجار
لا تحسبي شَرَعًا أحاديث الهوى ... ما كل مورقة بذات ثمار
نوحي على غصن الفضيلة لا الغضا ... ومحاسن الأخلاق لا الأزهار
فهي التي هام الكرام بحُبِّها ... وبنَوْا عليها لا على الأبكار
تنعين إلْفكِ للظلام وإنني ... أنعى لإلفي مُشرق الأنوار
غابت كواكبه كَمَا شاء القضا ... ما حِيلة الإنسان في الأقدار
أمعاهد العلم ارفعي فوق الحمى ... منك المنار بحيث يهدي الساري
رحماك حار المدلجون وها همُ ... مـلُّوا من الأنجاد والأغوار
وقف الزَّمان بهم على جرف الردى ... والجرفُ لو تدرين رملٌ هار
وإليك يا دار الشقاء تفقدي ... مرض البصائر فيك لا الإبصار
فلقد تضاعفت الشجون بمثلها ... كتضاعف الأعداد بالأصفار

* * *

ناديت أوطاني وما أعني بما ... ناديت غير دوارس الآثار
الناثرات فضائلي ومفاخري ... والشاهدات بعزتي ونجاري
والناظرات إليَّ نظرة آمل ... إحياء مجد دارس وفخار
والباعثات بنفسيَ الشمم الذي ... يأبى الحياة بذلة وصغار
أُصْغِي بكل جوارحي لحديثها الـ ... ـمقرون بالإعجاب والإكبار
وأحنُّ ما حن الحمام كأنني ... عود يردد نغمة الأوتار
من ذاك يا وطني ملكت عواطفي ... وشعوريَ المطبوع في أشعاري
مضت القرونُ ولا تزال معانيًا ... سقم العقول وضلة الأفكار
وظلام جهل لو تصاعد بالفضا ... لن تُدركَ الأبصارُ ضوءَ نهار

إني لأشعر في هواك بنشوةٍ فتخالني ثملًا بدون عقار
أشدو وأرفع كالهزار عقيرتي للذَّبِّ عن شرفي وحفظ ذماري
وإذا الفؤاد تحركتْ أوتاره سهلت عليه مسالك الأوعار
سل عن هوايَ الريم حول كناسها والطير عاكفة على الأوكار
وضمائر الأغيار نحو ديارهم لو أصدقتك ضمائر الأغيار
أهلوك هم أهلي وسلمي سلمهم وشعارهم في النائبات شعاري
مِن عِزهم عِزي ومَن في وردهم وردي ومِن إصدارهم إصداري
وُلدوا على لغتي وفطرتيَ التي فُطرت عليها بيئتي وديار
أنا منهمُ وهمُ على بُعد المدى مني ورغم تفاوت الأطوار

* * *

قد كنتَ أول مَنزلٍ أبصرته وسكنت من واديك أول دار
والنفس ما زالت تُمثِّل لي الصِّبا وحديث صحب في حماك صغار
كنا كماء المُزن رقَّ صفاؤه من قبل أنْ ينصاع للأَكدار
تلك المناظر لم تزل محفوظة عندي وإن خفيت عن الأنظار
تالله يا وطن الرشيد ونجله ومعرَّس الطائيِّ والمهبار
لم تلهني عنك الحِسَان ولا الطلى هيهات تلك سجية الأغرار
أنت الذي غذَّيت غصن شبيبتي وسَقَتْه دجلة بالمعين الجاري
ومن الوفاء إليك أن أدع الكرى حتى تفوز بسابق المضمار
قل لي إذا لم أقضِ دون مقاصدي عمري فما هي قيمة الأعمار؟

العيش نغم

أعد أيها الورق فالليل جَن وغنِّ فدونك وادٍ أَغَن

* * *

أَلِفتُك لما اعتزلتُ البشر وكابدت مثلك طول السهر
أنوح بنوحك فوق الشجر كعود يردد نغم الوتر
لو العود يدرك مثلي الشجن

حبتْك الغصون بعرشٍ رفيع وصاغت لك التاج زهر الربيع
فأنت المليك بوادٍ بديع وما أنا إلا كعبد مطيع
تولى هواك وفيك افتتن
شدوت فأبطلت فن الأساة وصرت تعالج بالبينات
فما أنت إلا من المُعجزات ومنك بدا لي سر الحياة
فطورًا سرور وطورًا حزن
ليبتسمِ الصبح للبلبل ليحتفلِ الجو بالأجدل
لتصفُ الحياة لقلب الخلي ليحتملِ السهد من يبتلي
ليخف الكئيب وراء الدجن
فما العيش يا ورق إلَّا نغم بكى منه ذاك وهذا ابتسم
تنافى الشعورُ به فانقسم سرورًا لقوم وقومٍ ألم
فتطرب روح وأخرى تئن
دعِ الليل يسحبُ ذيل الغسق علينا ويكحل جفن الشفق
وعد نتعاطى كئوس الأرق لكيلا يفوتك باقي الرمق
فبعد الحياة يطول الوسن
دعِ الليل يملأ أرجاءها هدوءًا ويطرد ضوضاءها
ولا تسأل النفس ما ساءها فلا فم تشكو به داءها
ولا في زمانك من يؤتمن
إذا البدر أشرق فوق الأديم وصافحَت البان كف النسيم
وريع السكون بصوت رخيم فنوحك بهجة ذاك النعيم
ونضرة ذاك الجمال الحسن
كشفت بنوحك ستر الخفاء وطارت به الروح قبل الهواء
كأني الكليم حظي بالنداء وذو النون منتبذًا بالعراء
ضعيف القوي ونحيف البدن
تذكرت يا ورق عصر الشباب وكيف انخدعت بلمع السراب
وما كنتُ أعلمُ خلف الحجاب زمانًا يناقشني بالحساب
وينتابني بضروب المحن
ذكرت رفاقيَ عند الصغر وتجوالنا تحت ضوء القمر

فما هي نفسي برغم الكبر أراها تمثل تلك الصور
وإن غيرتها صروف الزمن
أراني أحنُّ لتلك الليالي وترتاح نفسي بذاك الخيال
هوًى لا لحسن عديم المثال ولكنَّ للنفس حبل اتصال
شعرت به في رضاع اللبن
تمر البساطة في خاطري فيَطْمَحُ شزرًا لها ناظري
دعتني أمدُّ يد الخاسر وأستمنح الرفق من آسري
ولولا البساطة لم أرتهن
عليَّ الهوى سد باب الرَّجاء ومثل لي الداء نفس الدواء
فمن أين أحظى إذن بالشفاء وما أسرعَ السيرَ نحو الفناء
إذا أنا ضيعت نهج السنن
تمر الليالي على وحدتي ولم أَحْظَ بالقُرب من جيرتي
فإن أعدم البرء من علتي فيا حافر القبر للميت
رويدك حتى نعدَّ الكفن

المجد مكتسب

دُمْ ذاكرًا فيك يا شعبان من وثبوا فسوف يحفل في تمجيدك العرب
واحفظ لهم عهد صدقٍ عند نهضتهم بنوده الشرف الموروث والحسب
واسعد بقومٍ على ورد الرَّدى عقدوا راياتهم أو ينالوا كل ما طلبوا
ولا يصدون عن إظهار ما قصدوا مهما تكاثفت الأستار والحجب
من الآباء لهم حصن إذا نزلوا ومن عزائمهم جرد إذا ركبوا
إن أنكر الدَّهر ما من أجله نهضوا فلن يضيع لهم حق ولا طلب
وإن تلاعب في أقصى رغائبهم فسوف يجنح مضطرًا لما رغبوا
يا وثبة جدَّد الشعبُ العريق بها رفيعَ مجدٍ تهاوت دونه الشهب
وراح ينقذ في أرواحه وطنًا مرت عليه عصور وهو مغتصب
قل للمطامع والأيام صافحة عن طولها اليوم لا نكر ولا عجب
لنا الخفاء تجلَّى في حوادثه كما تجلَّى ليعقوب الدم الكذب

سيمنع الشعبُ عنه كل عادية ... ويَرجِعُ الحق إن صدوا وإن صخبوا
والحق أبلج لا يخفى سناه وإن ... جد الضلال وحالت دونه السحب
يا أيُّها الوطن المرعوب جانبه ... مهلًا سيحميك شعب ليس ينشعب
رقى على عرشه من هاشم ملك ... بالحق مُنتصب للذود منتخب
لا تذهبنَّ بك الأحلامُ إنَّ لها ... معنًى بأسفار قومي غير ما كتبوا
ما للجزيرة لا تُطفَى ضغائنها ... كنار فارس لم يخمد لها لهب
يا موقد النَّارِ أخفض من حرارتها ... فمَا لها من سوى سكانها الحطب
إن يَخدعنك حلم الساكنين فهم ... كالماء إن حلموا والنار إن غضبوا
توارثوا سنن العلياء عن سلف ... ضجت بذكرهم الأعصار والكتب
هم الذين إذا نادى الصريخ بهم ... سعى يُلبِّيه منهم جحفل لجب
يا أيها القوم إنَّ الدهر مُحتكم ... بكل وانٍ وإن المجد مكتسب
لم تقترب نكبات الدَّهر من فئة ... لها المَعَارف أمٌّ والوفاق أب

أيها البان

هل مَسَّكَ الوجدُ مثلي أيها البانُ ... فآذنت بذبولٍ منك أغصان
وهل روت لك ورقاء حديث هوًى ... تسللت منه أشجان وأحزان
عهدي بسرب ظِبَاء عندك اتخذت ... لها حمى سوره أثل وكثبان
كانت من البَيْن في واديك آمنة ... إذ لم يَرُعْها به إنس ولا جان
لها حمامك أهل والحمى وطن ... والعيش نضرته أهل وأوطان
ترعى بظلك والأغصان حانية ... من فوقها والنسيم الغض نشوان
وقد عراها اهتزاز من تنفسه ... كأنَّما هو روح وهْي أبدان
أو أنَّه فمُ واشٍ من تحذُّره ... تعوَّد الهمس والأوراق آذان
مغنًى بدا ليَ من رقص الغصون به ... أيدٍ تجسُّ وأوتار وألحان
طوت صحائفه البلوى وكم له في ... أكناف دجلة أمثال وأقران

* * *

أمسيتِ يا شجرات البان موحشة ... لا الأهل أهل ولا الجيران جيران
واسيتني بنوى الأحباب حيثُ خلت ... منك الظباء وبانت مثل ما بانوا

لم أنسها حين لاذت بالفرار ضحًى ... تؤم بالجزع ظلًّا وهو عريان
فرت على الرَّغم منها بعد إلفتها ... من حيثُ لاح لها بالغرور إنسان
حتى إذا بعُدت عن عين قانصها ... رَنَّت بطرف كليل وهو حيران
دع لومها أيُّها الوادي فإنَّ لها ... عُذرًا وثق أنَّ بعض اللوم بهتان
ولا تَسُمْ طاهرات الذيل إن نفرت ... باسم الخيانة إنَّ الدهر خوان
هذا نسيمك سله عن شمائلها ... فقلبه من خفايا اللطف ملآن
كأنَّ سيلك دمعٌ كفكفته يد ... مِنَ الغُصون لها الأوراق أردان
كأن فيك الفضا زاد وأنت فم ... غصصت فيه وصم الصخر أسنان

اليتيم

هدأ الدجى لولا أنين عليلِ ... ووداع بائسة به لكفيلِ
طال السقام عليه حتى اضطره ... أن يدفع الآلام بالتعليل
وتزيده ألمًا كآبة صبية ... قد شابهوه بِرِقَّة ونُحُول
وحليلة كم كابدت في بؤسه ... غصصًا وراء حجابها المسدول
تتكلف الصبر الجميل فلم تُطِق ... ولرُبَّ صبرٍ لم يكن بجميل
وتدير عينيها فلم ترَ مسعفًا ... معها على جسدٍ هناك نحيل
لم يبقَ منه غير طرفٍ فاتر ... كبصيص نورٍ في الظلام ضئيل
حتى إذا قرب السرى وبدت لها ... منه إشارة مؤذن برحيل
هتفت وللزفرات في أحشائها ... صدمات سيفٍ في فؤاد قتيل
ورنت كما ترنو المهاة لخشفها ... مرعوبة من قانصٍ أو غول
وكأنها شعرت بسوء مصيرها ... ومصاب كوكب سعدها بأفول
وتيقنت فيما سيحدث بعده ... بحياة صبيتها من التبديل
فتنهدت جزعًا هنالك والقضا ... عما دهاها ليس بالمسئول
أودى بكافلها ولكن أودع الـ ... آلام تعبث في حشا المكفول
كحمامة وقعت بقبضة صائد ... وفراخها في عشها المجهول
وقفت بجانبه تكفكف دمعها ... كوقوف ركبٍ في رسوم طلول
تخفي الشجا وهنًا وتنظر حولها ... ما بين معتلٍّ وبين هزيل

يتضوَّرون بمسمعٍ من جارهم ... فكأنَّ بينهمُ مسافةَ ميل
يحيي الدجى طربًا وخلف جداره ... غرثى تبيت بزفرة وعويل
ودت تشاطره الردى حذر الشقا ... لو كان يقنع منهمُ ببديل
وسرى الخيالُ بها لماضي عيشهم ... ونعيم ظل في ذراه ظليل
كانوا بحيثُ الخطب يخشى قربهم ... فكأنهم أسد الشرى في غيل
حتى أحال الدهر ساحة دارهم ... كهف الحطوب ومسرح التمثيل
ولكل شيء في الزَّمان نهاية ... وكذا الصعود معقَّب بنزول
ومن المصائب ما يهون إزاءها ... ورد الرَّدى بمُهنَّد مصقول
ما للأُلى حملوا سرير فقيدهم ... لم يعبئُوا بوديعة المحمول
بقيت تُعالج بؤْسهم في صبرها ... سرًّا وظهر الصبر غير ذلول
ولربما أنِفَ العزيزة نفسه ... من أن يمد إليك كف ذليل
قلَّ للمعين لها على الزمن الذي ... كثرت به عقبات كل نبيل
وترى إذا ما الفقر حل بمنزلٍ ... يومًا تباعد عنه كل خليل
ومن البلية أنهم لم يعهدوا الـ ... ـبلوى ولا اعتادوا على التطفيل
سئمت على الذلِّ الحياةَ وهكذا ... وردت حياض الموت بعد قليل
فدعتهمُ كظعائن في قفرة ... راحت مشتتة بغير دليل
لو تنطق الأجداث عن حال الأُلى ... ذهبوا ضحايا ذلة وخمول
لبكيتَ من ألم المصيبة رحمة ... وكفاك مُجملها عن التفصيل
إني لأشعر في اليتيم إذا بكى ... خوف الأسير وذلة المغلول
واللهُ أوصى باليتيم عباده ... في مُحكم القرآن والتنزيل
يا ملجأ الأيتام كم لك منة ... في جيد كل مضيع موكول
أنقذت من أيدي الخطوب بقية ... سلكت بهم لولاك شر سبيل
سيسجل التاريخ برك بعدنا ... والبر فيه أحق بالتسجيل
جدد لهم أمل الحياة فرُبَّما ... نال المؤمِّل غاية المأمول
وارْجُ المعونة من إلهك والأُلى ... بهر الفرات بهم عيون النيل

يا عِلم

نال فيك الغرب يا علم المراما ... فعدى لم يرعَ للشرق ذماما
أيها العلم ولولاك لما ... أزعج الغازون في الليل النياما
إن تكن غاية ما تطلبه ... كل نفس منك بغيًا وانتقاما
فابتعد يا علم واتركنا سدًى ... فلقد أصبح مرعاك حراما
أشرقت شمسك في الغرب ولم ... نرَ من آثارها إلا ظلاما
رُبَّ شرٍّ سنح الخير به ... ودواء أولدوا منه سقاما
لست ممن حبذوا الجهل ولا ... بالذي عن شرف العلم تعامى
إنما قد ساورتني ريبة ... جعلتني أنظر الماء ضراما
أنتَ إن لم ترضَ فيما فعلوا ... فلماذا اخترت في الغرب المقاما
وردوا منهلك العذب ولم ... يوردوا غيرهمُ إلا حِماما
مَلَئُوا باسمك أرجاء الثرى ... قاذفات تنفث الموت الزؤاما
ودعوها رحمة تحمل في ... طيها للناس بردًا وسلاما
عد إلى الشرق لتبدي لهمُ ... كرم الأنفس والقوم الكراما
وأْتِ قومًا لك في تاريخهم ... ارج طبق يا علم الأناما
وتنصل من دماء أُهرقت ... ولها باسمك قد سلوا الحساما

* * *

يا بني الشرق خذوا العلم ولا ... تجعلوا منه إلى الظلم دعاما
واتقوا عادية الدهر به ... فهو العروة لا تخشى انفصاما
واكشفوا فيه القذى عن أعين ... لم تكد تُبصر في الصبح الإماما
هذه الشمس تجلت لكمُ ... وأماطت عن مُحياها اللثاما
ومضى الليل فسيروا خببًا ... كيفما شئتم عراقًا أو شآما
جعل الله لكم أوطانكم ... فاحذروا أن يملك الغير الزماما
ودعتكم للعلى آثارها ... فأعيروها الْتفاتًا واهتماما
إنَّما العيشُ خصام وبه ... يحرز النصر من اسطاع الخصاما
وقضى الدهر بأن يختطف الضَّـ ... ـيغمُ العجماءَ والصقرُ الحماما
فاجعلوا الوحدة درعًا لكمُ ... إنما الدارع لا يخشى السهاما

وخذوا العِبرة من تاريخكم ... كيف آل الأمر بالملك اقتساما
لا يسوس الملكَ شعبٌ لم يكن ... من رضاع العلم قد جاز الفطاما

* * *

يا نداماي وما قيمة من ... ترك اليقظة للدهر وناما
أنا لا أعرف إلا بطلًا ... صارع الباطل أو بالحق قاما
حمل العفة في أثوابه ... ورأى الإخلاص فرضًا فاستقاما
أبت الحرمة نفسي لامرئ ... يحسب العيش شرابًا وطعاما
هيكل ألبسه الدهر من الـ ... ـوشى بردًا ومن التبر وساما
فاحرفوا الأقداح عَنَّا فرغًا ... واحفلوا بالأكؤس الملأى مُدَاما
نحن في عصرٍ يرى الغرب به ... ضعفاءَ الرَّأي في الأرض سواما
دولة الأصنامِ زالت ومضى ... عصر من أحنى لها الرأس احتراما
لا تلوموا الدهر في أعماله ... إنما العاجز من أبدى الملاما
أيُّها القطر الذي في مجده ... ضارع النجم علوًّا ومقاما
كُلَّما رمتُ أناجيك بما ... في فؤادي قطع الدمع الكلاما
لك في عهد حمورابي على ... سائر الأقطار فضل لا يُسامى
وعلى آثاره قد شهدوا ... أنك المبدع في الأرض النظاما
ودعاك العلم من أشياخه ... فلماذا صرت يا شيخ غلاما
هل أعرت الشيب أيام الصبا ... أم تراجعت إلى دور اليتامى
بدأ العلم بمغناك فهل ... فيه تحظى اليوم بدءًا وختاما

أنا في سورة من الأحلام

خطأ كان ... فاذهبي بسلام ... واغفري ما اقترفت من آثامي
وتناسي بحرمة العهد ما كنـ ... ـتِ تقاسين في سبيل غرامي
من عتاب مرَّ وآلام شكوى ... فيهما قد تصرَّمت أيامي
غرني طيفك الملم بجفني ... حينما كنتُ غارقًا في منامي
وتخيلت أنني فزت بالقر ... ب وأدركتُ منك بعض مرامي

* * *

لستُ أدري وليتني كنتُ أدري أنا في سورةٍ من الأحلام
هكذا يغلب الخيال على النفـ ـس ويسري الكرى بقوم نيام
ويضل الهوى العقول فتقتا د سراعًا له بغير زمام
بينما أمزج التحية بالعتـ ـب كمزج الأرواح بالأجسام
إذ سبقت النجوم في فلق الصبـ ـح فرد الصدى عليَّ كلامي

* * *

ثاب رشدي بعد الضلال فعذرًا لكِ مني وأنتِ بنت الكرام
وانجلى الليل ضاحكًا من خداعي حين شقَّ الصباح ستر الظلام
وبدا لي كيف الحقائق تخفى في مطاوي الأهواء والأوهام
ها أنا واهم على الرغم مني في عتابي على رفات رمام
وعجيب من أن أبيت بكِ اليو م طروبًا وأنت رهن الحِمام

* * *

في عداد الموتى ولكنَّ شوقي وحناني قد مثلاك أمامي
أنعمي الطرف في قوامك فالأجـ ـداث أودت بحسن ذاك القوام
وأطيلي الحديث عن ريقك العذ ب وقد جفَّ في طباق الرغام
خادعتني بالقرب منك الأماني مثلما خادع السراب أوامي
هذه قصتي، ورُبَّ بريء خطأً قد أصابه سهم رامي

* * *

أيُّها الليلُ أنت أضللت فكري وأمرت الخيال باستخدامي
أنتَ صورت لي بساط سليما ن ووطأ السماك في أقدامي
وجعلتَ الرِّياح تجري بأمري فوصلت الأنجاد بالإتهام
ونقلتَ الصرح المُعد لبلقيـ ـس فأنزلته بدار السلام
منزلي إن أتيتَ فرق الثريا أو أتى الصبح فالحضيض مقامي

* * *

فدع الخدع أيها الليل واترك لعيوني سذاجة النوام
أنا لولاك ما طلبت حراكًا من رميم أو رشفة من جهام

كم سَمِعْنَا نغمًا ولم نرَ عودًا ورأينا عودًا بلا أنغام
ضاع عمري ولم أجد فيك إلا موج بحرٍ من الهواجس طامي
رُبَّ رأسٍ تكلل الشيب فيه وتراه يقل عقل غلام

محمد الحسين كاشف الغطاء

اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

وقفة عند تدمر[1]

عِبرٌ لو وراءهن اعتبارُ ... وادِّكار لو ينفع الإدِّكارُ
أيَّ آي يتلو لنا غابر الدهـ ... ـر ولكن على العقول غبار
كل يوم يتلو علينا عظاتٍ ... قدمت في حدوثها الأعصار
كم على هذه البسيطة من ... حر صنع فيه العقول تحار
دمرته الأيام حتى على تد ... مر يأتي الفنا ويقضي الدمار
وهي تلك العصماء طال لعين الشَّـ ... ـمس عن نيل شأوها الأقصار
دمرت تدمر عجائب كل الـ ... ـكون حتى في الكون منها انبهار
للنبيين معجزات وإعجا ... ز سليمان هذه الآثار
لأبيه لان الحديد ولانت ... لعلاه الصخور والأحجار
وقفت طوع أمره كنسورٍ ... وقفت حيث ما لهنَّ مطار
وسوار تُناطح الفلك الأعـ ... ـلى وتعلو منها له أسوار
لو بشم الجبال قد وزنوها ... رجَّحت كفةً وخفَّ العيار
بنقوش كأنما هندسيٌّ ... خطها في يمينه الفرجار

---

[1] من الرحلة الموسومة بنهزة المسافر ونزهة المسامر.

تتلقاك في صفا الصخر منها صور قد تمثلت أو صوار
وطيور قد سُرِّي الريش منها باعتدالٍ وعوِّج المنقار
ناشرات قوادمًا وخوافي طايرات تضمها الأوكار
هكذا تعظم العقول وتعلو النَّـ ـفس قدرًا ويشرف المقدار
هكذا تبلغ النفوس مناها في المعالي وتنفذ الأفكار
قيل قد كان للأجنة ما بيـ ـن يديه إطاعة وابتدار
قُلت كلا فأين للجن لولا قُدرة الله ذلك الإقتدار
«لو سعت بقعة لتعظيم أخرى لسعت نحو تدمر الأمصار»
لا يظن الجهول ذلك لهوًا من سُليمان أو علا وافتخار
حاشا لله بل لتعتبر النا سُ وحسب المهذب الإعتبار

* * *

عمرك الله تبقى العمارا ت طويلًا وتذهب الأعمار
بقيت هذه العمارات لكن أين تلك الأعمار والعمار
سل سُليمان أين بلقيس أو سلـ ـها وبعضٌ من السكوت حوار
أفمن بعد تدمر يخدع السحـ ـر فتُبنى قصوره والديار
خلِّ دار الفنا ودعها لتُبنى لك في غير هذه الدارِ دار
هي من بعض منذري الله فينا لو يُفيد الإعذار والإنذار
ناطقات صوامت وسواري قائمات وغُيَّبٌ حُضَّار
لو أفقنا من سكرة الأمل الكا ذب أو خف سكرنا والخمار
ما بنينا في الأرض دارًا ولا دا ر علينا إلا الفلا والقفار
حِكم في عظاتها بالغات صامتات وكلها تذكار
تلك إحدى فوائد السير في الأر ض فمُت أو يعش لك التسيار
أخطأ الباحثون في الأنجم الزهـ ـر فقالوا لبعضهن قرار
لا تَخَلْ في السماء ثابت نجم كل نجمٍ في فلكه سيار
إنما الثابتات في كريات الـ ـجو هذي الصخور والأحجار
لا ولكن لهن سير خفي عرفته الرموز والأسرار
لو علمنا عن أي باهر علم للألباء تسفر الأسفار

لاتخذنا الأوطان كالقبر والأحـ ـياء لا ينبغي لها الأقبار
سافروا تغنموا وما الغنم إلا الـ ـعلم لا درهم ولا دينار
وكفاك الذكر الحكيم فكم فيـ ـه على الأمر بالسرى إصرار

* * *

خَلِّ عني يا خِلُّ ذكرك للأو طان أين الأوطان والأوطار
وطني ما أصير بعدُ إليه وإليه المأوى وفيه القرار
لا الذي قد خرجت منه وكلي فيه جهل وخسة وخسار
لوثت جوهري الشريف به الأقـ ـذار منه وزادت الأكدار
بعض هذا وحب ذاك من الإيـ ـمان ما يظنه الأغمار
فتخير له من البرِّ زادًا لك ما دمت أنت والإختيار
فسيأتي عليك يوم عصيب ليس فيهِ عن العثار اعتذار

عزمات العرب

يا عزمات العرب البواسلِ هبِّي لحل هذه المشاكلِ
قومي فلا موضعَ للقعود أو يسكن غلي هذه المراجل
أنتِ رعيتِ الملك في شبابهِ حتى احتملتِه على الكواهل
فكيف لم تحتمليه كاهلًا مهدد الحوزة بالغوائل
هذي الذئاب اعترضت لغابكم تعرض البغاث للأجادل
ما الملك إلا صارم وأنتمُ من صدره بموضع الحمائل
أين الحميات التي تسعَّرت منكم بتلك الأعصُر الأوائل
دكدكتمُ أمسِ عروش قيصر وطاق كسرى وصروح بابل
فيا بقايا يعربٍ حسبكمُ من رقدة الجهل أو التجاهل
عودوا لأصل عنصر العرب الذي كنتم به من أشرف السلائل
أنتم فروع دوحة واحدة فكيف قطَّعتم عرى التواصل
ما فرقتْ أديانكم بينكمُ لكنها سياسة من خاتل
ألا مساعير يثورون لها بسلة البيض وهز الذابل
ترقص عند الحرب مهما سجعت من الحديد سجعة العنادل

على الإخاء العربي اجتمعوا ... فيا لها أُخوة لعاقل
إنْ كان لا بُدَّ من الموت فمت ... بالفرِّ تحت عُثيِّر القساطل
تموت كي تحيا وتحيا أمَّةٌ ... أودت بها سخيمة التواكل
تطامنت للذُّل بعد عزة ... هُزَّت رواسي الأرض بالزلازل
واليوم عادت فضلة من بعدما ... كانت لها سابقة الفواضل
يا دارهم أين بَنُوكِ والأُلى ... بَنَوك بالعلوم والفضائل
وقفتُ في آثار آبائي الأُلى ... أسأل الدمع كنهرٍ سائل
أسألها عن باهر المجد الذي ... قطوفه دانية العثاكل
أسألها عن قاهر العز الذي ... أغنى عن الحصون والمعاقل
فكيف أضحى خاملًا من بعد ما ... زهى كزهر الروض في الخمائل
أضاءت الشرق مصابيح له ... واستشرق الغرب من الفتائل

* * *

دونكها هدية من واقف ... بين رجاء آيسٍ وآمل
تزف من مصر إلى نيورك ... من نجفيٍّ بهواك حافل
من خالص الإخاء لا مداهن ... وصادق الولاءِ لا مصاقل
نفثة صدرٍ يستطير شررًا ... تطاير النار من الجنادل

ألا هذه مصر؟

هواي إلى مصرٍ ألا هذه مصرُ ... أعود الرجا ذاوٍ وعود الهوى نضرُ
تمطَّى عليَّ البَرُّ والبحر دونها ... فما عاق عزمي البَرُّ عنها ولا البحر
وقلت لها يا نفس عزمك والسرى ... وصبرك والجلى وسعيك والعمر
أجشمها أخطار كل مهولة ... تماوت فيها الموت وانذعر الذعر
أقول اصبري إن رمت نصرًا فإنَّما ... هو الصبر معقود بوفرته النصر
وإن أظلمت سود الخطوب مكامني ... فبعد ظلام الليل ينبثق الفجر
فخضت أجاج البحر والبحر كالح ... وجُبت فجاج البر والبر مغبر
وقد سار فيَّ ابن البخار كأنه ... خيال ولكني بأحشائه سر

قمين بطيِّ الأرض حتى كأنه ... بجو السما يهوي على أجم صقر
يسابق سير البرق والفكر جاهد ... فيسبقه فوتًا وقد أجهد الفكر
إلى أن أنالتني ابنة النيل باعه ... ومدت لترحيب أصابعه الحمر
وقد غرني في الليل حسن ابتسامها ... ويا رُبَّ ليث للفريسة يفترُّ
وأعجبني في وطئها لين الثرى ... ورُبَّ رماد كامن تحته جمر

* * *

فها أنا ملقى في حنايا ربوعها ... كأنيَ فيها قد تناسانيَ الدهر
نزيل ولا وجه يروق ولا روى ... وضيف ولا ماء يرق ولا خمر
وواسعة لم ينفسح بيَ صدرها ... ولم ينشرح لي قط يومًا بها صدر

لامية العرب الجديدة

إلى كم ترامى بي المنى والمنازلُ ... وتقذف بي لجَّ المنايا المناهلُ
وما ليَ لا أنفكُّ إلا مقسمًا ... مُقيم لبانات وجسميَ راحل
وما لك يا قلبي كأنك طائرٌ ... وما لك في الدُّنيا سوى الهم طائل
فلست براءٍ ما حييتُ ابن نجدة ... ولا ابن عطاءٍ في زمانك واصل
تعالج أمراس الحياة وإنها ... حبالٌ ولكن للمنايا حبائل
أكُلكَ يا عمري هموم وهمة ... وكُلكِ يا أيام لهو وباطل
وكلكمُ يا قوم في القول فارس ... ولا رجلٌ إلَّا وفي الفعل راجل
فحتى متى هذا الخمول ورُبَّما ... ذوت فرهت بعد الخمول الخمائل
يناضلني دهري ولا حول لي به ... وكيف وسهمي أفْوقٌ وهو ناصل
فيا ثعلبي الرمي لحظك رائش ... وقدك عسال وعطفك ذابل
إذا شئت إن ترمي فهذي حشاشتي ... وإنْ شئت أنْ تصمي فهذي المقاتل
ألا لا تُغالطني فإنيَ عالم ... بأنيَ مقتول وأنك قاتل
أعاذلتي إن أبصر المرء قصده ... فأهون شيء ما تقول العواذل
تقولين هذا النجم حتامَ غائب ... ونير هذا الأفق حتامَ آفل
وهذا النمير العذب خلَّى سبيله ... وكانت ضفافًا من جداه الجداول
تعطل جيد كان بالأمس حليه ... وأقوت ربوع أمس فيه أواهل

فقلت دعيه إنما العمر رحلة ... وهذي الليالي للأنام مراحل
وتلك الأماني سائقات لغاية ... وما تلكم الغايات إلا مجاهل
عَلمت ولما عاد علميَ ضائري ... «تجاهلت حتى قيل إنيَ جاهل»
أعاذلتي إن كنتُ بالفضل حاليًا ... فما ضر أني من حلى المال عاطل
فلا تحسبنِّي ضارعًا عند نكبة ... فما تصدع الطودَ الأشم الزلازل
ولا أنَّ عزمي مثل نبريَ واهن ... فما السيف إلا متنه لا الحمائل
دعي اللوم إني ما توانيت كاسلًا ... ولا رغبت عني العلى والفضائل
لقد قام مني السعي والحظ قاعد ... وقد جَدَّ مني العزم والدهر هازل
وقد بلغت نفسي من الجدِّ عذرها ... وهيهات أين العذر والذكر خامل
لطفت فلم يشعر زماني بموقفي ... كأني بعين الدهر والدهر غافل
وقد قيدت عزمي الهموم بغلها ... فقل في ابن غابٍ أثقلته السلاسل
فصبرًا لها يا نفس وهْي كثيرة ... ولكن ليالي العمر فيها قلائل
وهذي سطور الشيب خُطت بعارضي ... وما هي إلا للرحيل رسائل

* * *

أذات اللمى المعسول ريقك منهل ... ووجديَ لا تطفيه تلك المناهل
ردي دمع عيني فالرَّبيع مصوح ... ورودي كلامي فالسنون مواحل
ولا تعجلي عَمَّا يجيء به غد ... فهذي الليالي ماخضات حوامل
وخُيل لي في مصر لمحة بارق ... فقلتُ عسى للغيث تلك المخائل
وما أنا فيها واغل بمذلة ... ولكن يأس النفس للنفس قاتل
وكم مُحيت فيها حقوق كريمة ... وكم هُضمت فيها كرام أماثل
ودورك فيها يا أبا الطيب ارتمى ... إلي وحق في الكرام التماثل
فأفلتُّ منها ناكصًا وعزائمي ... عواذر لي والتجربات عواذل
أقول لها لو يُصبح الأيكُ عَالِمًا ... من الشجو ما تملي عليه البلابل
أمصر ربوع العيش منك زواهرٌ ... ولكنْ ربوع الفضل فيك مواحل
تناهيت في طول التمدُّن فاقصري ... فعند التناهي يقصر المتطاول
أيا مصر لا واديك بالنجح نافح ... لراجٍ ولا ناديك بالبشر حافل
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة ... وحسبك عارًا أنني عنك راحل

شعري وشعوري، وعواطفي ولطايفي (على رسم له)

بـنـي آدمٍ إنـا جـمـيـعًـا بـنـو أبٍ ... لـحـفـظ الـتـآخـي بـيـنـنـا وبـنـو أمِّ
رأيـتـكـم شـتـى الـحـزازات بـيـنـكـم ... ومـا بـيـنـكـم غـيـر الـتـضـارب بـالـوهـم
فـلا حـجـبٌ فـيـكـم تـمـد عـلـى حـجـى ... ولا حـزمٌ مـنـكـم تـشـد عـلـى حـزم

* * *

وقد عطفتني باللطايف نحوكم ... عواطف جنسٍ لم تزل علة الضم
فأهديتكم بالود نصحيَ قائلًا ... عليكم سلامي دايبا ولك سلمي
وألفت بين اسمي ورسميَ راجيًا ... حياتهما إن بات تحت الثرى جسمي
عساني إذا أبلى أنال بذكركم ... حياةً وحسبي من حياتيَ ذِكر اسمي
أروم بقاء اسمي ورسميَ بينكم ... ولا نافعي إسمي الغداة ولا رسمي
خذوا ظاهرًا من صورتي فضميرها ... تصور من روح التحنن والرحم
يود لوَ انَّ الأرض تصبح جنة ... تفيئكم ظلَّ السلامة والسلم
وأنتُم كأملاك السماء مَحَبَّة ... تذود شياطين العداوات بالرجم

* * *

بني آدمٍ رحماكمُ في قبيلكم ... فقد جزتمُ برْيَ العظام إلى الهشم
حنانًا على هذي النفوس فإنَّها ... سَمَاوِيَّة من رشح ذيالك اليم

* * *

وما أكثر الداعي بنا لهداية ... وما للهُدى مِنَّا سوى الهد والهدم
تصدع في أهوائنا جمع شملنا ... ونسعى وكلٌّ نحو غايته يرمي
أيا صدع هذا الجمع هل من تلايم ... ويا شعث هذا الشعب هل لك من لم
هلمَّ نَعِشْ بالسلم عصرًا فإننا ... قضينا عصورًا بالتضارب واللدم

* * *

تخارسْ إذا الآذان صُمَّت عن الدعا ... فأضيع شيءٍ دعوة الصم والبكم
يقولون للإصلاح نسعى ورُبَّما ... طلبت الشفا فازددت سقمًا على سقم
إذا كانت الأفعالُ نثرًا نظامها ... فلا خير في نثر المقالات والنظم
وكل فتًى يبغي العُلى غير أننا ... كمقتنص صيدًا يروم ولا يرمي

أبثك يا ابن الأرض في الليل لوعتي ... فأنت أخي فيما إخالك وابنُ امِّي
سعدتَ هنا لما بعدت مسافة ... كأنك من شأن الأنام على علم
تباعدت عن هذي الشرور فليت من ... نسيمك عيشي أو بتربته جذمي
وإني وما في السعد والنَّحس فكرتي ... ولكن كأن النحس كان بها نجمي
يرحب صدري بالهموم لأنني ... أرى هِمَمِي تخبو فيوقدها همي
وما عزمتي نارًا بزعمي وإنما ... حرارة أنفاسي الزعيم على زعمي

* * *

سئمتُ حياتي مذ شهدتُ حقيقتي ... وأي حياة تمزج الشهدَ بالسم
ولم أدرِ علمي نافعي أو جهالتي ... ألا رُبَّ جهلٍ كان أنفعَ من علم
أرى أُممًا تدعو العلوم لها أبًا ... وفي درس علم النفس أكثرها أمي
وما كل علم يجلب السعد للفتى ... ويرقى به من وهدة النقص للتمِّ
إليكم بني الأديان منيَ دعوةً ... دعوتكمُ فيها إلى الشرف الجمِّ
إلى السلم فيكم والتساهل بينكم ... فيا حبذا شرع التساهل والسلم
لقطعتم رحم الإخاء وأصبحت ... جماعتكم شتى من الطعن والشتم
وما بينكم كم من حقوق شريفة ... وكم تشتكي تلك الحقوق من الهضم
جرحتم شريفات العواطف بينكم ... وذاك الكلام المرُّ ينبي عن الكلم
فدونكمُ «شعري» ولستُ بشاعر ... ولكن «شعوري» قد تجسَّم في نظمي
نظمتُ لكم أفلاذ قلبي بدعوتي ... وأفرغتها عن قالب الحب والحلم
أُريد بكم خيرًا وتنحو لشرها ... نفوسٌ على رغم الحقيقة أو رغمي
وكلٌّ سعى نحو الحقيقة جاهدًا ... ولكنَّما الغايات كانت إلى الوهم
يقولون إنَّ الدين فرَّق بيننا ... فيا لك من حيف ويا لك من ظلم

* * *

وما أدعي في دعوتي فضل عصمةٍ ... ولا استنزلت لي الشاردات من العصم
ولكن بها أهديت نصحيَ قائلًا ... «عليكم سلامي دائبًا ولكم سلمي»

الجمال عذاب

سئمت حياتي بهذا النَّفَقْ فكم ذا العناء وكم ذا القلقْ
يقلبني موج هذي الصرو ف فلا للنَّجاة ولا للغرق
أمرعًى وما هو إلا الوبيل وورْدٌ وما هو إلى الرنق
ففيمَ التنافس ما بيننا وفيمَ تلهُّفنا والحرق
إذا كان آخرنا للفنا ء ففيمَ الرياء وفيمَ الملَق
وإن يكن المال حظ الزوا ل فما حنق المرء إلا حمق

* * *

أجلك يا نفس أن تقنعي بهذا الطعام وهذا الطبق
أُعيذُكِ من كون هذا الفسا د ومن باطل يتزيَّا بحق
تحدَّرتِ من عالم نيِّرٍ تصبَّب بالقدس ماءً غدق

* * *

فكيف هبطت إلى سافِلٍ وقد كنت شامخ علم سبق
وكنت سراحًا بروض النعيم فمن ذا رماك بهذا الوهق
ويا طائر القدس أنَّى وقعت بهذي القيود وهذي الحلَق

* * *

وكيف اتحدت بهذا الكثيف وطَبعُك أرقى سمًا بل أرق
وليس عليَّ أبي قد جَنَى ولكنَّ نفسي بلومٍ أحق
أتاح البلاء هوى قد طرى وما هو إلا عناء طرق

* * *

أغرَّك زبرج هذا الجمال ولا تعلمين إذا ما اعتلق
تألق زخرفه مُعجبًا ولم تدر ما خلف هذا الألق
أبيحك أنيَ عنهُ رغبت إذا ما عشى نحوه من عشق

* * *

وخاطرت حُمرة هذي الخدود فإنَّ الظلام وراء الشفق

وعفت القوام على أنَّه لذيذ المُقَبَّل والمُعتنق

* * *

فكم حيَّة ليِّنٌ مسُّها وكم عُمر حيٍّ بها قد زهق
ويا واو صدغيه والثغر منه بلائيَ منك بعطف النسق

* * *

ويا مقلتيه وألحاظه أخاف سيوفَكِ إذ تمتشق
أسرت فؤادي بتلك الجعود وقد خافها مدمعي فانطلق

* * *

ومحتكم في مزايا الجمال له كل ما راق منها ورق
حذارك من وجنتيه فقد تقحمها خاله فاحترق

* * *

وكم ضاع أبيض حظ على سواد الشعور وسود الحدق
فيا لائمي قد كُفيت الملام ويا مُقلتي قد أمنت الأرق
أُريد جمالًا خلا من أذًى وأطلبُ عيشًا صفا من رنق

صحيفة الحب

خلياني ملازم الخلوات حول درس الأكوان والكائنات
خلياني أجوبُ قفر الفيافي وأزور الوحوش في الفلوات
وأُناجي النُّجوم في الليل رام بشواظ النيران للنيرات
خائضًا في السماء لجي بحر كم له في المجر من غمرات
حيث تطفو الشموس فيه حبابًا وتهاوى النفوس كالثاقبات
حيث ساد السكون في الأرض حتى ما لغير الأرواح من همسات
حيث مرج الأثير يقدح نارًا ترتمي للضمير في جذوات
حيثُ كفَّ الظلام مدت رواقًا وشمته النجوم باللمعات
حيث حضن الظلام ضمَّ إليه كل حيٍّ واستام كل حياة
حيث ثغر السماء يُوحي لثغر الـ أرض رمز الحياة بالنسمات

خليـاني هنـاك جـوهـر فـكـر أو كـروح تـطـيـر فـي نـفـثـاتـي
سـائـلًا والـلـسـان سـائـل دمـعـي شـاكـيًـا والـزَّفـيـر بـث شـكـاتـي
أين مثوى السلام والحُبِّ في الأر ض وأيـن الـهـنـا بـغـيـر هـنـات

* * *

ظـلـمـات يـا حـب أنـت وحـقًّـا إن مـاء الـحـيـاة فـي الـظـلـمـات
إن خـلـف الـشـهـود غـامـض سـر مـن وراء الـشـكـوك والـشـبـهـات
لو تجلَّى عرفت في الكون نفسي أو تـبـدَّى عـلـمـت مـا كـنـه ذاتـي
هـو مـعـنًـى والـحـب أُدْمِـج فـيـه كاندماج الحروف في الكلمات
هو معنى الجمال والحُسن لفظ والمُسمَّى والحسن بعض السمات

* * *

أنـا بـعـتُ الـجـمـال بـالـحُـبِّ روحـي يـوم قـال الـجـمـال هـاك وهـات

حقيقة الجمال

ألـكـنـي إلـيـك خـفـيـر الـهـوى فهل من حديث وهل من خبر
حبيبي رمت بك عني النوى فـأيـن الـثـواء وأيـن الـمـقـر
هنيئًا لك النوم أني سهر ت وأنت سميري وفيك السمر
يناجيك مني روح الخيال ويحضرك الشوق لي والفكر
وأبغي حديثك لي مع لقاك فأرعى الثُّريا معًا والقمر
فيا ظبية البان عني إليك فما ليَ عند الظبا من وطر
صبوت لكل أغر الطباع أهـيـمُ بـه لا بـوجـه أغـر
وليس وزان جميل الخلاق لديَّ وزان جميل البشر
إذا ما المحاسن يعرضن لي طلبت حقائقها لا الصور
رأيتُ الجمال بغير الكمال كعود زها وهو مُرُّ الثمر
وغيداء ما أنا من همها زرعت محاسنها بالنظر
نحلت فصرت إذا ما بدت «أُريها السهى وتريني القمر»
فـشـوقـي ولـكـنـه لا لـهـا ووجدي وما الدل بي والخفر

يـروق لـيَ الـحـسـن لـكـنـه بخلق الفتى لا بخلق الغرر
أكـاد أطـيـر لـحـب الـكـمـال تـطـور لا لـمـلاح الـطـرر
ويُعجبني كل سبط الشعور وإن كان في العين جعد الشعر
ويـمـلـك وديَ كـل امـرئ يروق ويصفو على من كدر
ومن يأمن الناسُ من شره أَآمـن فـي ربـه أم كـفـر
حـنـانًـا بـنـي آدمٍ بـيـنـكـم ورفـقًـا فـإنًّـا جـمـيـعًـا بشر
وهـا نـحـنُ من شجرٍ واحدٍ فـواعـجـبـي لاخـتـلاف الـثـمـر

بعد حرب الطليان والبلقان

سلْ لدى الحرب ألسن النيران عن صنيع الإنسان بالإنسان
أو سل الأرض ما جرى فسيول الدَّ م فـيـهـا هـدَّارة بـالـبـيـان
أو سل الشرقَ ما لقيت من الغر ب وعـدِّدْ غـرايـب الـعـدوان
كم بريئات أنفُس أشبعتها غصص الموت جاشعات الأماني
كم مصابيح أوجه أطفأتها واغرات الصدور بالشنآن
كم تذيق النفوس مران حتف وخـزات الـمـراء لا الـمـران
كم ثمار قد أينعت من رءوس فجنتها بالظلم كف الجاني
سل قذيف المكسيم كم من خراب سيم خسفًا فيهِ على العمران
كم جريح مُلقى وآخر شلوًا وصريع مضنًى وآخر عاني
كم رءوس أودى بها حمم القلـ ـع فسالت غازًا على الجثمان
كل آن تهمي القنابل كالمز ن عليها من الحميم الآن
كم نساء أضحت أيامَى تعاني من يتامى فقيدها ما تعاني
تعقد الراحتين بالقلب مهما نثرت بالدموع عقد جمان
كم ثكول تشجي الحمائم بالنو ح فتبدي غرائب الألحان
ولكم أم واحد ذات رزء ما لها عن عويلها من ثاني
أفهذا وضع السلام على الأر ض وهذا تمدن الإنسان
أيها المسلمون هبوا فليس الـ ـموتُ إلا حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التمادي وأتاكم سيل فما ذا التواني

جاءكم جارف من الغرب تيا ... ر يهدُّ البنا وأس المباني

* * *

يستغيث الإسلام فيكم فيلقى ... عنه منكم تصامم الآذان
صارخًا فيكم فهل من سميع ... صرخات الإسلام والقرآن
أفيرْجو الإسلام لقيان سلم ... «بعد حرب الطليان والبلقان»
إنَّ بيض الوجوه سود إذا لم ... تغدُ حمرًا من النجيع القاني
إنَّ لبس الثياب خزيٌ إذا لم ... تجعلوها لكم من الأكفان
إنكم والنِّساء — ما لو تذودوا ... عن حماها عدوَّكم — سيان
إنكم — والأوطان فيها الأعادي ... تتهادى — عارٌ على الأوطان
إن عز الملوك في حفظها الأمـ ... ـلاك لا في العروش والتيجان
حبذا موتنا على مورد العزِّ ... وبئست حياتنا بهوان
كشر الشر عن عواطف سوء ... ليس تبقى رسمًا من الإحسان
بينات تبين نيات بغي ... أنضجتها تقلبات الزمان
أظهر الغرب ما أجنَّ من الغد ... ر وأبدى كوامن الأضغان
وأحاطت بالمُسلمين علوج الـ ... ـبغي من كل جانبٍ ومكان
يتشكى «المُراكشي» اعتصابًا ... وكشكواه يشتكي «العثماني»
وإذا ولولت «طرابلس» في الغر ... ب أتاها العويل من «إيران»
غير أنَّ الزمان يبدي صنوفًا ... من حروف غريبة الألوان
فانتظر في صحيفة الكون ماذا ... سوف يملي عليهم الملوان
إنما الدهر منجنون جنون ... ما على حالة به من أمان
ولكل شأن من الأمر والكو ... ن يرى كل ساعة في شان
يصرع البغي أهله مُستثيرًا ... وعلى نفسه سيجني الجاني
غير أنَّ الإسلام ضلوا عن الحز ... م وناموا على غرور الأماني
أنذرتهم وقائع الدَّهر فيهم ... ناطقات لهم بكل لسان
فتعامَوْا عن العظات وهاموا ... بزخاريف نعمة وليان
استلانوا نعومة الغرب حتى ... راعهم منه نهشة الأفعوان
تركوا دينهم لدُنْيا سواهم ... رُبَّ ربح يكون من خسران

وإذا القلب كان أعمى عن الرشـ ـد فماذا تفيده العينان
وإذا ما اليدان لا تدفع الضيـ ـم فأولى بالقطع تلك اليدان
ليت من لا يكون ذا حرِّ دين في البرايا يكون ذا وجدان

بين الغرام والسياسة

حاكم جار واستبد لا يفي بالذي وعدْ
يشرب الماء بالروا ء ويسقينيَ الثمد
كم سبح لحظ عينه وفؤادي له سجد
قد أعان العدى عليَّ ولم يبق لي عدد
فهْو ظبي على العدى وعلى أهله أسد

* * *

رمت جهلًا به الصلا ح وقد فاتني الرَّشَد
كيف أرجو صلاحه وصلاحي به فسد
أيُّها الوالد المقدَّ س رحماك بالولد
أنت غصن الخلاف لم أجْنِ منه سوى الكمد
قائد غير أنَّه للرَّدى حينما ورد
أين وجدانَك الشريـ ـف وما ذا الذي وجد

* * *

يا مليك الجمال جنـ ـدك فيهِ بدا البدد
أفماء الحياء في خدك الأحمر انعقد
أم دم الحياة في وجنةٍ منك قد جمد
ثغرك اللؤلئي من عقرب الصدغ في رصد
فندوني على هوا ك وأولى ليَ الفند
صيرونا طرائقًا حول أطماعهم قدد

* * *

قال صبرًا وما درى كنز صبري به نفد

لا تخلني مُحاجيًا أو أُعمِّي على أحد
أنت قصدي بما أقو ل «وحر وما قصد»

إلى صديق

عدال عَنَا قلبٌ من الشوق مشبوب وصيِّب أجفان كصوب الشآبيب
ولوعة ناءٍ باعدته نوائب فحنَّ اشتياقًا للقا حنة النيب
تذكر من أحبابه كل غيرة إذا طلعت قالت لشمس الضحى غيبي
وكل أخٍ حلو الطَّباع تخاله يُدير على الجُلَّاس بنت الأكاويب
تباعد فازداد اقترابًا به الهوى فيا لك من بُعدٍ حباني بتقريب
ونائين أفنوا مُهجتي واصطبارها وأبقَوْا على العلات همي وتعذيبي
فلو بقيت لي مُهجة لافتديتهم ولكن عداة البين قالوا لها ذوبي
فدت أوجهًا لم تعرف الأنس بعدها ولا العيش إلا في عناء وتنكيب
وعين بها ابن المَاء والنَّار قد جرى وليس سوى وجدي وفيض شآبيبي
تُدفِّعه نيران وجدي فيرتمي بلجي بحر من دموعيَ مسكوب
وعندي لكم يا عرب نجد علائق تذود لكم عن مسمعي كل تأنيب
وفي البدويات الأعاريب منكمُ غراميَ لا في الحاضرات الرعابيب
وكم مدَّعٍ صدقَ الوفاء بحبكم تكشَّف عن زورٍ من الود مكذوب
فقلتُ له مذ غض منكم محاسنًا وخص سِوَاكم في نسيب وتشبيب
هل الحُسن إلا للحسان الأعاريب وهل لسواها منه غير الأكاذيب

ومنها في وصف العرب:

يحنون إما للغواني أو الوغى لسُمر كعاب أو لسمر أكاعيب
بَواديَ لا يأوون إلا إلى الفلا فهم بين تعريج عليها وتأويب
فمن لي بقرب مُسعف من خيامهم وهم بين تقويض لهن وتطنيب
إذا هبت الأرواح منهم تباشرت بنفحتها الأرواح من أرج الطيب
تعيد بنشر الشيح والعود والكبا لهم نشر ذيل في ثرى الحي مسحوب

عشقت من الأعراب كل مصونة ... برمحين في أعطافها والأنابيب
كريمة أحساب بخيلة نائل ... رفيعة أنساب بديعة أسلوب
أصائل لا تنمي لأمٍّ هجينة ... ولا لأب غير الفحول المناجيب
إذا اجتُلب الحسن اقتسارًا تظاهرت ... بحسنين مجلوب إلى غير مجلوب

نيران الحرب العظمى

خلياها تشب في الأرض نارا ... تستحيل الأكوان فيها أوارا
يتوقى الجماد لفح لظاها ... ويخوضُ الإنسانُ منها غمارا
خلياها تُبيد قومًا فقومًا ... وتدك العمران دارًا فدارا

* * *

يا كرات الأفلاك ذي كرة الأر ... ض استحالت بالاصطدام شرارا
فخذي يا سماءُ بأسكِ منها ... واحذريها إن استطعت حذارا
فالمناطيد تستطير فضاءً ... والأساطيل تستشيط بحارا
وقذيف المكسيم يلهب قطرًا ... ومكين الرشاش يهمي قطارا
فهناك الأشباح تهوي رمادا ... ولطيف الأرواح يعلو بخارا
تصبغ الأرض بالدماء فتبدي ... خجلًا وجنة السماءِ احمرارا

محمد مهدي البصير

محمد مهدي البصير.

البصير: شعلة ذكاء وشعلة وطنية، حرمته الطبيعة البصر الذي يكل، ولم تحرمه البصيرة الوقادة التي لا تخبو ولا تكل، فأحسن استعمالها، ووافق ذلك حدة في طبعه، وخير في نفسه، وهمة بين جنبيه، فقام يؤدِّي واجب الخدمة لبني وطنه مما قصر عنه كثير من المبصرين.

سمعت شعر البصير من بعيد، يوم كان في معتكفه في مسقط رأسه، فشعرت بالشعور الذي فيه، وسمعته من فم الناظم، فزاد في عيني ما هو عليه الرجل من الغيرة الوطنية، والإحساس الدقيق، وكرم الطباع.

ومع أن الشيخ البصير وُلد وعاش شبابه في الحلة الفيحاء بعيدًا عن بيئة العلم والأدب، ولم يمنعه ذلك من النظر — بعين الفكر عن طريق السمع — في أسفار الأدب وكتب العلم، فحَصَّل منها شيئًا لا يُستهان به، ثم غزرت مادته العلمية بعد قدومه بغداد واستيطانه إياها زمنًا، فوقف على الكُتب الحديثة من مطبوعات مصر والشام، كما أنَّ دخوله معترك السياسة بالخطابة، وإنشاد القصائد الحماسية الاستنهاضية في المَحافل، رفعه إلى المنزلة التي يتمتع بها اليوم.

في شعر المهدي كثير من طباعه وأخلاقه، تعجبك معانيه البديعة، ويستفزك أحيانًا أُسلوبه المُبتكر، يحلي كل ذلك وطنية صحيحة، وشمم عربي طُبع عليهما هذا النَّابغة العراقي المحبوب.

وُلد محمد مهدي في الحلة الفيحاء سنة ١٣١٣ هجرية، وتتصل أسرته بقبيلة كلاب، وهي أسرة دينية تتبادل المقام المنبري على سبيل الإرث، اشتُهر منها بضعة رجال في العلم والأدب قديمًا.

نشأ في مسقط رأسه، وبعد أن تعلم المبادئ قرأ على جملة مدرسين قديرين شيئًا من النحو والصرف والمنطق، وقد حصَّل بالمطالعة نصيبًا ليس بالقليل من العلوم العصرية، مع أنه فاقد البصر.

وأول شعر قاله سنة ١٣٢٧:

سلسال ثغرك يا رشا لم يُروَ منه العاشقون
وبريقك المعسول فلـ ـيتنافس المتنافسون

بارح الحلة سنة ١٩٢٠ وجاء عاصمة العراق، وظل فيها يخدم أمته بإلقاء الخطب والقصائد الاستنهاضية، ولقد كان من عمله تأثير كبير في بث الحماسة الوطنية، وتحبيب الاستقلال إلى أبناء الأمة في عهد عصيب، هو عهد ثورة ١٩٢٠ في العراق وبعده، فسُجن في بغداد مرة، ونُفي إلى هنجام مرةً ثانيةً لاشتراكه في التدابير السياسية التي قام بها جمهور من العراقيين في بغداد وخارجها.

للمترجم قريحة وقَّادة وذكاء فوَّار؛ فلا تقرأ عليه شيئًا إلا ووعاه، ولا تبادهه بالكلام حتى يجيبك على الفور بجواب فيه النكتة، وفيه الروعة مع السداد.

وليس للشيخ البصير مذهب خاص في شعره أو كتابته، إنما هو مطبوع على محبة الجديد، فيحاول أن يسير في هذه الطريق في منظومه غير أن تحصيله من ذلك أقل من جهده الذي يحمد عليه.

وهو مثال الجلد وقوة الإرادة، وقد انْضَمَّ إلى طلبة مدرسة الحقوق ليستمع الدروس الحقوقية ويستفيد.

واجتمع للمترجم مما نَظَمَه ديوانٌ ضخم، لم يسلم من نكبات الدهر مرتين؛ الأولى في واقعة الحلة الشهيرة، ففقدت مجموعته التي كانت تحوي ثلاثة آلاف بيت، والثانية اختلست منه في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ مجموعة تضم نحو ألفَي بيت.

(١) آثاره

البابليات: وقد أخذ في جمع ما يتذكر، وما هو محفوظ من أشعاره في مجموعة حديثة، أسماها «البابليات»، فيها الشيء الكثير من سحر بابل، وكنوز الأدب والوطنية (لا تزال مخطوطة).

ديوان الشذرات: ديوان صغير يضمُّ مقطعات شعرية يتراوح عدد كلٍّ منها بين السبعة أبيات والبيت الواحد. طبعه سنة ١٣٤٠هـ في بغداد.

المختصر: وطبع في بغداد مجموعًا ثانيًا صغيرًا من آثاره سنة ١٣٤٠هـ بعنوان «المختصر» حوى بدائع النظم ونفائس النثر.

(٢) لبيك أيها الوطن

إن ضاق يا وطني عليَّ فضاكا ... فلتتسع بي للأمام خطاكا
بعثت ثراك دمي فإنْ أنا خنتها ... فلتنبذني إن ثويت ثراكا
بك همْتُ أو بالموت دونك في الوغى ... روحي فداك متى أكون فداكا
ومتى بحُبِّك للمشانق أرتقي ... كي ترتقي بعدي عروس علاكا

هَبْ لي بربك موتة تختارها ... يا موطني أوَلستُ مِن أبناكا
إن يندمج جسدي بتربك باليًا ... فلتقترن ذكراي في ذكراكا
أو يقتضب نفسي فما لي منة ... أو لم يمنَّ به عليَّ هواكا
أو جُدت في نفسي عليك فإنَّما ... هي كل ما عندي وبعض جداكا
هجعات جفني لا يَمُرُّ به الكرى ... ما دام جفنك طافحًا بكراكا
لك قد خُلقت ومنك فيك فنسبتي ... تقضي عليَّ بأنني أرعاكا
أتُراك تضمن لي كرامة مصرعٍ ... فيهِ أبيت مجاورًا صرعاكا
كم أورثتك يد السياسة علةً ... فاشرب دمي وأظن فيه شفاكا
ولقد علمت بأنَّ داءك معضل ... وبفضل تجربتي أصبت دواكا
ويروقني أنَّ الجراح تضاحكت ... في جسميَ الدامي وإن أبكاكا
ولعلَّ صوتي حين أُخرج أنَّتي ... متموج طربًا وإن أشجاكا
خفِّض رثاءك لي فإني واثق ... ألَّا تشحَّ منيتي بمناكا
واحمل وسامًا فوق صدرك من دمي ... ما كان أحلاه إذا حلَّاكا
ولئن مزجت دمي بدمعك سائلًا ... فلقد وفيت وما عدمت وفاكا
ماذا عليَّ وما خسرت مكانة ... أني أموتُ لكي أصون حماكا
قد كان حجرك ما حييت يضمني ... فإذا قُتلت فقد سكنتُ حشاكا
إن لم أذُق لأذود عنك مُشَمِّرًا ... كدر الحمام فلا وردت صفاكا
ثق أنني سأذب دونك باذلًا ... رُوحي لأُرخصها فما أغلاكا
فليسخط الغربي أني ناهض ... أقصى رجاي بأن أنالَ رِضَاكا

* * *

كذبتك أقطاب السياسة عهدها ... فلتضمنن لك الحياة ظباكا
أفيطلبون لك الرعاية ضلة ... ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ويؤملون لك المعونة بالله ... ما كان أفقرهم وما أغناكا
لو أنصفوك لحرروك لأنهم ... ربحوا قضيتهم بظل لواكا
نقضت مطامعهم سياستك التي ... من أجلها عُقدت فهم أعداكا
أقم السكينة حيثُ يحسن وقعها ... وسع المجال إذا استطعت حراكا
والمعرك الأدبي يعقب غيره ... إن يجحدوك فهل تُطيق عراكا

لبيك يا وطني بكل ملمة ... فيها يُجيب المشرقي نداكا
فلتبنينَّ لك الأسنة والظبى ... حصنًا أشم به ترد رداكا
ما أولع الأحرار منك بتربة ... يغدون منها بالرقاب رُباكا
يصبو قتيلهمُ بكل صفيحة ... أخذته حتى صار من قتلاكا
وأسيرهم يهفو إليك جنانه ... ولغير أسرك لا يريد فكاكا
يزجي الحنين إليك إلا أنَّه ... بحنينه ناغاك أو ناجاكا

(٣) يا عِلم

يا عِلم عش وأعش فعصرك راقِ ... لتعيد شمس الشرق للإشراقِ
أرسلت نُورك في الفضا مُتَدفقًا ... فملأت فيه مطالع الآفاق
فمثقف الآراء أنت إذا شكت ... أودًا وأنت مهذب الأخلاق
إن عُدت غربيا فَعلَّك ذاكر ... أيام دور مرَّ منك عراقي
نظروا إليك وقد قصدت ديارهم ... ورحلت عنا مؤذنًا بفراق
فاستقبلوك وللنشاط مخائل ... قد أتبعت لك ضمهم بعناق
حتى وقفنا عاجزين وراءهم ... وتسابقوا قصبات كل سباق
وصلوا السماء فطنبوا بنجومها ... لك فوق هذي الأرض أي رواق
أصلحت أمر الإجتماع لوَ انهم ... سلكوا سبيل تضامنٍ ووفاق
ورسمت نهج الإقتصاد لينعموا ... عيشًا فأنت مقسم الأرزاق
وقضيت أنَّ الأمن يُحفظ بينهم ... بالعسكرية وهْي أحرز واق
فتوسعوا فيها إلى أن قرروا ... حكم السيوف بها على الأعناق
علمتهم أن ينقذوا ويحرروا ... لكنهم جُبِلوا على استرقاق
أمَّا العقول فقد رقت وتهذبت ... لكن قلوب القوم غير رقاق
ووسائط التدمير ها هي مثلت ... نزعات أقطارٍ هناك دقاق
هدموا السَّلام فوطدوا آمالهم ... بحماية الإرعاد والإبراق
ليحطم المستعبدون قيودهم ... فالجور آيسهم من الإعتاق
وأشقُّ من أسري عليَّ بأن أرى ... يد آسري يومًا تحل وثاقي
هب أن رحمة آسري ستفكني ... أوَلستُ أحمل منة الإطلاق

ولسوف أكسر غلَّ عنقي في يدي كـي لا أسـلـمـهـا إلـى الأطـواق

* * *

أنـا يـا رفـاقـي لا أُريـد سـلامـتـي فـتـذكـرونـي إن هـلـكـت رفـاقـي
إن لم تعش نفسي العزيزة حُرَّة فـلأسـعـيـنَّ بـهـا إلـى الإزهـاق
لأُجـاهـرنَّ بـمـا تُـكـن ضـمـائـري ولـيـكـثُـرنَّ وسـائـل الإرهـاق
ولأَصْـعـدنَّ إلـى الـمـشـانـق نـازلًا لـثـراي أو أطـأ الـسـهـا بـبـراقـي
سدُّوا أمام مقاصدي عرض الفضا فبذلت وسعي عند ضيق خناقي
وغلى الدم العربي فيَّ فواجبي تضميخ مجدي بالدم المهراق
غضبت ليَ الأجداد في أجداثها لـمـا شـربـت الـهـون مُـرَّ مـذاق
فحلفتُ إما العز أو غصص الردى أو لا فـمـا أنـا طـيـب الأعـراق
أكثرت يا زمني مصائبك التي ما كان مجهد عبئها بمطاق
والطامع المغرور دون مُخاتل مـن أمـتـي مـتـسـلـح بـنـفـاق
مـاذا الـذي يـتـرصـدون رقـابـة وعزائمي كشفت لهم عن ساق
صوَّتُّ في رأيي فضج مُصَفِّقًا شـعـبـي: لَـمـوت أو لَـعـز بـاق
يا غاية الشعب النبيلة قرري لـلـقـاك كـيـف تـسـابُـق الـعُـشـاق
إن تذهب الحسرات في أرماقنا فـردًى وهـاك بـقـيـة الإرمـاق
لـتُـوطـدنَّ لـك الـمـدارس حـرة لـيـتـم مـا نـبـغـيـك بـاسـتـحـقـاق
ليُطبقنَّ العلم عرض بلادنا فـالـجـهـلُ أطـبـق أيـمـا إطـبـاق
ولنقبسنَّ من المعارف شعلة مَـا إنْ يـهـدِّد ضـوءهـا بـمـحـاق
إن المدارس في البلاد حدائق شـجـر الـعـلـوم بـهـن ذو إيـراق
وإذا طما الإصلاح بحرًا مُفعمًا سقت المحيط من العقول سواق
غرس النُّهى أزهاره فهبوا لها يـا قـوم ثـرَّة نـائـل دفـاق
فتعلموا طب السخاء فقد شكت هـذي الـمـعـاهـد عـلـة الإمـلاق
لا يـعـقـب الإمـسـاك غـيـر مَـذَمَّـة والـحـمـدُ كل الـحـمـد في الإنـفـاق

(٤) حول الأدب وخمائله

يا مطلع الأزهرين العلم والأدبِ ... ردي إلينا رقيَّ الشرق والعربِ
ما أنت إلا سماء أطلعت شهبًا ... وهل لديك سوى الأفكار من شهب
ما أنت والله إلا قطب نهضتنا ... «وهل تدور الرحى إلا على القطب»
نحن الظماء وحوض العلم مشرعنا ... فلينهل الشعب من سلسالك العذب
يا أم نحن بنوك الصدق فانتهجي ... لنا شرائع تنهانا عن الكذب
يا أم إنْ يسقنا الإصلاح درته ... فقد وجدنا بك العرفان خير أب
لَيشكرنَّك من هذبت فكرته ... لا تنكر الزهر يومًا منة السحب
كان افتتاحك أقصى ما أُؤَمِّله ... لقد نجحت وهذا منتهى أربي
جاءَت بك الحفلة الغراء شائقة ... مما تلابست الأشعار بالخطب
إن أمَّلت أُمَّة إدراك بغيتها ... ففي المكاتب ما ترجو وفي الكتب
لولا المدارس لم تصلح مداركهم ... والرأي لم يعلُ والأخلاق لم تطب
إن يطلب المجد جدا في معارفهم ... فإنما الفوز كل الفوز في الطلب
ما أفضل العلم إما زين في أدب ... ما أحسنَ الثغر إما حفَّ في شنب
أواه من لي بآراءٍ يُوحدها ... قوم يفوزون بالأسمى من الرتب
إن البلاد إذا آراؤها الْتأمت ... فإنها ذات شمل غير منشعب
وكيف تحيا البلاد لا وئام لها ... إن بات يمضغها ناب من النوب
يا صاحبي وهذي الضاد قد جمعت ... أبناءها والعلا منهم على كثب
أيقدمون وهم أحمى الرِّجال حمى ... أم يحجمون وهذا أكبر العجب
فلا صغار إذا هم دونها ثبتوا ... ولا فخار إذا ألْوَوْا على رهب
ولن يُصان بليث الغاب مربضه ... من الذئاب لوَ انَّ الليث لم يثب
ولا ألوم قويًّا في إرادته ... إنْ قال لا حكم إلا في يد الغلب
لكنما كل ذَمِّي للضعيف إذا ... ظنَّ المسبب أن يعطي بلا سبب
لقد بليت بأقوام تكاشرني ... وللضغينة حبلٌ غير مقتضب
إني تبيَّنْتُ ما تخفي ضمائرهم ... وكيف يخفى لهيب النَّار في العشب
لا ألعبنَّ لهم أدوار مُنتبه ... حتى يُفرق بين الجد واللعب
لا كهرباء بنفسي لا يُحركها ... إلى الحماسة يومًا باعث الغضب

وإنما كل هذا الكون معترك ... والحرب تسلمنا فيهِ إلى الحرب
إن كنت يا صاح ألقيت السلاح به ... عجزًا فما أنت إلا عرضة العطب
لا حقَّ للمرء في مَجد يُحاوله ... إنْ شَحَّ بالنَّفس أو إن ضنَّ بالنشب
لا تبخلي اليوم يا بغداد في ذهب ... على معاهد تحيي عصرك الذهبي
جلت مواهب شعبي غير أنَّ له ... عتبًا على كل ذي مالٍ ولم يهب

(٥) لِيُحيِ العلمَ مجدُه

وطني والحَق سينجده ... ما زلت بحبي أعبده
سيصوغ العدل لدولته ... تاجًا والله سيعقده
ليعشْ أبطال سياستنا ... ليفزْ بالمُلك مؤيده
ليهزَّ الرمح مُثقفه ... وليُدْمِ السيف مجرده
ولنطوِ الجهل وندفنه ... ولِيُحْيِ العلم مخلده
ولنرفعْ راية نهضتنا ... فنذود الجهل ونطرده
سنثير الشعب وننقذه ... ونُقيم الكون ونُقعده
سنعيد الشرق لسلطته ... وبحد السيف نحدده
أشقته سياسة مضطهد ... ستقلَّص عنه فنسعده
ستنير شموس معارفه ... والسعد سيزهر فرقده
ستدرُّ منابع ثروته ... والعيش سيعذب مورده
سنقيم صروح سياسته ... ودعام العدل نوطده
ونبث النور وننشره ... ونراعي الحق ونعضده
وظلام الجهل نمزقه ... وشباب الحكمة نرصده
أرشيد الشرق أعد نظرًا ... في الشرق فإنك مرشده
أبقيت العز له فعفا ... فأطلَّ عسى تتفقده
ولتشرف نفسك حيث رقت ... من فوق النجم فتشهده
وابعث عن طرق أشعته ... صوتًا ستظل ترددده
أين الزوراء ومَنْعتها ... ورقي الشعب وسؤدده
أم أين معاهد حكمتها ... والعلم ومن يتعهده

أم أين معاقل قوتها والجُند معًا ومجنده
أم أين براعة ساستها في أمر عز معقده
أم أين تناصح قادتها إن شب الزحف فتخمده
أم أين نفوذ حكومتها أو مطلقه ومقيده
أم أين لوايَ وحامله والسيف ومن يتقلده
أم أين الملك وشوكته وطريف المجد ومتلده
تاريخ كنت أُبيِّضه لا عاش اليوم مُسوِّده
إن أخلق ثوب كرامتنا يا «فيصل» أنت مجدده
فعلى اسم الله أعد شرفًا كنا للعرب نُشيِّده
والْعَب أدوارك مقتفيًا خطواتي فيما تقصده
وسلام اللهُ عليك فثق بالنَّصر فسوفُ تزوده

(٦) غيرة النعمان

يا علم أنت مُحرر الأوطانِ فانشر لواك لنا على الشبانِ
وأقم بهم أود البلاد ليُصلحوا ما أفسدته طوارئ الحدثان
أثرِ الحمية فهْي ملء صدورهم ودع الحفاظ يهز كل جنان
يا علم أنت أبو الصواب أخو النُّهى حقل السعادة زهرة العمران
بالله إن هذَّبت عقل مُفكر منا فهبه نزاهة الوجدان
إن لم تمثل فيه جرأة باسل فليفضحنَّك عنه عجز جبان
علِّم رجال الشَّرق أن يتكاتفوا بقضية القاصي معًا والداني
لتزف مصر إلى العراق ودادها ولير فق السوري باللبناني
علِّم فتى قحطان أن تسمو به همم الملوك الصيد من قحطان
فإذا رأى غلواء كسرى عصره فلينهضن بغيرة النَّعمان
حيثُ الوقود تناظرت وتساجلت بعلوِّ قدرٍ أو برفعة شان
جالت هناك الرُّوم والهند التي أخذت تجاري الصين في ميدان
وتذكر النعمان سؤدد قومه فأحلهم في الفخر أي مكان
فأصاخ كسرى ثم قال بلهجة تشتد فيها سورة الغضبان

فكرتُ يا نعمان في الأمم التي ... حولي وأنتم بينها جيراني
فرأيت أنَّ الناس تأخذ حظها ... بالجد من علم ومن عرفان
فالصين في آلاتها والهند في ... آرائها والروم في الأديان
ورأيت حقًّا أنَّ شعبك خامل ... خالٍ من الحسنى أو الإحسان
الجهل والإملاق قد حكما بكم ... حتى خسرتم أيَّما خسران
أبذاك قل لي أم بهذا فخركم ... فهما بحمد الله مجتمعان
لا همِّ إلا دولة اليمن التي ... ما نظمت ورقت برأي يماني
لكن بنى جدي وأسس ملكها ... فالفخر في تأسيسها للباني
هيموا بأقطار الجزيرة إنها ... شقيت لعمر الله بالسكان
وأَدُوا البنات لفقرهم وتشتتوا ... زمرًا بلا ملك ولا سلطان
فدعوا الفخار فما لكم من رايةٍ ... بين العروش ترف والتيجان
فتربع النعمان ينصب عنقه ... عند البيان وجاش كالبركان
قال: المآثر والمفاخر كلها ... للعرب موهبة بكل زمان
فهمُ الأُلى أَلِفو السَّماحة والقِرى ... وتسابقوا في كل يوم طعان
تنهلُّ أنملهم بأمواه الجدى ... طورًا وتخضب بالنجيع الفاني
جمعوا الصباحة والعفاف إلى الحيا ... بمخائل الفتيات والفتيان
ورست حلومهمُ فهن رواجح ... إن خفَّ يومًا جانبا شهلان
ومن السجايا البيض عندهم الوفا ... فاطلبه في خبر لهم وعيان
أمَّا الذكاء فإنَّ في قرع العصا ... ما لا يرد عليه من برهان
وتنافسوا بالشعر وهو مُهذب ... شفع الحنين رقيقه بحنان
ضربوا به الأمثال وهْي بديعة ... ليلذ فيه الحدو للركبان
يعتادهم كبر الملوك وإنهم ... خدم ببيت المجد للضيفان
ركبوا منون الخيل وهْي حصونهم ... مُتفيئين أسنة المران
باديـن لا تحضرون لأنَّهم ... يأبَوْن دار الذل والإذعان
لكنما اليمن العظيمة قد جنت ... ذنبًا وصاحبها المُسيء الجاني
وتر القبائل حوله فتنافرت ... عنهُ لبغي فيه أو طغيان
ولو اتقى بهم الخطوب لسلهم ... سيفًا يعز به حمى غمدان
تمَّ النهى في العرب حتى أنني ... لم أدرِ أين مواضع النقصان

أنا لا أُقَدِّسهم لأني حاكم ... فيهم وإن رجالهم أعواني
لكنني أجدُ الفضيلة كلها ... فيهم فتنصرها يدي ولساني
فأقر كسرى بالحقيقة إنها ... لتنير بالإفصاح والتبيان
وأجل صدق العزم فيه لأنه ... خلق الكريم وشيمة الغيران
ثم انبرى النُّعمان نحو بلاده ... يطوي الضلوع على حشاشة عاني
ودعا أكابر قومه فتواردوا ... متوافدين له بغير توان
فروى لهم أقوال كسرى كلها ... موصولة بمقالة الرنان
وجزَوْه إطراءً فصرَّح أنَّه ... يخشى دسائس صاحب الإيوان
وهناك سرَّحهم إليه ليعلموا ... ما قد أَسَرَّ لهم من الشنآن
وأتَوْا إليه فناضلوا ببلاغة الـ ... ـحُكماء أو ببسالة الشجعان
وتفننوا في القولِ حتى إنه ... كالسلسبيل يروق للظمآن
وقفوا وقد نثروا الصواعق حوله ... ولرُبَّما نثروا عقود جمان
يتلو الخطيب زميله وكلاهما ... في ذكر مجد العرب متفقان
يتباريان سياسةً وحماسةً ... وهما بدفع الظلم متحدان
كلٌّ يريك صرامة بلسانه ... تغنيه من وخزات كل سنان
حتى إذا اختتموا الكلام أثابهم ... شُكرًا عليه أخو بني ساسان
وغدا يبثهم النصيحة والثنا ... ولوى من الجبروت فضل عنان
فهلم ننشر ذكرهم لنعيدهم ... أحياء ننشرهم من الأكفان
هيا نمثل للملا أرواحهم ... فالفضل للأرواح لا الأبدان
ولنعرضنَّ بقية العرب التي ... تركتْ بأندلس لكل هوان
أبقية العرب الأماجدِ خبري ... عمَّا جنته معارك الإسبان
قُصِّي لنا تلك الوقايع إننا ... نجري القلوب لها من الأجفان
كم قد بنينا للمعارف معهدًا ... فقضَوْا بهدم دعائم البنيان
جمعت به الأسفار إلا أنها ... عادت برغمك طعمة النيران
شبوا بها النيران حين تأججت ... بمجامر الأحقاد والأضغان
يا ليت شعري والمصائب جَمَّة ... بِعَدَاوة الإنسانِ للإنسان
ماذا رأى الإسبان حين تناهبوا ... مُهج الشيوخ وأنفس الصبيان

أبقية العرب الكرام ألية ... بعلي نزار بمجدك العدناني
لنجددنَّ لك الحياة شريفة ... بحماية الأقلام والخرصان
برعاية العلم الحديثِ فإنَّه ... لك أو لنا يبني أعز كيان
يا علم عدنا للنهوض فعد لنا ... «يا علم أنت محرر الأوطان»
يا علم إنا سائرون إلى العلى ... «فانشر لواك لنا على الشبان»

(٧) نجوى الشمس

لك يا شمس دولة في الفضاءِ ... يصل الأرضَ حكمُها بالسماءِ
فوق سطح الغبراء مجدك عالٍ ... وهْو أعلى في القبة الزرقاء
تبعتك الكرات فاجتذبيها ... تحتَ تيار قوة الكهرباء
أنت ألفتها فكانت كشعب ... يطلب المجد عن طريق الإخاء
فتوسطتها كأنك ملك ... حفَّ فيه جمع من الكبراء
في فم الجوِّ من سناك لسان ... لا تباريه ألسن الخطباء
كم وكم آية له بهرتنا ... في بيان الطبيعة الخرساء
طفح النور من جبينك لكن ... صقَّلته لنا مجاري الهواء
فابعثي في عقولنا كل نور ... ولِّدي يا ذكا كل ذَكاء
إنَّ فعل القوى ليعلو ظهورًا ... بك مهما تبرقعت بالخفاء
لست إلا كما روى العلم نارًا ... هددتها الأيام بالإنطفاء

شمس بعد شمس

إن تلاشت بك القوى لفناء ... فستجري بطبعها للبقاء
فإذا ما تجزَّأت في فضاها ... وتولت منثورة كالهباء
فستستأنف اضطرامًا جديدًا ... تبتديه من موضع الإنهاء
ثم ترقى بسلم النشء مهما ... ساعدتْها عوامل الإرتقاء
وعلى ذاك فهْي تنشأ شمسًا ... تتجلَّى بمثل هذا الضياء

مثال الأموات في الأحياء

وكذاك الإنسان يبلى ويحيا فمثال الأموات في الأحياء
وقوى كل أمَّة هلكت قبـ ـلُ بأحشاء هذه الغبراء
حللتها وركبتها من اليو م فروح الآباء في الأبناء
إنَّما هذه البسيطة قبر ضم بين الراقين والبسطاء
غيَّرتهُ يد التطوُّر حتى صار مهدًا للبله والنُّبغاء
فبنا الأرض مثلت كل جيل كان فيها مفرق الأشلاء
مثلما تنقض البناء وبالأنـ ـقاض منهُ تعيد نفس البناء
أو كحب الحصيد ينبت زرعًا إنْ تَرَبَّى ما بين ترب وماء
كل ما في أسلافنا فهْو فينا من خيالٍ أو حكمة أو دهاء
من نشاط أو قُدرة أو خمول أو نبوغ أو غدرة أو وفاء
إنَّ جرثومة الحياة لتنمو ببنيها في الأخذ والإعطاء
أنعشتها لنا كما أصلحتها صلة الأبعدين بالقرباء
فارتقت سنة الحياة وفزنا بصلاح الآراء والأعضاء

النور والظلماء

ونعم إننا خطونا إلى النو ر فملنا تيهًا إلى الظلماء
وسعينا وقد تأصل فينا طلب العلم وارتياد الفناء
فأضاءت عقولنا ثم درت ديم الرزق من سماء الرخاء
وانصرفنا إلى النَّعيم ولكن من شقاء مصيرنا لشقاء
نطلب العلم كي ننظم فيه أو لتُحمى مَصالح الأقوياء
نبتغي المال كي نعذب فيه لا لنبقى براحة وهناء
ما فتحنا معاهد العلم إلا وخططنا مصارع الشهداء

الابتكار والنار

أيُّها الساسة الأعاظم ميلوا ... عن طريق الخيال والخيلاء
ليس في الكون من يسود عليه ... وعلى ذاك جملة الآراء
أنصفونا منكم ومن سلطة النا ... ر فقد جار حكمها في الفضاء
خلصوا الأرض من معارف قوم ... عرضوها بأسرها للعفاء
انظروها فكم جرت من دموع ... بثراها ممزوجة بدماء
فاعصموها ونزهوا العلم مما ... أوجبته مقاصد الزعماء
نشطوا النَّار في المصانع حتى ... أكلتهم بساحة الهيجاء
سلطوها على العدو فقال الـ ... ـحق يا قوم كلكم أعدائي
فامنعوا الإبتكار فيها وإلا ... ما لنوع الإنسان غير الفناء
ما لمستحدث الوسائط للقتـ ... ـل سوى قتله بها من جزاء
جربوا فعلها به وامحقوها ... فهْو أولى بها من الأبرياء
ذاك صلٌّ يستأصل الناس نهشًا ... ما لهم غير قتله من شفاء
جال في خاطري اليراع ولكن ... جاء يمشي به على استحياء
عنَّ لي واجبٌ فناديت فيه ... طوع رأيي ومن يلبي ندائي
أتمنى إحراز قصدي ولكن ... يغلبُ الظن أن يخيب رجائي
أين أين الروح السياسي مما ... تقتضيه مبادئ الحكماء
ربِّ من للضعيف رحماك يا ربِّ ... أعذنا من قسوة الرحماء
ليت شعري من أين يلتمس الصِّدْ ... ق وهذي صداقة الأمناء

يا غرب

لك يا غرب خطة رسمتها ... نزغات الغرور والكبرياء
آيستنا من كل ما نتمنى ... من هناء نروده أو صفاء
فتمهَّل فما يضيرك إلَّا ... ما نرى من تغطرس العظماء
فيك يا غرب علة الشرق عادت ... بانقسام الأغراض والأهواء
ولماذا سرى بك الداء لما ... شرع الشرق بانتجاع الدواء

كنت في مثل عجزه وسيبني مثل ما شدته من العلياء
قضت الحرب أن يهذب لكن بمساعي رجاله الخبراء
وسينهي تهذيبه بكفاح فيه يعطي شهادة الإنتهاء
فيدير استقلاله المطلق الحر بأيدي أبنائه القدراء
أيقظونا لغاية ثم قالوا راقبوهم فالقوم في إغفاء
ذهب الليل أسودًا فانتبهنا إذ أتى الصبح باليد البيضاء
فسيشقى شعب ويسعد شعب بانتقال السراء والضراء
قيل أين السلام قلتُ لهم ما ت وهاكم له شجيٌّ رثائي
رسمتهُ صحيفة الكون سطرًا فأزالته سلطة الرقباء
أتسير البلاد إلَّا لحرب بعد حرب مرت بها شعواء
سوف لا تترك الزوابع زهرًا في رُبوع الحديقة الغناء
وستروي منابت الزهرة الخضـ ـراء لكن بالدمعة الحمراء
طال ما غنَّت العنادل فيها وستملي الرثا بعيد الفناء

الحق والرئيس ولسن

قلت للحقِّ هل وجدت نصيرًا قال أعدايَ كلُّهم نصرائي
قلت قد شَدَّ ولسن لك أزرًا قال إني بليت بالضعفاء
قلت كان الرَّئيس ذاك خطيرًا قال لكن يدين للحلفاء
قُلت ماضٍ حسامه قال لكن هو لا شك حاضر الإمضاء
قلت هل شفى بقلبك جرحًا قال كلَّا فالجرح في أحشائي
قلت هلا حزنت يوم تولى قال منه ضحكي معًا وبكائي
قلتُ فادرأْ عنك الخصوم جدالًا قال أواه جلُّهم أصدقائي

(٨) بقدر ما نرتقي تعلو بنا الرتب

معاهدَ العلم إن ينهض بك العرب فسوفَ يزهر فيك الفضل والأدب
عرفتهم قبل أجيالٍ بما وُهِبوا من النُّهى ومن الجدوى بما وَهبوا

فاستبشري فلقد جاشت حَمِيَّتُهُم ... وصمموا أن يقوموا بالذي يجب
وأنت في رأيهم أقوى حصونهمُ ... وإنما الكتب فيك الفيلق اللجب
لذاك ألقَوْا لك الآمال وانتجعوا ... بك العلى وإلى أحضانك انقلبوا
كوني لإصلاحهم أو فخرهم سببًا ... فكل أمرٍ له في بدئه سبب
وقرِّبيهم إلى العلياء كافلة ... بدفع ما رهبوا أو نيل ما رغبوا
ونظمي شمل أهل الفضل واجتهدي ... في حفظ ما نظموا للشعب أو كتبوا
وأنزليهم من التقدير منزلة ... يرقى بها الأفضلان الشعر والخطب
فما يجدُّ أديب غير محترم ... كي لا يضاع بما لا ينفع التعب
أما أنا فبأعمالي وإن صغرت ... أنال بعض الذي تقضي به الإرب
بعزمة أنتضيها وهي مرهفة ... إمَّا تكسرت الأقلام والقضب
ومبدأ أنا ترب الحادثات به ... حتى تغيَّب وجهي دونه الترب
هي الفضيلة في بغداد بائسة ... مطروفة الطرف لا عزٌّ ولا نشب
لكنها إن رأت سعدًا يطالعها ... فمن سما المعهد العلمي يرتقب
هذي الحقائق والتأريخ أثبتها ... للباحثين وقد زِينَتْ بها الكتب
درستها وتحرَّيت الصواب بها ... فلم تحم حولَيَ الأوهام والريب
قد نبأتنيَ أن العلم غلَّبَنا ... أيام للشرق كان العز والغلب
فالجهل خدَّر أعصاب الشعوب لنا ... والعلم قال لنا يا مصلحون ثبوا
حتى رفعنا على الدنيا لنحكمها ... عرشًا عليه لواء العلم منتصب
هناك دولتنا جاءت مُحببة ... في الناس لا الخوف يحميها ولا الرهب
وغُذيت بلبان الفضل ناشئة ... لها الحضارة أمٌّ والسلام أب
تلك المبادئ شدت أزر نهضتنا ... لذاك باهت بها أمثالها الحقب
لم نعرف الحكم إلا في معارفنا ... فنحنُ للعلم قبل السيف ننتسب
ومذ أضاع حماة الضاد حكمتهم ... بجهلهم قبل أسياف العدى ضربوا
وعاد للغرب جد الشرق منتقلًا ... وصار للشرق منه اللهو واللعب
وأزهرت في سماءِ الغرب شمس نهى ... كانت وراء ظلام الجهل تحتجب
وجدَّ أبناؤه علمًا وتجربة ... فجددوه ونالوا كل ما طلبوا
وقدَّموه إلى أن صار يحكمنا ... فالرفق إن شاء أو فالويل والعطب
وليس ينزع إلا العلم من يده ... حقًّا لنا إن جهلنا فهو مغتصب

فنحن والحق بادٍ لا مراء به «بقدر ما نرتقي تعلو بنا الرتب»
لكننا نبتغي أن لا يهذبنا قوم سوانا وإن جدوا وإن دأبوا
فالغرب أصلحه أبناؤه وكذا سيُصلح الشرقَ أبناءٌ له نُجُب
فُديت بالمال، بالأرواح يا وطني ففيك فيك يصان المجد والحسب
هانت علينا دمانا في مبادئنا فهل يعز لدى تعزيزها الذهب
وكل ما قد بذلناه ونبذله لشعبنا في سبيل المجد محتسب
يا قوم إن لم تقم بالعلم دولتنا فالأمر منصدع والشعب منشعب
هيا لنأخذ أقصى ما نؤمله فليس يُجدي إذا ما أُعطي اللقب
لِتحْيِنا شعلة للفضل نقبسها إن الحياة بوجه الشمس تلتهب
لننهلنَّ كُئُوس العلم طافحة بريها فهناك السلسل العذب
ليشرق المعهد العلمي مفتتحًا مُرحبًا ببنيه صدره الرحب
لئن تجلَّى به وجه المليك لنا شمسًا فأحرارنا من حوله شهب
نعم هو الشمس لاحت ملء مطلعها وكلنا أنجمٌ للشمس تنجذب
فلْتحيَ أمتنا ولْيحيَ منقذها لأنَّه في رحى إصلاحها القطب

(٩) آه على وطني

آه على وطني قد لج في صبب وكان عهديَ فيه جد في صعد
كأنني كُلَّما أبغي الرقيَّ له أدعوه جهدك فيما أنت فيه زد
إني وإن يتهم أهلوه ناصحهم لمذودي عن غريب النُّصح لم أذد
يا عقدة الجهل في أرجاء بابل قد حيرت هاروتها النفاث في العقد
أكاد والجهل ملء الشرق مطرد أراه في غير أرضٍ غير مطرد

(١٠) الصمت والنصيحة

ومُتَّجر بالنُّصح ترَّب كفه فآب ولم يعقب تجارته ربح
رأى النصح لم يقبل فلازم صمته ليحفظ ممن ليس يحفظه النصح
دعا برجالٍ أن يهبوا إلى العلى ولكنهم من سكرة الهون لم يصحوا

أراد ليأسو من حشى الشعب جرحه وكيف التداوي والحشى كله جرح
تحاربه في الرأي كل بلاده فبينهما لم ينعقد أبدًا صلح

(١١) مقر التاج

هبي إلى المجد يا بغداد ناهضة ولـيـتَّـبـع خـطـط الآبـاء أبـنـاكِ
وأنت أنت إذا ما زاغ منقلب فواصلي لسرير المجد مسراك
لا صوت يعلو على صوتٍ تصاعَد من صميم قلبك أو أعماق أحشاك
لا أوترت بك قوس الاختلاف يد فإنَّ سهم هلاكٍ عنه أصماك
غداة أعملَ فيك البغيُ شفرتَه وما الحضارة إلا بعض قتلاك
فهدَّ للعدل صرحًا فيك ثم بنى للجود صرحًا على أجساد صرعاك
عودي بتاج بني العباس منتظمًا فلا مقر لذاك التاج إلاك

(١٢) مؤتمر باريز

للبرق فينا يد بيضاء نشكرها يروق في الكون منها العين والأثر
سيقت إلى الناس أنباء الحياة به فصار يحمد منه الورد والصدر
ترن إن حركت أسلاحه ولقد يفدى لرناتها إن حرك الوتر
فقد روت أن في باريس مؤتمرًا السلم منه لكل الأرض منتظَر
تباشرت طربًا فيه الشعوب كمن بشَّرته بحياة وهو محتضَر
نادٍ تضم إليه الأرض ساستها كي لا يحيق بها من بعده خطر
وكل ما نتمناه ونطلبه أن لا يغير يومًا صفوه الكدر

(١٣) حوض أم سراب

تمنيت أن يمتد ذكريَ في الملا وها أنا مذكور بكل لسان
وقد عدت أرجو أن أضاعف سؤددي لذاك عدتني فترة المتواني
ولو لم أذق من حوض مجديَ نهلة لما خلته إلا سراب أمان

سأسعى وراء العلم مُلتمسًا له لأحرس فيه ما حييت كياني
خشيت العدى يا علم حقًّا ولم أكن لآخذ إلا منك نص أمان

(١٤) العقل

ما العقل إلا كتاب في الشرق والغرب يسطر
لم ينظر الغرب فيه حتى وعى فتدبر
وما بنا الشرق عنه حتى انثنى فتدهور
فالنقص في حيث يُطوى والفضل في حيث يُنشر

(١٥) بين الشرقي والغربي

تطول يدُ الشرقي عند نهوضه إذا مر دور الجد وهو قصير
ولا ينكر الغربي أن رقيه يروق إذا مرت عليه عصور
وما نبغت في الشرق كالعرب أمة فليس لها في من رأيت نظير
فيا وطني شمر إلى الجد ناهضًا فأنت على ما قد أردت قدير
ولا بد من أن تستقل وترتقي وإن دب في الأعصار منك فتور

(١٦) الانشقاق

أنا لا أرى أن المصا لح تقتضي دعة البشر
فالإنشقاق محكم فيهم كما روت العبر
فالشرق لو حفظ الوفا ق عدته عادية الغير
والغرب لو نبذ التنا زع لم يهددهُ خطر

(١٧) ضيعة الوجدان

أبت الحياة فحاربت أوطانها ... فئة تهدد بالخطوب كيانها
ورأت بأن الغرب ملك أمرها ... فتطامنت تلقي إليه عنانها
ماذا الذي باعت به أخلاقها ... ولحفظ ماذا ضيعت وجدانها
ألدرهم وأمامها الوطن الذي ... في الصدق يغنيها ويرفع شأنها
ليس المُحارب للبلاد عدوها ... لكن من قد أنجبته فخانها

(١٨) الدمع والابتسام

همت بلبنايَ فيا ناصحي ... إن زدت نُصحي زدت فيها هيام
دعنيَ إني لا أخون الهوى ... والدمع أولى بي من الإبتسام

(١٩) حكم الجمال

حكمت يا لبنايَ في مهجتي ... فقلت ما أجمل حكم الجمال
إن لم أمت فيك شهيد الهوى ... فليتني لا نلت منك الوصال

(٢٠) هي عنوان نزعة مضرية

كلماتي كمبدئي جوهريه ... محكمات غاياتها حكميه
وسمتها الأقلام بالنور لما ... أفرغت في قوالب ذهبيه
لقبوها بالبابلية لكن ... هي عنوان نزعة مضريه
لم أناطح بها المشانق إلا ... دون مجد الجنسية العربيه
علمتني بها الصراحة أني ... أتحرى الحرية الأدبيه
ولعلي أحيا بموتة حر ... عوذت فيه روحه الوطنيه
إن تسلحت في شعوري وشعري ... فدفاعي عن حوزة الحريه

(٢١) قالت سعاد

قالت سعاد وقد شكوت لها الهوى ... مما بروحي برحت آلامي
أمن الخصور قد انْتحلت نُحُولها ... ومن الجفون سرقت كل سقامي

(٢٢) أيها الحبيب

حبيبيَ قد ملكت رقي فرق لي ... فما الصبر عندي يا جميل جميل
أحبك فارفق بي أحبك فارعني ... أحبك لكن ما إليك سبيل

(٢٣) لوعتي والصبر

ولقد صبرت وفي فؤادي لوعة ... تطوي على جذواتها أضلاعي
لا يقضينَّ الصبر قبلي نحْبه ... كي لا أعيش فأشتكي أوجاعي

(٢٤) خذ قبلة

قالت وقد أكثرت عتبي لها ... لغلطة في الهجر أو زله
أنعقد الصلح؟ فقلت اعقدي ... صلحًا فقالت لي: خذ قبله

(٢٥) خذها ولا تخف

قال خذ ما ترومه ... فعذولي قد انصرف
قلت جد لي بقبلةٍ ... قال خذها ولا تخف

(٢٦) رنات الأنين

نزفتِ سقيط دمعك يا جفوني ... على نغمات رنات الأنين
أروم على الصبابة لي معينًا ... وما لأخ الصبابة من معين
وها أنا قد خفظتهمُ ولكن ... كما ضيعت قلبي ضيعوني

فكم لي من دموعٍ راقصات إذا شَدَتِ السواجعُ في الغصون
وفي سهري تُشاركني الدراري كأن النجم أرَّقه حنيني
وكم تحت الدجى أسهرت عيني لحور قاصرات الطرف عِين
ولست على احتمال الهجر أقوى فرفقًا يا ضعيفات الجفون

(٢٧) قيامة الهوى

أمقيمًا قيامتي بهواه هاك قلبي فليصلَ فيها سعيرا
وإلى نار وجنتيك مصيري غير أن لا أقول ساءت مصيرا

(٢٨) الجمال والدلال

لك يا قاتلي لحاظ غزال بعثت فيَّ نزعة غزليه
لم تحرك عواطف الحب إلا هيجتني فحركت لي رويه
أسكرتني شمائل لك رقت هي والله خمرة بابليه
آه كم قد سحرتني بحديث صورت فيه روحك الأدبيه
فتبسم مع الحديث بثغر أشبهته ألفاظك اللؤلئيه
أقرأتْني بك الطبيعة شعرًا رسمته أقلامها المعنويه
من جمالٍ إلى دلالٍ بغنج في حياءٍ بعفةٍ مريميه

(٢٩) نعمة البلبل

أطربني البُلبل لمَّا شدا فرقص القلب بألحانه
يكفيك من نغمته أنَّها أسلمتِ الصَّب لأشجانه

(٣٠) يا رشا

سلسال ثَغرك يا رشا لم يُرْوَ منه العاشقونا
وبريقك المعسول فلـ ـيتنافس المتنافسونا

(٣١) العيون النجل

العيون النجل أوحت لـيَ آيـات الـغـرام
فروى شعري عن الدمْـ ـع حديث الإنسجام

باقر الشبيبي

اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

الصحف

صوت الشعوب وصيتها الصحفُ ... تجري بهم للمَجْدِ إن وقفوا
ماذا أقول وكيف أذكرها ... وبأي وصفٍ مثلها أصفُ
إن قلتُ داعية العلى فلها ... ولأهلها العلياء والشرفُ
الناطقات ونطقها حِكمُ ... والحاكمات وحكمها النصف
والعادلات فلا يلم بها ... كلا ولا برجالها الجنف
والمنزلات على الأُلى ظلموا ... رجزًا بما ظلموا وما اعتسفوا
فهي اللواتي أينما ثقفت ... تأتي عليهم أينما ثقفوا
عكفت تندد بالذي فعلوا ... وهم على مرضاتها عكفوا
من كل سائرة مغلفة ... كالدر أطلع وجهه الصدف
لا البَحْرُ يمنع أن تخب به ... سيرًا ولا المتباعد القذف
منهن نور الفضل «مقتبس» ... وبهن نور «العلم» «مقتطف»
المورقات فكل زاهرة ... في مجتلاها روضة أُنُف
بيضاء ما وشيت بأسودها ... إلا تلاقى الصبح والسدف
فإذا ترى لونيهما اختلفا ... فالنَّاس من أجليها ائتلفوا
عرفوا الحقوق وكل عارفة ... فيها ولولاها لما عرفوا

ولمنكري آياتها كشفت عن حجةٍ كالصبح فاعترفوا
كم سددت بالحق أسهمها لكن قلب الباطل الهدف
الداعيات لكل سالفة غراء أبقاها لنا السلف
أخلاق علامين إن وعدوا لم يخلفوا حاشاهم الخلف
قوم إذا ما الضَّيمُ أوترهم نهضوا له بالعزم فانتصفوا
لا يتلف المعروف بينهم هيهات بل يحمى ولو تلفوا
لا يأسفون على فنائهمُ فيه وحق عليهم الأسف
لهمُ إلى العلياء متجه وبهم عن الفحشاء منصرف
لم يتبعوا بالحلف قولهم فإذا دعوا فالصدق إن حلفوا
ترفت ضمائرهم فما بطروا فيها ولا أغواهم الترف
كم مفخر أبدَوْه مُخترعًا لله ما اخترعوا وما اكتشفوا

آلام الاجتماع

يا شقاء الكون في أوضاعه واعتلال النوع في المجتمع
أين من يشفيه من أوجاعه إنها تعيي الطبيب الألمعي

* * *

فتكت في جسمه أسواؤه فتكة ساءت وقد ساء المزاج
فغدت مزمنة أدواؤه واستمرت فيه حالات الهياج
كم تراءت قبل في أطباعه سمة في غيره لم تطبع
فأراعته قوى رواعه وأرته عرضة للصرع

* * *

ليت هذا الجيل لما يخلقِ باديًا بالسوء من أخلاقه
إنه جيل جنون مطبق ولكم دل على إطباقه
أثر الخبط وبادي القلق في مناحِيه وفي آفاقِه
ومتى نسعى إلى إرجاعه لمعاليه بحسن المرجع
ونُماشيه إلى استرجاعه شكله الراقي بنظم مبدع

* * *

أيُّها الإنسان في أكنافه أين أنصارك من بين الملا
هتفوا باسمك في إسعافه خدعة منهم فضلوا السبلا
إنَّما يسعى إلى إتلافه أدعياء الاشتراك الجهلا
ولقد بالغن في إيجاعه ألسن هيجن شجو الموجع
ضل من ينصف لاستسماعه كلمًا ينبو بكل مسمع

* * *

أسقط النَّوع خصام الدول أوَما تنظره بادي السقوط
أترى نجم هُداه يعتلي أم تراه سائرًا نحو الهبوط
قد أنيط الحكم بالمُستقبل فنرى إما رجاء أو قنوط
ومتى عاد إلى إشعاعه نجم علياه فقم وانتجع
وإذا ما زاد في استلماعه فلذيذ العيش للمخترع

* * *

يا دُعاة السلم في قصر السلام أين مسعاكم إلى تأييده
أنتجت أتعابكم هذا الخصام أفلا نقوى على تبديده
فهلموا اسعوا إلى رَدِّ النظام واعملوا حقًّا على توطيده
وأذيعوا لدى أشياعه كم له بين الورى من شيع
وإذا فتشت عن أتباعه لم تجد أنت سوى متبع

* * *

قسمًا لولا احتدام الأُمم لرقى الإنسان أعلى مرتقى
ولسارت للعُلى عن أمم خببًا أو رملًا أو عنقا
ولظل النسل في أنواعه طالعًا في الأفق أعلى مطلع
قائلًا للشهب في إيضاعه أيها الشهب أغربي لا تطلعي

* * *

اتئد ويحك يا ظَلَّامه فإلى كم أنت ذا تظلمه
لا تزد إن لم تزل آلامه فكفى هذا الذي يؤلمه

وانتزع من جسمه أسقامه رحمة منك أما ترحمه
وترفَّق أنت في إفزاعه فلقد ترحته بالفزع
حسبك الهيكل من أضلاعه ناتئًا يُشبه ناتي أضلعي

* * *

أترى سير التعدي يقفُ أم تراه مُستمرًّا في السرى
ما لنا إمَّا قوينا نضعف فكأنَّ النوع يمشي القهقرى
كُلَّما قلنا تناهى الجنف وانطوت ذكراه فينا نشرا
ولها الإنسان عن إبداعه وتفانى باختلاق البدع
وإذا ما شط عن إنفاعه عاد لم ينفع ولم ينتفع

دواء الربيع

نفض الربيع جماله ونضارَهُ وكسى الأديمُ المكفهر بهارَهُ
وشَّى مطارفه الحيا مُتهللًا فيه وطرَّز بالزهور إطاره
النَّهر مُطَّرِدُ المياه تدفقت في ضفتيه ولاعبت زخاره
والطل تسقط في الرِّياض دُموعه والغيثُ يُرسل هطلًا أمطاره
والصُّبح أطلع للعيون شموسه بيضاء تلمع والدجى أقماره
هذا الربيع فما أُحَيْلى ليله للساهرين وما ألذ نهاره
يعطيك أبدع ما يروقك نوره ويريك أجمل ما ترى نواره
صنعت يداه من الورود حدائقًا غنَّاء فوق نَورها وأناره
الشعر ما نثر النَّسيم وروده في الرَّوض أو نظم الحيا أزهاره
والوحي ما نفح الشذى مُتعبقًا أو ما شممت ندية أعطاره
والسحر ما نفض الأصيل شعاعه أو ما أذاب على الشطوط نضاره
واللطف ما ملأ الحيا أحواضه أو ما أسال على الرُّبى أنهاره
والحسن ما لبس الأديمُ ملاءةً خضراء أو خلع الربيع عذاره
إني أحب من الربيع شميمه وأُحِبُّ فيه خزامه وعراره
وأُحِبُّ نضرته، أحب دواءه وأحب خفته أحب وقاره
وأحب وكَّاف السحاب إذا بكى في الرِّيف أضحك دمعه أشجاره

والشمس تجنح للمغيب أحبها ... والبَدْرُ يُرسل في الدجى أقماره
وأحب من هذا النهار أصليه ... وأُحب من ذاك الدجى أسحاره
والبحر إن ركد النسيم سكونه ... وأحب من حركاته تياره
كل الطيور الصادحات أحبها ... وأحب من صدَّاحها أطياره
أحببت بلبله المتيم حائمًا ... وعشقت وهْو على الأراك هزاره
أثرت بنضرته الشعاب فهل ترى ... أحدًا يقدر في الثرى آثاره

* * *

بُشرى الربيع المستقل فإنه ... قد فك من شرك الشتاء أساره
حر تبسم للعراق بوجهه ... كي يستفز ببشره أحراره
حملت عواصفه رسالة ثائر ... للمعرقين فهيجت ثواره
شتان بينهما فذا مستسلم ... للحادثات وذاك أدرك ثاره
هيهات ينتفض العراق من الكرى ... حتى يهز بكفه بتَّاره
ليت العراق وقد تطور أهله ... يقضي ولو تحت الخفا أطواره
سر النجاح إذا أراد نجاحه ... أن لا يُبيح لغيره أسراره

أغرودة مستلذة

حمامة هذا الغصن بالله رجعي ... فقد سكنت نفسي إليك ومسمعي
خذيني إلى الدوح الذي تعتلينه ... وإلا فخير العيش أن تنزلي معي
خذيني إلى الوكر الذي تألفينه ... فثَمَّ كرى عيني وثَمَّةَ مضجعي
خذيني إلى الجَوِّ البعيد لعلني ... أجاور موجات الأثير المشعشع
حمامة هذا الدوح في الدوح مهجتي ... وفي المشرف العالي فؤادي وأضلعي
تربعت ذاك الأيك عرشًا فليته ... أريكتيَ العلياء أو متربعي
دعيني فلي تحت الغصون مناحة ... ولي فوقها تغريدة المتفجع
كلانا مُحب مستهام مودع ... حبيبًا فيا وجد المحب المودع
تعلمت منك الشعر والشعر نغمة ... تحرك أوتار الفؤاد المقطع
تعلمته أغرودة مُستلذة ... تُذاب بأنفاسي وتجري بأدمعي

* * *

تطلعت من كوات كوخيَ مشرفًا على النَّاس أرعاهم بعين تطلُّعي
فما وقعت عيني على متشرع بلى وقفت نفسي على متسرع
لديَّ من الدنيا عظات تريبني وتزهدني في صحبة المتورع
فأنكرت سلسال الفرات فهل جرى بسم كما شاءت يد الدهر منقع
وأصبحت في أوطان قومي مروعًا كأنيَ في غاب من الأرض مسبع
تناسيت واديَّ الذي هو منبتي وأنكرتُ من عين الحمية متبعي
وأضحى ذراعي لا يُقاوم إصبعًا وكم من ذراع كان من دون إصبعي
ولو كان في إمكان نفسي نزوعها لزايلت قومي في العراق وموضعي

هي النفس

هي النفس هذِّبها بما تستطيعه فليس سِوَاها بين جنبيك من نفس
وصبح بها الأخلاق فهي غنائم فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي
وجدد من الذكر الجميل مراسمًا لنفسك واترك داثر الشرف المنسي
فإنك حي ما نسبت لها الإبا وإنك ميت ما انتسبت إلى الرمس
يغالي الفتى من سوقه المجد غاليًا ويرخص من باع الحمية بالبخس
وأنت ابن هذا اليوم فاعمل لوقته فلم تملك الآتي ولم تغنِ بالأمس
وليس يُفيد الدرس ما لم تضف له خلائق تغني عن مطالعة الدرس
وخذ بعيان الأمر لا بخياله فشتان ما بين التصور والحس
قل الفصل تملك سره الفضل منزلًا وتمتاز في فصل الخطاب على الجنس
كأن حياة الخلق في الأرض بقعة تخالفن نبتًا والفضيلة للغرس
تُروِّحني الأخلاق ألقى نسيمها كأن به روحًا يهب من القدس
أبَنْتُكُم يا خاملين وإنما «يبين هباء الذر في ألق الشمس»
فلا قلمي باكٍ برسم صنيعكم ولا ضاحك في نعت أخلاقكم طرسي
كم اعتضت عنكم ناطقين خواطئًا بما جاء مَنسوبًا لأقلاميَ الخرس
فوائد قس فيها الكواكب أو فقل فصول خطاب لابن ساعدة قس
وما أنست نفسي بلهوٍ وإنما رقيُّك يا أرض العراق به أنسي
لألبست أقطار البلاد معارفًا فهل حسنٌ أني لك الفضل أستكسي
سأفديك في أغلى من المال غيرة إذا باعك الأغيار في ثمن بخس

المدارس في العراق

عِقمتْ أن تجيئنا بنتاجِ حجرات تجيد درس الأحاجي
شرب الغرب ماءهن نَميرًا وشربنا من ماء ملح أجاج
كم على سُوقها ازدحام نفوس كازدحام الفراش حول السراج
صيرت سوقها العلومُ عكاظًا حين قامت قيامة للرواج
فتحت للرقي مرتج ملك وأتتهم بما به من خراج
نشأت فتية الفضائل فيها إن لسلم ترى وإن لهياج
تخرج الطفل حائزًا للمعالي حسن الإتفاق والإزدواج
كل من يدخل المدارس عامًا يلقَ فيها محجة الإبتهاج
هي برج من المعارف أرسى أسه فوق شامخ الأبراج

* * *

كل يوم أمسي وأصبح فيما يصدع القلب كانصداع الزجاج
حال ما بيننا الزَّمان كأنْ قد سد ما بيننا رتاجة ساج
صَحَّ جسم العلى وعاد سقيمًا تشتكي روحه اعتلال المزاج
قد فقدنا لنبضه حركات وعذرنا طبيبه بالعلاج

* * *

كم عرضنا مُقَدِّمات الأماني نحو قومٍ فلم نفز بنتاج
وطوينا أرض العراق ونجْد وقطعنا فلاة تلك الفجاج
ما رأينا للعلم قبضة كف بسطت فيهما بساط ابتهاج
أزمات الحروب قد أثقلتنا فعساها تجيئنا بانفراج

محمد حسن أبو المحاسن

محمد حسن أبو المحاسن.

أبو المحاسن — كما وصفته في غير هذا المكان: شيخ كثير الحسنات في الأدب والوطنية، له غرام خاص بالنظم، وقد أبدع في قصائد لا تُحصى ضمَّنها عواطفه الوطنية

وغيرته القومية، يستعيد بها ذكر المجد العربي السالف، ويبشر قومه بعودة ذلك المجد إليهم، مهيبًا بهم إلى شَدِّ العزائم والنهوض إلى العلى.

ومع أن الشيخ محمد حسن يعيش في كربلاء المشرفة منعزلًا عن عالم الأدب والصحافة، فله منزلته العلية بين الأدباء المعدودين في ديار العراق.

وهو محمد الحسن ابن المرحوم الشيخ حمادي آل محسن، و«آل محسن» أسرته ورهطه يسكنون قرية «جناجة» على مسافة ثلاث ساعات شرقي كربلاء المشرفة، وهم بطن من «آل علي» قبيلة كبيرة تسكن الشامية، ومنهم فريقٌ في الحجاز ينتمون إلى مالك الأشتر النخعي، وجناجة هذه موطن عدد عديد من كبار العلماء والشعراء والفضلاء.

وُلد المترجم في كربلاء المشرفة سنة ١٢٩٣ هجرية، نشأ في مسقط رأسه ثم طلب العلم وجدَّ حتى وعى الكثير من آداب العربية وفنونها من معانٍ وبيانٍ ومنطق، ودرس الأصول والفقه والتفسير وأدب اللغة والتاريخ والجغرافية وتضلع في كثيرٍ من هذه العلوم، ووقف وقوفًا تامًّا على اللغة وفوائدها ودقائقها بالحفظ والضبط.

يمتاز شعر أبي المحاسن بالجودة والانسجام والرقة مع الجزالة، يجيد في كل باب، ويتفنن في الأساليب تفنُّن أديب عارف، نمطه في نظمه أقرب إلى العصري، وبالجُملة تجد فكرته تُمثل صورًا من الإحسان والإبداع تختلف أسلوبًا وتأتلف حُسنًا.

ومما كاد أن يَتَفَرَّد به بين نظرائه من أهل هذه الصناعة في بيئته أنه يصون مُخدرات أفكاره فلا يبتذلها لغير أهلها، ولا يُهديها إلا إلى كل سيد أبي، وغطريف حر، وجل شعره نظمه لصالح الأمة، فلم يمدح يومًا رجلًا لم يصب الأمة من عمله نفع أو من جهوده سعي، ولا تغنَّى إلا بفضل دعاة «الوحدة القومية»، فغايته القصوى التي يتوخاها في تفكيره وكتابته ونظمه إنما هي خدمة العرب والإسلام، تلك هي الخاصيَّة التي امتاز بها، والسنَّة التي مشى عليها.

ويغلب على نظمه التجنيس والاشتقاق وسائر أنواع البديع، يكسو كل ذلك ثوب من الفَصَاحة، ومطرف من البلاغة يجعل لشعره روعة.

وقد عرف بالبداهة والذَّكاء وسرعة الخاطر، يحدثك بما يعجب، وينظم ما يطرب من غير ما تعسُّف أو تكلف.

وله رغبة في الشِّعر الفارسي ومُفرداته، فإذا أنشده جليسه بيتًا نادر المعنى نظمه بسرعة وأنشده الجليس، وكثيرًا ما تجري له مناظرة فيُقال له ليس للعرب مثل هذا فيأتي على الفور بمثله كأنه استحضره، في حين أنه أنشأه على البديهة. وقد جرى له نَادِرَة من هذا القبيل مع المرحوم الحاج عبد المهدي آل حافظ مبعوث كربلاء، يوم أنشده بيتًا تركيًّا في رثاء أحد السلاطينِ العثمانيينَ بعد أن بالغ في وصف معناه، وأنه لم يسبق إليه، فأجابه صاحب الترجمة أن هذا منظوم بالعربية فقال: ومن الناظم؟ أجاب لا أعلم، ولكني أحفظه له من سنين، قال: أورده سريعًا. وألحَّ عليه في الطلب بدون إمهال خشية أن يكون له مجال للتفكير والنظم، فقال:

لقد كنت شمس العصر والعصر شمسه　　مديدة ظلٍّ والبقاء قصير

فخجل مناظره، فلما رآه الشيخ حسن على تلك الحالة قال له: لا تتأثر يا حضرة الحاج فالمعنى كما قلت مبتكر لم يسبق إليه الشاعر التركي، وقد نظمته الساعة.

أما أخلاقه وصنعاته فقد عرفه من عرفه حق المعرفة بأنه: شريف النفس، سامي الهمة، يحلي أخلاقه الاتضاع وتزينها الدماثة، مع الشمم والإباء، واشتُهر بالصدق والوفاء والثبات على المبادئ القديمة مهما كلفه الأمر، فقد خاطر بنفسه غير مرة، فلم يَحْنِ هامته، وله في الثورة التي حدثت سنة ١٩٢٠م يد محمودة، وكان المرحوم آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي طاب ثراه، يثني عليه ويثق به، وقد تعين في تلك الثورة مندوبًا عن كربلاء المشرفة، ثم عينه الميراز قدس سره رئيسًا للمجلس الملي والحكومة المؤقتة في كربلاء يومذاك فدبر أحسن تدبير وظهرت مقدرته.

يُعيد تاريخ العلى نفسه

يا أيُّها الوطن العزيز لك الهنا　　قد نلت أشرف بغيةٍ ومرادِ
سيُعيد تاريخ العلى لك نفسه　　ويعود مجدُ رِجَالك الأمجاد
آساد غابٍ ليس يُنْكَر بأسهم　　وبَنوك نسل أولئك الآساد
أبناء يعرب يطلبون تراثهم　　إنَّ البنين أحق بالأجداد

لا يقنعون من الفخار بتالد ... ما لم يُضيفوا طارفًا لتلاد
يا ناطقًا بالضَّاد ما لفضيلة ... معنًى يتمُّ لغير أهل الضاد
فافخر فإنَّك من سُلَالَةِ مَعْشَرٍ ... من طِيب ذكرهم يضوع النادي
أوَليس عصر النور من آثارهم ... قبست لوامع نوره الوقاد
والعلم من ثمرات غرسهم الذي ... عمَّ الورى بفواضلٍ وأيادِ
والعدل والإحسان من حسناتهم ... وهي التي جلَّت عن التعداد
وعلى مباديئنا الحضارة أسست ... أيام ليست غيرهن مبادي
من عنصر الدين الحنيف إذا انتمَوْا ... للدين كانوا أشرف الأولاد

* * *

عرب تحنُّ إلى الفخار سيوفها ... وتصد إعراضًا عن الإغماد
هم عودوها أن تسل فلم تمل ... عن عادة التجريد للإغماد
من أُسرة لهم الأسرَّة والذرى ... من عهد تبع في الزمان وعاد
لهم السيوف ومثلهن مقاول ... لم ينتضوا منهن غير حداد
سكانها فوق المغافر لقنت ... منهم فصاحتهم على الأعواد
تحوي المنابر منهمُ بظهورها ... فرسان روع في ظهور جياد
الصائنين عن الدنيَّة عرضهم ... والباذلين النفس بذل الزاد
إن شئت تعرف نكتة من جودهم ... فانظر إلى تيار سيل الوادي
أو شئت تعلم ما يُوازن في الحجا ... أحلامهم فانظر إلى الأطواد
كَرُمت خلائقهم وتعرف منهم ... كرم الخلائق ساعة الميلاد
والعز ينزل منهمُ مُتبوِّئًا ... بيتًا أشم على أشم عماد
علِّلْ بذكرهم الفؤاد فإنه ... ظامٍ وذكرهم الروا لفؤادي

* * *

قَومي الذين عرفتهم وبمجدهم ... تم اعتراف مُصادق ومُعادي
أبلوا شباب الدهر ثم نبا بهم ... وعدت عليهم للزمان عوادي
غِير الليالي لم تغير منهمُ ... شيم الكرام الذادة الأنجاد
لم يرضخوا للضيم إلا ريثما ... ناداهمُ للعز خير منادي
لبيك يا داعي الرشاد شعارهم ... قدست من داعي هدًى ورشاد

أنت الذي أنعشت من أرواحنا ... أرماقها فنهضن بالأجساد
فمتى يؤلف وحدة عربية ... وطنية الإصدار والإيراد
ليس العراقُ بموطني هو وحده ... فبلاد قومي كلهن بلادي
ويسرني أني على ضعف القوى ... كنت القويَّ بموقفي وجهادي
قالوا أما من باذل أو مفتدٍ ... فبذلت نفسي حين عز الفادي

في السجن

أنا والنجم كلانا ساهر ... غير أني مفرد بالشجنِ
لا أبالي والمعالي غايتي ... وصل أشجاني وهجر الوسن
في سبيل المجد منا أنفُس ... رخصت وهي غوالي الثمن
ليس غير الشعب واستقلاله ... ليَ شغل فهو أضحى ديدني
نحنُ للعلياء والعليا لنا ... لو أقالتنا صروف الزمن
عُرف المعروف والعدل بنا ... ولنا تأسيس تلك السنن
من مواضينا سنا البرق ومن ... جود أيدينا انسجام المزن
مشرفيات دقاق رفعت ... راية العدل بفتح المدن
كسرت كسرى وردت قيصرًا ... قاصر الباع عديم الجنن
عرب شِيدت مباني عزهم ... في الذرى من شاهقات القنن
عظموا الجرم وقالوا حاكم ... وطني ثائر ذو لسنِ
هيج الشعب وأغراه بنا ... لم يغب عن مشهدٍ أو موطن
إن أكن أحسبُ فيكم مجرمًا ... فأنا المحسن عند الوطن
سيئات وضعتني عندكم ... حسنات عنده ترفعني

* * *

مقولي ماض وسيفي مثله ... وجناني ثابت لم يخن
سالمُ الأخلاق من منتقد ... في سرورٍ كنتُ أو في حزن

* * *

لست أشكو السجن بل أشكره ... فهْو بالإخوان قد عرَّفني

من رجال نقضوا ميثاقهم وجزوا بالسوء فعل الحسن
أظهروا ما أضمروا من حقدهم وبدت بغضاؤهم بالألسن
ويحهم ما نقموا من ناهض طيب السر كريم العلن
إن يذم اليوم قوم غرسنا فلنا من بعدُ حمد المجتني
ثورةٌ أصبح من آثارها حظوة الخائن والمفتتن
معشر في نعم قد أصبحوا من مساعي معشر في محن

* * *

أيُّها الساكن ظلًّا قالصًا لست للظل ولا الورد الهني
في طريق السيل تبني منزلًا هلك المسكين باني المسكن
إنما تسكن قصرًا شاده لك سيف الموثق المرتهن
تسحب الحلة والفضل لها لقتيل مدرج في كفن

الربيع الناضر

بوركت يا زمن الربيع الناضرِ ما أنت إلا بهجة للناظرِ
ما زُرت ربعًا شيقًا إلا وقد فرش المزور خدوده للزائر
أقبلت يا ملك البسيطة رافِلًا بمطارف الحسن السني الباهر
في راية خضراء صفت تحتها من كل زاهرة صفوف عساكر
ورجعت للأرض الموات حياتها وكسوتها برد الشباب الزاهر
فتضوعت أزهار كل خميلة تجزيك بالنعماء حمد الشاكر
نطق الحمام عن الرياض بشكرها فاسمع ثناءك من غناء الطائر
ورق دعت فوق الغصون سواجعًا فكأنها الخطباء فوق منابر
جاد السماء بها النجوم فأزهرت بنجوم أفق في السماء زواهر
ضحكت ثغور الأرض فهي بواسم مهما بكت عين السحاب الماطر
نثر اللآلئ قطره فتنظمت زهر الثرى تحكي عقود جواهر
فلك اليد البيضاء يا قطر النَّدى كم قد سمحت بلؤلؤ متناثر
خطر النَّسيم الغض يحملُ نفحة مسكية فيها ارتياح الخاطر
والشمس صاغت بالشعاع سبائكًا يجلُو النَّضار بها جميل مناظر

وجرى لجين الماء فيه فحليت ... أشجاره بمعاضدٍ وأساور
أهوى الرَّبيع لأنَّ فيه شمائلًا ... ممن أُحب فكن بذلك عاذري
طلق عليه بهجة ونضارة ... يسبي ويفتن بالمحيا السافر
عطر النسيم تحدثت أنفاسه ... في النشر عن أرج الحبيب العاطر
والنَّرجس المطلول يرنو طرفه ... فكأنه يرنو بطرف فاتر
ويرف فيه الأقحوان كأنه ... ثغر يلذ به الطلا لمعاقر
وإذا الشقيق تضرجت وجناته ... أضحت تضاهي خده بنظائر
وإذا الوميض نضا صوارمه اتقى ... منه الغدير بأدرعٍ ومغافر
ما سحر هاروت وفتنة بابل ... إن الغرائب للربيع الساحر
قالوا الطبيعة قلت قد خضع الحجى ... دون الطبيعة للمليك القادر
إن الذي رفع السماء هو الذي ... خلق البرية فاعتقد أو كابر

في مدح النبي ﷺ

حي المغانيَ بين البان والعلم ... ففي المغاني معاني الحسن والكرم
يهيج برح الصبا للمُستهام صَبًا ... في نشرها بشر قرب الركب من أضم
أراق بعدي لهم عيش فبعدهم ... أراق فيض دم من دمعيَ السجم
إن السهاد نفى جسمي ضنًا فغدا ... يحكي السهاد نفًا في حب بدرهم
أتملك العين من عين الظبا نظرًا ... ودونها الأُسد تسطو بالظبا الخذم
رِيمُ الصريم إذا رمت العقيق ففي ... عقيق دمعي غنًا عنه فلا ترم
في وجهك ابن أبي سلمى وبهجته ... وفي لواحظك الوسنى أبو هرم
ضل الفؤاد فظل الجسم حلف ضنى ... فالجسم في مرض والقلب في ضرم
إني أبحتُ دمي عمدًا فلا قوَد ... عليهم في الهوى إني أبحت دمي
رأيت جورهمُ عدلًا وهجرهمُ ... وصلًا وذليَ عزًّا في ودادهم
صبري وجسمي وطرفي والفؤاد أسًا ... واهٍ نحيل غزير الدمع في ألم
يفك كل أسير في بيوتهمُ ... إلا أسير جفون من ظبائهم
فليت شعري أوجْد أم لهيب غضًا ... ما أودعوه فؤادي يوم بينهم
يهيج لي عاذلي في ذكرهم طربًا ... فالعذل أحسن في سمعي من النغم

وصاحب لامني لما رأى كلفي ... لو ذقتَ طعم الهوى يا صاح لم تلم
يزيد طبع الفتى في الحب طيب شذًى ... كما تضوعت الأزهار بالنسم
مخضت رأيك واستجمت زبدته ... ولست عندي على رأيٍ بمتهم
فجئت بالنَّقض والإبرام مُنتقيًا ... من الحجى أفصح الألفاظ والكلم
وقد تبوأ مِنَّا واحدٌ رشدًا ... فكِلْ إذا شئت أمرينا إلى حكم
حاشا الهوى وهو علق أن تفوز به ... نفس العذول الغبي الساقط الهمم
إني رأيتُ كرام الناس في تعب ... وأنت من تعب العلياء في سلم
هم أسعروا مُهجتي نارًا فخضت لها ... في بحر عشق بموج العشق ملتطم
والحب أوَّله حلو وآخره ... مُرٌّ ولذته تفضي إلى ندم
لا والهوى وليالينا التي سلفت ... ما حلت عن عهدكم يا جيرة العلم
إن أبق بعدكمُ حيًّا فلا عجب ... بقيت لكن لطول الحزن والألم
إن أومض الخال من شرقي كاظمة ... حكاه دمعي بمنهلٍّ ومنسجم
قالوا الصبابة سقم لا شفاء له ... قلتُ الوصال شفًا من ذلك السقم
قالوا سلوت فقلتُ العيش بعدكمُ ... قالوا ألْفْتَ فقلت النجم في الظلم
كأن جسمي وقطر الدمع يغمره ... سلك يلوح بدرٍّ فيه منتظم
أغني بجوهر دمعي ناظريَّ على ... أني من الصبر في فقر وفي عدم
دعني أرق نسقًا دمعي فلا بدل ... منهم وإن منعوني نيل عطفهم
ورُبَّما شَبَّ في الأحشاء جمر غضًا ... جنح الدُّجى ذكرُ جيران بذي سلم
طالت ليالي النوى حزنًا كما قصرت ... من المسرة لي أيام وصلهم
فما لليل النوى صُبح يلوح وهل ... في الصُّبح لي راحة من لاعج الألم
كم صابرت همتي صرف الزمان ولم ... تضعف وصرف النوى أوْهى قُوى هممي
يا نفسُ جرعتِني مرَّ الغرام بهم ... حتى أريق بأسياف الجفون دمي
والصبر كان حميمًا لي فأسلمني ... غدرًا فكابدت أشجاني بغير حمي
يا قلب هل لك أن يمحو الضلال هدًى ... بمدح خير البرايا سيد الأمم
طه أبي القاسم الهادي البشير رسو ... ل الله صفوة عبد الله ذي الكرم
زاكي النجار كريم الطبع متصف ... بالجود والباس والعلياء والعظم
الباذخ الهمم ابن الباذخ الهمم ابـ ... ـن الباذخ الهمم ابن الباذخ الهمم
منزه الذات عن نقص يلم بها ... قد هذبت واصطفاها بارئ النسم

عظيم خلق به الخلق اهتدى رشدًا ... متمم كرم الأخلاق والشيم
سامي المعارج مهديِّ المناهج قضَّـ ... ـاء الحوائج غوث الناس في الأزم
ونور قدس حباه النور من شرف ... بالنور يهدي سبيل الرشد كل عمي
إن كان آنس موسى النار من بُعد ... فالمصطفى آنس الأنوار من أمم
إن كان أحيى المسيح الميت معجزة ... فذكر أحمد يحيي باليَ الرمم
الناطق الفصل في قول يُضمنه ... براعة البالغين الحكم والحكم
غيث المؤمل غوث المُستجير به ... هادي الأنام سبيل الواضح اللقم
فاق البرية في خَلْق وفي خُلُقٍ ... وعمهم كرمًا بالنائل العمم
فجوده البحر في أسداد عارفةً ... وعلمه البحر يُلقي جوهر الكلم
سقى رياض الأماني جود راحته ... سحًّا فأزهرن بالآلاء والنعم
ومثله فليرجِّي المرتجون وهل ... يرجى مثيلٌ لذاك المفرد العلم
مسترشد راشد مستنجد نجد ... مسترفد رافد مستمجد شهم
محمد المصطفى أصفاه خالقه ... بالحمد في أشرف الآيات والكلم
رسول صدق عن الإرشاد لم يرم ... يومًا وغير رضا باريه لم يرم
لو كان في الرُّسْل مَن في الفضل يشركه ... ما خصَّه الله بالمعراج والعظم
فآدمٌ قد حوى فضل السجود به ... ونال عفوًا به عن زلة القدم
وفيه قد رجعت نار الخليل له ... بردًا فنال رغيد العيش في الضرم
سمح يحقق آمال النفوس فما ... يخيب راجيه من لطف ومن كرم
فللجُناة لديه عفو مقتدر ... وللعُفاة لديه جود مبتسم
أسماؤه وصفت أفعاله فغدت ... من الجلالة تتلو أحرف القسم
هو المؤمَّل في الدنيا المشفَّع في الـ ... أُخرى فلُذْ وتمسَّك فيه واعتصم
عزت به العرب وانقاد الزمان لها ... وأصبحت تخضع التيجان للعمم
إذ قام مضطلعًا بالأمر مفترعًا ... عزًّا تقاعس عنه كل معتزم
في السلم يحيي بعذب الجود ذا أمل ... في الحرب يردي بمر الباس ذا أضم
بعزم أروع سامي الهم منصلت ... ورفد أبلج طلق الوجه مبتسم
واستلَّ من عزمه عضب الغرار مضى ... غربًا وشرقًا فبادت دولة الصنم
وأشرقت أنجم التوحيد محدقة ... منه ببدر هدًى يجلو دجى الظلم
نبوة حاولوا إخفاءها فبدت ... إن الشموس سناها غير منكتم

كأنَّ شرعته ضوءُ النَّهار جلت ... من الضلالة ليلًا حالك العتم
من صفو أخلاقه سلسال كوثره ... جرى بصفو معين سائغ شبم
فشكره والثنا والأجر مغتنم ... في خير مُغتنم في خير مغتنم
ما نال من عَرَضِ الدنيا وقد عرضت ... كنوزها رغبة عنها ولم يرم
إذا لجأت إليه فاشتكيت له ... بؤسًا أمنت وزال البؤس بالنعم
يغزو العدا بعوادي الخيل حاملة ... غلب الأسود أسود الحرب لا الأجم
بالظلم يجزي العداة الظالمين له ... وظلمة العدل في تأديب مجترم
وتخجل البيض من ماضي عزائمه ... إذا انتضاها فتكسى حمرة العتم
يقسم السمر والبيض الرقاق لهم ... فللصدور القنا والبيض للقمم
وقلبه للتُّقى والذكر منقسم ... وكفه للندى والسيف والقلم
مآثر قصرت عن دركها ونبت ... أوهام كل بليغٍ بارعٍ فَهِم
حلم تخف الجبال الراسيات به ... رزانةً وندًى يربي على الديم
لو شاء أن يَجْعَل الدنيا لساكنها ... دار الخلود نجت من سطوة العدم
فيومه الدهر وهو الخلق قاطبة ... بل كان علة خلق الكون في القِدم
صلى عليه إله العرش ما تُليت ... آيات فضل له في نون والقلم
وآله الغُر أصحاب العباء ومن ... قد باهل المصطفى أعداءه بهم
هم بعده خيرُ خلق الله شرفهم ... على الورى قبل خلق اللوح والقلم
هم الخضارم فارشف در عرفهم ... هم الأعاظم فارصف در وصفهم
سيوفهم في الوغى حُمر وأربعهم ... خُضر وآمالنا بيض برفدهم
المغمدون الظبا في كل معترك ... حيثُ الحجى ومناط البيض واللمم
بدور حسن إذا ما أشرقوا عكسوا ... ضوء البدور بغر الأوجه الوسم
فالزهر تشرق والأزهار تعبق عن ... شذاهمُ وسناهم فانتشق وشم
تأرجوا فطوى الآفاق ذكرهم ... نشرًا به ضاع عرف المسك في الأمم
ما البارد العذب معلولًا لذي ظمأ ... أحلى وأعذب من تكدير ذكرهم
أُولو الكمال ملاك العلم حكمهم ... عدلٌ ولمع هداهم ساطع العلم
غطارفٌ عرفوا بالعرف واتصفوا ... بالفضل والشرف الموفي بفخرهم
لا عيب فيهم سوى التقوى وأنهم ... مصالت خشن في ذات ربهم

كم أوضحوا سُننًا كم أسبغوا مننًا ... وكم جلوا حَزَنًا عنا ببشرهم
وقد بسطت وخير القول أصدقه ... لسان صدق عليًّا في عليهم
ففي علي أمير المؤمنين ذكا ... فكري وفي مجده قد رق منتظمي
وزيره وأخوه دونهم وأبو ... سبطيه فخر به قد خص في القسم
قسيم طه علًا لولا نبوته ... وفي الإمامة فضل غير منقسم
لم يأل شرعة طه جهد منتصر ... بساعد ولسان ناطق وفم
مضاء ذي لبد مستبسل نجد ... وحكم مُلتزم بالعدل معتصم
فسيفه جدول يَجْلُو الفرند به ... روضًا سواه سوام الحتف لم تسم
وردت في حُبِّه العذب الزلال ولم ... أخدع بلمع سراب من أتاه ظمي
وبالإمام الهمام المرتضى علقت ... يدي فلاح فلاحي وانجلت غممي

* * *

وصحبه النجُب المحيين سنته ... إحياء نبت الرُّبى بالوابل الرذم
صيد جحاجحة قد طاب فرعهم ... ففرعهم مُعرِب عن طيب أصلهم
تمضي الصوارم أيديهم إذا كهمت ... ضربًا وإن قصرت طالت بخطوهم
معودين قِرى الأضياف إن نزلوا ... وفي النِّزال قِرى العقبان والرخم
هم المحاريبُ إن صالوا بيوم وغًى ... صلت سيوفهم في أرؤس البهم
بكل أهيف لدن القدِّ منعطف ... يرنو بأزرق مشغوف بكل كمي
لا يخلفون لباغي الخير موعده ... ورُبَّما أخلفوا الميعاد بالنقم

* * *

يا أرض طيبة قد طلتِ السماء علًا ... بالمصطفى فاشكري النعماء واغتنمي
قد ضم تربك وهو المسك جوهرة ... قد أبدعتها يد الألطاف والحكم
دوح بها يشرف الروح الأمين على ... غر الملائك إذ يُدعى من الخدم
كأنك الجنة الفردوس واصفة ... جنان خلد وما فيهن من نعم
فهل تنال مُنَاها النفس ثانية ... بزورة فيحل الأنس بالحرم
يا سيدي ليَ حاجات عُنِيتُ بها ... وأنت أكرم مأمول وملتزم
وسائل البر إن كانت وسائله ... إلى الكريم أصاب النجح من أمم
ومذ غدوتَ شفيعًا للأنام غدا ... لواء حمدك منشورًا على الأمم

قد كاثرتني ذنُوبي فالتقيتُ بها ... بجيش همٍّ على الأحشاء مزدحم
والنفس كالتبر تستصفى شوائبها ... نار الهموم فترقى باذخ الهمم
جعلت مدحك لي ذخرًا ومعتصمًا ... فاقبل مديحيَ يا ذخري ومعتصمي
فصار قدحي المُعلَّى وانجلت غممي ... وسار مدحي المحلى واعتلت كلمي
وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه ... وفي مديحك ما تغلو به قيمي
ورُبَّ قول يحلي السمع جوهره ... ورُبَّ قول يروع السمع بالصمم
محمد بك أضحى ظنه حسنًا ... يا معدن اللطف والإحسان والكرم
حقق رجائيَ واشفع لي فقد علقت ... يدي بحبل رجاءٍ غير منفصم

السيف والقلم

المجد أوله للصارم الخذمِ ... ثم السياسة والتدبير للقلم
يقول فصلًا إذا كان المداد له ... مما تمج المواضي من نجيع دم
ولا أرى حجة كالسيف بالغة ... فإن تكليمه يغني عن الكلم
ما ضاع حق يحوط السيف جانبه ... ولا أُبيح حمًى والمشرفي حمي
من ذاد عن حوضه بالسيف طاب له ... ورد الحياة فلم يظمأْ ولم يضم
إن أسس السيف مجدًا واليراع له ... مشيد كان مجدًا غير منهدم
وليس مستغنيًا عن مرهف قلم ... والمرهف العضب يستغني عن القلم
محا أبو مسلمٍ ما كان نمَّقه ... عبد الحميد من الأحكام والحكم
لم تنفع الكُتب إذا صالت كتائبه ... فاستهزم العلم إيماءً من العلم
إذ القضية لم تحفل بساستها ... فليس غير صليل السيف من حكم
كم أمة طلبت حقًّا فأعجزها ... طِلابه بلسانٍ ناطقٍ وفم
حتى إذا نطقت صدقًا صوارمها ... أصغى لحجتها مَن كان ذا صمم
أما ترى الحق لفظًا لا يوافقه ... معنًى بغير دويِّ المدفع الضخم
أمَّا القوي فمشغوف بلذته ... عن الضعيف الذي قد بات في ألم
في فوز منتصر محو لمنكسر ... فلا يُقال لعًا من ذلة القدم
ما أسعد الأرض لو ساد السلام بها ... لكنَّ للحرب سلطانًا على السلم
لو كان للحق نهج لا تُقام به ... لأهله عقبات ذات مصطلم

سادت على القضب الأقلام قائلة ... يا أرض قد سعدت أهلوك فابتسمي
لكن تنازعنا حب البقا خلق ... ولا محيد عن الأخلاق والشيم
عصر تروق به ألفاظ ساسته ... والرَّقص فيه على الإيقاع والنغم
نستعذب القول فيه والعذاب به ... ويحفظ الله من سم مع الدسم
لا أجحد القلم الأعلى فضيلته ... فإنه ذو اليد البيضاء في الأمم
كم ارتقى فيه شعب عند نهضته ... أوج الحضارة ذات المجد والشمم
إذا جرى فوق أطراف البنان جلا ... سحر البيان بمنثور ومنتظم
إنَّ الحقائق ما شقت غياهبها ... إلا بشق اليراع الناصع العتم
يمر طورًا وتحلو لي عواطفه ... إنْ هز عطفيه في بأسٍ وفي كرم

* * *

كلٌّ يحرر أهليه وأسرته ... من الأسار وكلٌّ خير معتصم
فاعجب لضدين قد حازت صفاتهما ... تساويًا فهما صنوان من رحم

* * *

قد قلت حقًّا على أني أخو قلم ... إذا جرى فهو لم يقصر ولم يخم
لكنْ ضميريَ وهو الحي متبع ... حقيقة حبها من أفضل القسم

شجو الغرام

أجدك هل لي من هواك مجيرُ ... فأيسر شجوي لوعة وزفيرُ
أسامر في ليل التمام نجومه ... وكل شجيٍّ للنجوم سمير
وقد منعوا طيفَ الخيال فلا الكرى ... يلم ولا طيف الحبيب يزور
وآخر عهدي يوم برقة عالج ... وهوج المطايا بالظعون تسير
حمائل يحملن الحسان كأنَّها ... دمًى وكأنَّ اليعملات قصور
تهز غصون البان وهي معاطف ... وتجلو رياض الحزن وهي خدور
فلم أدرِ والأشباه تشكل منظرًا ... أتلك ظِباءٌ أم كواعب حور

* * *

ولما وقفنا للوداع بذي النقى ... نُعرِّض بالشكوى لهم ونشير

وفي القلب من برح الصبابة لاعج ... له بين أثناء الضلوع سعير
وقد أشرقت للناظرين طوالعًا ... بدور لها فوق الحدوج سفور
جرت لمراعاة النظير مدامعي ... نجومًا فلاحت أنجم وبدور
عشية أقصدن الحشا بنوافذٍ ... من اللحظ في قلب الرمي ثغور
فلم نرَ أمضى من سهام كليلةٍ ... ينصلها سحر بها وفتور

* * *

وأقسم لولا أنْ ينم مراقب ... ولوع بنا أو يستريب غيور
جنى عاشق نَوري أقاح ونرجسٍ ... وما هو إلا أعين وثغور
وهل يسلم العيشُ الرغيد من الأذى ... ويصفو لأبناء الزمان سرور
إذا ما حلا عيشٌ أتى الدهر دونه ... فأصبح حلو العيش وهو مرير
ومن شيمي أن لا أقر ظلامةً ... وإن لم يكن إلا الحسام نصير
وأهجر عذب الماء إن هان ورده ... فأظمأ أو يروي الغليل هجير

أيام الرسم

على اللوى رسم دار ... لزينب ونوار
إذا ضللت هداني ... لها شميم العرار
كأن دارين فضت ... لها ذكي العطار

* * *

يا أيُّها الرسم حيى ... ثراك صوب القطار
أين الوجوه اللواتي ... كأنهن الدراري
إنَّا جميعًا غدونا ... بعد النوى في أسار
سلبت نور جمالٍ ... كما سلبت اصطباري
غداة زمت ببين ... أينقهم والمهاري

* * *

وفي الظعون مهاة ... تحمى بأسد الغوار
كأن في وجنتيها ... يوانع الجلنار

ساروا ولكن بصبري وسلوتي وقراري
وقد بقيت ولكن للوعة وأوار
والقلب سار جنيبًا مع الظعون السواري
خالسها لحظ عين والقلب يصلى بنار
لولا الرقيب أرتنا أنسًا بذاك النفار
وقد أشارت بكف وودعت بازورار

* * *

قد كان ليلي مُضيئًا فحال ضوء نهاري
فهل يعود إلينا عهد الليالي القصارِ

محمد السماوي

محمد السماوي.

ولد محمد بن الشيخ طاهر السماوي في السماوة[1] سنة ١٢٩٣هـ، ولما بلغ العاشرة من عمره أرسله والده إلى النجف الأشرف لطلب العلم، فبقي فيها يدرس العلوم النقلية والعقلية نحو اثنتي عشرة سنة، ثم بلغه وفاة والده، فظلَّ في النجف كذلك بعد وفاة أبيه ما يزيد على العشر سنين يطلب العلم، وما لبث أن رجع إلى السماوة وظل فيها ما يقرب من ثماني سنين، ثم سافر إلى بغداد ومكث فيها أربع سنوات عضوًا في «انجمن الولاية» حتى سقطت بغداد بيد الجيش البريطاني، فعاد إلى النجف وسكنها إلى يومه هذا. وهو اليوم قاضي الشرع الشريف في النجف الأشرف.

وقد نظم المترجم الشعر في أيام الشباب، وأكثر منه في الغزل والإخوانيات، ثم تركه ولم يعد ينظم في غير مدائح النبي ﷺ والأئمة الاثنى عشر، وقد طبع له من ذلك مجموعات قبل عشرة أعوام. وله في هذا النوع نحو عشرين ألف بيتٍ غير مطبوعة.

(١) مؤلفاته

للشيخ محمد السماوي مصنفات في علوم شتى، أهمها:

(١) الطليعة في شعراء الشيعة: سفر كبير يقع في ثلاثة مجلدات، بحث فيه مؤلفه عن شعراء الشيعة قديمًا وحديثًا (مخطوط).

(٢) أبصار العين في أنصار الحسين: يتضمن تراجم أصحاب الحسين بن علي الذين قُتلوا معه في الطف (مخطوط).

(٣) ظرافة الأحلام فيما نظم في المنام: مجموعة الشعر الذي حفظه رائيه بعد انتباهه (مخطوط).

(٤) الكواكب السماوية في شرح القصيدة الفرزدقية: كتاب أدب نحا فيه مُؤَلِّفه نحو شرح الصفدية على لامية العجم (لا يزالُ خطيًّا).

(٥) شجرة الرياض في مدح النبي الفياض: مجموعة قصائد طبعت في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٣٠.

[1] بلده على الفرات شرقي الكوفة تبعد عنها بمقدار ٢٢ ساعة. بناؤها يقرب من مائتي سنة ليست بالقديمة. أما السماوة التي تذكر في شعر العرب فهي بين الكوفة والشام.

(٦) ثمرة الشجرة في مدح العترة المطهرة: مجموعة منظومات طبعت في مطبعة الآداب ببغداد كذلك سنة ١٣٣١.

وله غير هذه من الآثار النفيسة، وفيما يلي نماذج من نظمه:

في مدح النبي ﷺ

أخجلت جيد الريم بالإلتفاتْ ... وفقت سل السيف بالإنصلات
بسمت زهوًا بشتيت اللمى ... فأي شمل لم تدعه شتات
تقوَّل الناس بتحقيقه ... والله قد أنبت ذاك النبات
ثغر إذا لحن ثناياه لي ... عجبت للؤلؤ وسط الفرات
جلا علينا فمه خمرة ... فهاك يا ساقي كاسي وهات
حررْ بها عنقي وبرد بها ... قلبي وإلا مت فيها خفات
خط العذاران دقيقًا على ... صحيفتي خديه أحلى نكات
داويت قلبي بثنا «المصطفى» ... عنها فأحياه ولولاه مات
ذريعة الخلق إلى الحقِّ كم ... يرون هبات له في هبات
راقت معاليه فآياتها ... تتلو علينا الزبر والبينات
زاكية في مدح زاكٍ أتى ... يدعو إلى الله بطيب الزكاةْ
سما على العالم أملاكه ... وأنبياه بجليل السمات
شرى رضاء الله في نفسه ... فنالَ كلٌّ منه أهنى حياةْ
صوره الرَّحمنُ من جوهر ... منزه عن عارضات الشيات
ضاء السنا منه على هيكل ... قدسه الله بأسنى الصفات
طه البشيرُ المهتدي أحمد ... الناصع الخالص نعتًا وذات
ظل البرايا كهفها الملتجي ... إليه أن جاءت إليه كفات
عز الهدى فيه ولولاه لم ... يكن له في يوم عز ثبات
غادره أثبت من سيفه ... في كفه إن راعت الحادثات
فقل لغاوٍ لم يطع قوله ... ليس ورا الحق سوى التُّرَّهات
قد جاء بالقرآن أعْظِم به ... من معجز حين تحدَّى الغواةْ
كتابه المُنزل من ربِّه ... وقوله الصادع بالمحكمات

لـلـه مـا جـاء بـه أحـمـد ... وللمعاني الغر بالمعجزات
مـاز لـنـا مـيـلاده عـن هـدى ... أمـات أحـيـاءً وأحـيـى مـوات
نـار خـبـت فـيـه وماء جـرى ... وكوكب أهوى وداع أصـات
وانـشـق إيـوان فـأبـراجـه ... تـطـايـحت بـعـد ثـبـات ثـبـات
هل بعد هذا مُعجز معجز ... للمتحدي من جميع العتاةْ
يبقى حيوة الدهر إعجازه
ومعجز الرسل لحين الممات

وله في مدح النبي ﷺ كذلك

أجـل الـثـنـايـا أمـلًا واقـتـراحْ ... وأنعش بها روحي في وقت راحْ
بـالـلـه واجـعـل نـقـلـي بـعـدهـا ... مـن ذلـك الـورد وذاك الأقـحـوان
تسارعت شمس الضحى خيفة ... أن يقبس الطلعة منك الصباح
ثار لـهـا الـغـيـظُ فـلاحـت عـلـى ... حـال يـد طـوق وأخـرى وشـاح
جـلـل بـفـرعـيـك عـلـى وجـهـهـا ... فـقـد دهـانـا وجـهـهـا بـافـتـضـاح
حـرمـت يـا شـمـس عـنـاق الـهـوى ... لا خـاب مـن سـمَّـاك يـومًـا بـراح
خـرجـت غـيـرَى مـنـه مـحـمـرة ... أولـى وأولـى فـهـو زيـن الـمـلاح
دعـانـي الـلاحـي فـقـلـت أنـتـه ... أرى الـفـلاح الـحـب لا ألـف لاح
ذرنـي فـبـالـحـب صـلاحـي فـإن ... زال فمدح «المصطفى» لي صلاح
راسي العلا شامخ طود الحجى ... ظل الملا باب النجا والنجاح
زيَّـن وجـه الـدهـر مـيـلاده ... وزَاده روحًـا وفـضـل ارتـيـاح
سـقـى بـه الـلـه عـطـاشـى الـفـلا ... وأطـعـم الـلـه غـراثـي الـبـطـاح
شـاد بـه عـرش الـمـعـالـي كـمـا ... شَـقَّ لـه إيـوان كـسـرى فـطـاح
صـرَّح شـق وسـطـيـح بـمـا ... قـد رأيـاه مـن خـفـايـا وضـاح
ضـاق بـنـو الـكـفـر بـمـا أخـبـرا ... ظـنـوا بـأن الأمـر فـيـه انـفـسـاح
طـاشـت خـطـاهـم ظـهـر الـنـور من ... فـاران واسـتـولـى الـنـبـي الـصـراح
ظـاهـره الـنـصـر فـرايـاتـه ... تـسـيـر بـالـفـتـح مـسـيـر الـريـاح
عـرف بـالـمـعـجـز إرسـالـه ... مـن سـور مـخـرسـة لـلـفـصـاح

غامرة الإعجاز حتى انثنوا منها يسدون صماخًا براح
فأورق العود له والحصى سَبَّح والجذع بكاه وناح
قسم بدر التم شقًّا كما رد عيونًا سائلات صحاح
كف أكف السوء عن يثرب ووطد الأمن بكل النواح
لأث على كشح هضيم الحشا حجابه الجوع وعانى الكفاح
مناقب يعجز تعدادها لوعد قطر السواريات الدلاح
نال بها الإسلام تعزيزه فأرسل الطرف ومد الجناح
وانتشر النور وبان الهُدى فلاح للعالم منه فلاح
هاتيك في جابلق أطنابه ممدودة والعمد فوق الضراح

يشكر من جاء به مهديًا
صلاته العُليا غدوًّا رواح

وله في مدح النبي ﷺ كذلك

أطلعة بازغة أم هلالْ ووفرة سابغة أم ليالْ
بدت فكم طرف لها شاخص سال ولكن قلبه غير سال
ترق للعين غروب اللمى منه كما ينصع عقد اللئال
ثغر جلا الحُسن له أنْجُمًا دار بها الشارب دور الهلال
جلى عليه باز غرنينه بجنحي الأصداع خوف المنال
حلا لماه للذي ذاقه طوبى لمن يشرب خمرًا حلال
ختامه المسك عليه بدا فخال بعض أنه كان خال
داوِ سقامي يا طبيبي به فإنه أصبح داءً عضال
ذوى قوام الجسم لو لم يكن له على مدح «النبي» اعتدال
رسولنا الصادق بالوحي والصَّـ ـادع بالقول وصدق الفعال
زاكي الورى الآتي على فترة من النبيين بحسن المقال
سعد النبيين الأُلى فخرها لو عقدت منه شراك النعال
شبه من شبه أفعاله أهل الحجى إذ كان فرد الرجال
صوره الله تَعَالى اسمه من جوهر فرد عديم المثال

ضفى عليه القدس أستاره ومَدَّ أبرادًا عليه الجلال
طه ومن طه عداك النهى رب الجميل المنتهي والجمال
ظلامة الرشد أتت عنده فجاء كي ينقذها من ضلال
عال اليتامى والأيامى معًا وكان للعافين أبقى ثمال
غرق بالأفضال أنجى من الـ أهوال أبدى مُعجزًا لا ينال
فرق بين الدين والكفر في جامعة الإسلام يوم الجدال
قاد الورى للدين أولى ثرا الـ ـمسكين، أردى بالعرا من أحال
كف أكف الشرك في هديه ليعبد الله على كل حال
لا تعجبوا أن أورقت عودة في كفه فالكف غيث سجال
منَّ على الأسرى وفك الورى من الجهالات وأورى النزال
نازل والموت على سيفه يميل عزرائيل من حيث مال
وصال حتى لم يدع مطمعًا لمن بغى في الحرب أدنى وصال
هد بناء الشِّركِ مُستأصلًا فانتصب التوحيد طلق العقال
يرفعه العدل إلى غاية
ليس وراها غاية وانتقال

في مدح الحسين الشهيد ابن علي عليهما السلام

أدهق ساقي الهوى له قدحهْ فشب زند الجوى بما قدحه
بات يجنُّ الهوى ويستره لكن صوت البكاء قد فضحه
ترثي له الناس رقة وهمُ لم ينظروا قلبه ولا فرحه
فل الجوى عزمه بحب رشًا لو مر عذب الصبابة جرحه
جؤذر رمل ومهر سابقة ألا ترى جيده ومتشحه
حاز من الزبرقان لمحته وباع من مشتري السما ملحه
خطا قناة وما خطى كبدي ومال صفحًا سبعًا وما صفحه
دعاه قلبي للحزن لازمه فلم يزل همه ولا ترحه
ذاك لأنَّ الفؤاد هام به ولم يطع فيه قول من نصحه
رِقَّ لمن لم يرُقْ سواك له وأرث لمن لا تزال مقترحه

زايلت وصفيك ثم عدت إلى «الـ ـحسين» أجلو من وصفه مدحه
سبط النبي الهادي وبهجته وثقله الأكبر الذي طرحه
شاد عماد الهُدى وأطلعه بدرًا يُوازي بدر السما وضحه
صرف في دين جده فكرا له وأوحى إلى الهدى لمحه
ضاقت يد المُسلمين عن رجل يُقيم للمسلمين منفسحه
طلاب حق ركاب مخطرة حي وجه بالسيف منه قحه
ظلوا حيارى به فلم يجدوا سواه يُعطي الإسلام ما اقترحه
عاذ به خائفًا فآمنه مُستميحًا فبثه منحه
غدا يشيدُ الهدى ويرفع ما كان أبوه النبي قد فتحه
فكم دريس أعاد رونقه وكم مشوب قد رده صرحه
قاتل عنه بصاحب خذم لو صادم الطود حده نفحه
كهم بيض الظبا بموقفه الـ ـحرج وأنسى من قوسه قزحه
لما انثنى في الكفاح مبتسمًا كأنَّ في حومة الوغا فرحه
ماز الهدى وانجلت حقائقه وعدن سبل الإسلام متضحه
نال المنى في وقوفه ومضى لله ذبحًا فويح من ذبحه
ورد ضوء الكتاب مُنتشرًا يجلو على مسمع الهدى فصحه
هدى به الله من أضلَّ هدى ومن للاسلام صدره شرحه

يقصر وصفه الطويل ثنًا
فقل بمثن يُقيم منسرحه

في مدح علي السجاد ابن الحسين عليهما السلام

أبد لي مم احوراز المقلِ أهو من كحلٍ بها أم كحلِ
بت منها وهي سكرى ثملًا هل سمعتم ثملًا من ثمل
تلفت نفسي أمَا يرأف بي ساحر الأجفان أو يعطف لي
ثغره الأشنب لو عللني لشفى لي عللي أو غللي
جائر الأعطاف كم قد هزها فأسال النفس فوق الأسل
حارب الصب بها حرب الرَّشا فاستهان الناسُ حرب الجمل

خف بند الخصر منه فانثنى عنه واثَّاقل درع الكفل
دع فؤادي وسنًا وجنته فهو جاء النار كيما يصطلي
ذهبت ألحاظه قابسة منه فارتدت له بالشعل
رام يُطفيها بدمع فاغتدى نهب نار ومياه همل
زاد في الطين بلالًا فالتجى «لعلي» بن الحسين بن علي
سيد العُبَّاد مصباح الهدى في المهاوي نور عين المجتلي
شرف جاز المعالي وعلي فاز في نص الكتاب المنزل
صدع الليل بشخص قائم في محاريب الدجى مبتهل
ضارع لله في وقفته يبتغي العزة في المستقبل
طَلَّق الدنيا ثلاثًا وانثنى لهوى الأخرى بسوق مشغل
ظلم الطالب تشبيهًا له عندما يذكره في رجل
علمت كل الورى أنَّ به موضع الشبه وضرب المثل
غاية الفضل ابتداءً عنده ينتهيها في الرعيل الأول
فاض في الدنيا نداه فاستوى باطن السهل وظهر الجبل
قف على آثاره واسأل تجد منه ملء السمع ملء المُقل
كم توخى جمعها من حازم فانثنى منها غريق البلل
لم يطق يجمع منها بحرها فاكتفى عن بحرها بالوشل
ما على مادحه من كلف إن يجانس بين تلك الخصل
نسب زاه وفضل زاهر وهوًى منجٍ وفخر منجل
ويد بيضاء في كل الورى كم تجلت في السواد المقبل
هي راح الملتجي والمرتجي إن يرم عصمته أو يسل

يبلغ القول ولا يبلغه
لعلو المرتقى والمنزل

في مدح محمد المهدي ابن الحسن عليهما السلام

أروضة العارضين طرزها ... ورد العذارين حين طرزها
بدت لنا من خدوده فتن ... فزادها عارضًا وعززها
تبارك الله خط دائرة ... من عارضيه والخال مركزها
ثنى ثنايا عن شارب فغدا ... مُنعطفًا فوقها لينهزها
جالت على الغُصن منه أوشحة ... صدرها والكثيب عجزها
حبيب قلبي لا تقذفن به ... هوة وجد أبعدت حيزها
خلفته والعيون رامقة ... إليه حزؤًا تطيل مهمزها
دمع يزيدُ الجوى تدفقه ... وحرقة لم تدع تميزها
ذبت إما رحمة فتنعشني ... أو موتة اغتدى مجهزها
رق لدمع مرقرق وحشيً ... قطع منها الغرام مفرزها
زالت فلولا «المهدي» يركزها ... هداه لم تستطع لتركزها
سيف النبي الهادي وصعدته ... جرده للهدى وهزهزها
شقت غيومُ الظلام طلعته ... حين بدت شمسها وأبرزها
صنيعة الله في خليقته ... حاسة في الضعفاء ميزها
ضفت برود الجلال سابغة ... على علاه والمجد طرزها
طرزها مجده ووشعها ... كماله والجمال فروزها
ظلت عيونُ الأنام شاخصة ... رامت لحاقًا به فأعجزها
عاد بك الله يا ابن رحمته ... لتجمع الخلق أو لتفرزها
غبت فباتت دلائل لك لم ... تكد تُري العالمين معجزها
فأنت لله في الملا عدة ... بالحق لا بد أنْ سينجزها
قامت قناة الإسلام واعتدلت ... واستصلب العاجمون مغمزها
كنت قوامًا لها فقومها ... وكنتَ حرزًا لها فأحرزها
لا برحت روضة الثناء على ... محمد مسرحًا ومنتزها
ما قصدتْه الورى فخيبها ... ولا نحت نيله فأعوزها
منحت قلبي مدحًا لمعشره ... ولم أدع قوة لأكنزها
وجئت فيها له موشيها ... بزئبر منتقى مطرزها

هـديـة تـرتـقـي لـمـنـزلـه فـيـتـقـبـل مـنـهـا تـجـوزهـا
يـقـلُّ مـني أن أهـد مـطـنـبـهـا
فـكـيـف أهـدي إلـيـه مـوجـزهـا

بعد الصبا

أبعد أن عرى الصبا أفراسه تطلب إيناس الهوى أوناسه
خفض عليك فالمشيب قد أتى يضحك منك كاشرًا أضراسه
لم تدع الخمسون منك جانبًا إلا وهـدَّ مـرُّهـا أسـاسـه
سوَّد لي غض الشباب كتبه وبيض الشيب بها قرطاسه
فلا ذوى روض جلا ثغامه ولـيـذوِ عـود قـد شـممت آسـه
ماذا الذي استفدت منه غير أن وجدت كالنار التظت أنفاسه
أيـام أغـدو مـرحًـا وأنـثـنـي جذلان يسقيني الغرام كأسه
يا ويح نفسي هل أرى لي توبة أرحض عن ثوبي بها أدناسه
حتى متى أرجو اطراد أملي وكيف لم أخش بي انعكاسه

عبد العزيز الجواهري

اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

(١) الشباب

تطلب في شبابك للصعابِ فما عمر الفتى غير الشبابِ
وسل حسام عزمك للمعالي فإنَّ السيف يصدأ بالقراب
ودع طلب الهوان لمُبتغيه فإنَّ المجد أجدر بالطِّلاب
وكرر لو خطأت الجد يومًا فكم خطأ يئول إلى الصواب
إذا ما الجهل أرتج منه بابًا فإن الجد مقلد كل باب
ولا تجدي الشجاعة في غبي تقاعس عزمه عند الغلاب
إذا انعكس السنان لدى طعان فليس يفيد مطرد الكعاب
وإنْ غصن الشبيبة راق حُسنًا فما للشيب فرع للشباب
ولا ينقصك قولهمُ فتيٌّ فإنَّ السيف يقطع بالذباب
وكم قمر تولد من هلال وكم شهر توقد في شهاب
وإن الدهر كالميزان يعلو إذا يخلو وينزل وهْو رابي
«ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ» لما شمخت على الروض الروابي
ولو معنى الجهالة صيغ طوقًا تبرأت النفوس من الرقاب
ولو رهن البطالة حاز فخرًا لما افتخر الحُسام على القراب
وليس ابن النقيبة في هوان أعز عليَّ من بنت النقاب

فأصل أرومة الأخلاق منها ... يمتُّ بكل فرع مستطاب
وينمو من عوائدها ربيًّا ... كما تنمو الرياض من الرباب
إذا روح الحياة بها تسرت ... فما تلد العقاب سوى عقاب
لأنت أجلُّ مدرسة تسامت ... لدرس بنيك يا صدر الكعاب
وإنك للحياة أجل بيت ... منيع الركن مرعي الجناب
وإنك للوليد أجلُّ سفر ... يطالع فيه شاكلة الصواب
وإنك في ارتجافك خير درس ... تردد فيه ألسنة الخطاب
وإنك كالمراة صفت صقالًا ... بها ارتسمت خلال الإكتساب
وما ضرب النوابض فيك إلا ... لتحريض الصبي على الطلاب
أيا من ضلهم صبح الترقي ... وشع لديهمُ ليل التغابي
سكنتم فوق مهد من خمول ... يهز حراكه شم الهضاب
بليل مغدف الأرجاء داج ... أحم الوجه غربيب الإهاب
تشع لغيركم شمس المعالي ... وشمسكمُ توارت بالحجاب
ألا فلتغنموا فرصًا إليها ... تمر عليكمُ مرَّ السحاب
فمن طلب الفضيلة في هوان ... كمن طلب الفريسة تحت ناب
وما معنى الكمال سوى رموز ... تزين برسمها صدر الكتاب
تطلس جذر مفخرنا وأبقى ... لنا شبه الأصم من الحساب
وما اندرست معارفنا ولكن ... خفى حسن السبيكة بالتراب

(٢) ملك السجن

نظمها بمناسبة الدستور وخلع الملك عبد الحميد.

بعيشك كم تحنُّ إلى السرير ... وكم ترنو بطرفك للقصور
هلاليًّا أراك نحلت جسمًا ... أما تشفيك آفلة البدور
طواك الرعب قبل الموت ميتًا ... وأحيتك المنى قبل النشور
أهانتك القصور وكنت ملكًا ... تهيب منه سكان القبور
قريت الوحش من جثث البرايا ... ورويت الربا بدم النحور

بكت منك الثغور دمًا مُراقًا وتضحك عند باسمة الثغور
فأقسم أنَّ عود الدست لو لم يكن من حر باسك في سعير
لأثمر في رءوس الجند روضًا وأزهر من دماها في غدير
تنوح عليك أقفار الموامي وتهتف فيك ساغبة النسور
وتندبك العذارى حاليات بموشي الدمقس مع الحرير
بكتك الغانيات بدر دمع بكاء الورد بالطل النثير

* * *

أتاك نذير يلدز مستطيرًا وكنت تظنه وجه البشير
يخاف الطفل من رؤيا أبيه وتخشى المرضعات من الحجور
لقد عبر النجوم إليك جيش بغير سراه في الشعرى العبور
لقد ذعرت به الأنفاس حتى كأن الجسم يرصد بالضمير
يسد الجو منه غبار نقع ويقذى دونه طرف البصير
أراك أسير أحزان وقيد وكنت أراك ترسف في السرور
وقد كنت الأمير على السرايا فكيف رسفت في قيد الأسير
غريب لو جزيت الخير لكن جزيت الشر يا شر الدهور
لقد أوغرت صدر الجند حتى أراك الدهر عاقبة الغرور

ومنها في الباخرة:

تسير به بنات البحر جريًا فتسبق فيه أبناء الطيور
إذا اتقدت عزائمه سراجًا أمدته بألسنة الزفير
عجبت لها تجن الماء وجدًا وتمشي الدهر في الماء الغزيز
لقد رنحت بطود الحلم منه ولولاه لطارت للأثير

(٣) رثاء

زعيم الأحرار ورئيس الملة الشيخ محمد كاظم الخراساني ووصف ورود «البرق» من نساء إيران بعظم وضع الحادث الجلل هناك.

بكاك الحيا دمعًا كما بكت الورى ... فهل كنت فوق النجم أم كنت في الثرى
تحير عقلي كيف أرثيك واصفًا ... تعالى الذي صفاك للناس جوهرا
لئن كنت نورًا في حشا الكون مظهرًا ... فقد عُدت سرًّا في حشا الغيب مضمرا
رأيت بطيفي سوف تبلغنا المنى ... ولكنه في صوت ناعيك فسرا
لقد مادت الدنيا لوقع مُرنة ... لها ارتجت الأفلاك وارتجف الثرى
ولو لم تكن طودًا من الحلم فوقها ... لطارت بنا الأرض العريضة في الذرى
بكتك الدراري في لآلئ دمعها ... لأنك قد كنت الحسام المجوهرا
أناصر دين الله هل لك نهضة ... تجنِّدُ للأعداء جندًا مظفرا
تحوك لهم ثوب الوقيعة أسودًا ... وتلبسهم ثوبَ المنية أحمرا
بفتية صدق إن توازر جمعها ... تردى ثياب الموت في الحرب مئزرا
إذا أوقدوا في الحرب نار كريهة ... تموج بها البيض الصفايح أبحرا
تهيَّبك الموت المقدَّر يقظةً ... فزارك تحت الليل في سنة الكرى
وإن خطيبًا فوق كفك ناطقًا ... قد اتخذ الخمس الأنامل منبرا
رضيع بمهد الكف ينشي حديثه ... ورق لوجه الرق أمسى محررا
يشع كوجه الصُّبح كافور طرسه ... فتجري به من حالك الحبر عنبرا
يصد جميع الجيش بالنصر سالمًا ... ويرجع جمع المالِ جمعًا مُكسرا
عجبت له كيف استزارك طارقًا ... حماك ولما ينثني متحيرا
بلى كنت للإسلام والدين ناظرًا ... فجاءتك في شخص الرقاد مصورا
وأخرس إن حل السؤال بسمعه ... جرى بفصيح اللفظ ينطق مخبرا
أصم لأسرار البرية سامع ... وأعمى بليل المشكلات تبصرا
إذا ارتجفت أسلاكه داخل الحشا ... أتاك مُقيمًا يسبق البرق في الثرى
أتاك بصدر الليل ينشد حاسرًا ... عجيج نساء تستشيط تزفرا
أعارته أحشاها فأوقد جمرة ... وأهدته صبغ الدمع فانصاع أحمرا
يحدِّثُ عن قول يُحرره الأسى ... وينْطِقُ عن لفظ له الوجد عبرا
من المسلمات اللائي تجزع لوعة ... إذا سمعت أن ابنها قد تنصرا
تجاذب سلك البرق أسلاك دمعها ... إذا ما ذكا في فحمة الليل أو سرى
تؤمل نصر الدين والدين عالم ... بأنك أحرى أن تعز وتنصرا
فيا من غدت للناظرين صفاته ... أشع من الشمس المنيرة منظرا

حديقة ورد كُلَّما جف ناضر ... بروضتها أهدت إلى الطرف أنضرا
وشهب سماء كُلما غاب زاهر ... أتى آخر منهن أزهى وأزهرا
أريحانة الوادي التي فاح طيبها ... وعبق رياها الرياض وعطرا
لقد كنت للداجي سراجًا منورًا ... سناه وللمُرتاد روضًا منورا
وإن صعيدًا قمت فيه مجاورًا ... جدير بأن يمسي بنعماك أخضرا
وأعظم حزن فيك يا منذر الورى ... عدو له ناعيك أمسى مبشرا
سقاك الحيا أو صوب كفك لا الحيا ... فقد كان أوفى منه جودًا وأكثرا

شقيقي علي

بزغ الهلال فأين عهد وفائه ... أن لا يخون بوده وإخائه
أيرى أخاه مُغيبًا تحت الثرى ... قمرًا ويشرق زاهرًا بسمائه
هلا توارى بالصعيد جماله ... حتى يُشارك أهله بعزائه
قمر بدا ليل المحاق هلاله ... رَسمًا فقارن خسفه بجلائه
ثكلت به زهر النجوم فخرقت ... بالنور ثوب الحزن من ظلمائه
سيف جلاه المجد أبيض ناصعًا ... قد فل جوهر حدِّه بمضائه
برزت نواجذه فقلت بشارة ... لليل قد كثرت نجوم سمائه
أواه غصني لفه شوك الرَّدى ... وذوت خميلته أوان روائه
لم يذوه لثم الشفاه وإنما ... ذبلت أقاحة ثغره في مائه
إني خضبت أناملي بمدامعي ... وطلبت طوق الحزن في ورقائه
وعكفت حول أزاهرٍ من قبره ... نبتت تسبح في ضريح ثوائه
نذر عليَّ لئن زها ريحانه ... لأُرَوين الورد في أندائه
يا لهف أيار تفرط ورده ... بيد المنون وجف قبل نمائه
يا بلبلًا قد حَلَّ في قفص الثرى ... طربت له الأيام قبل غنائه
جاء الكنار مُبشرًا بقدومه ... فرحًا وعاد مُصَوِّتًا بنعائه
فشربت منه سرابتي حين الظما ... ورعيت يأسي فيه بعد رجائه
أهلال عيدي أين غيَّبك الرَّدى ... فحرمتني من بشره وهنائه
أغنته عن جدد الحلى أكفانه ... وكفاه صبغ الدمع عن حنائه

وتركت قلبي حول قبرك حائمًا ... شبه الفراش يحوم حول ضيائه
إن شع لي قبس الحياة فإنه ... لهب السراج يلوح في إطفائه
لو يترك الموت استنارة نجمه ... زمنًا لكان البدر في إهدائه
ولأصبح الطل السقيط على الربى ... غيثًا يرش الورد في أنوائه
أأُخيَّ يا قوسي ونبل كنانتي ... ومدير جيشي بل أمير لوائه
أبقيت قلبي للزمان دريئة ... ونصبتني غرضًا إلى أبنائه
أرسلت جفني في ضريحك آملًا ... أن يصحبن الطيف في إغضائه
حملته في نعش الغماء وأنشدت ... سفر الظلام قصيدة لرثائه
خفقت بأجنحة الفراشة روحه ... لكنها احترقت بجمر ذكائه
فكست رقيمة قبره وبودها ... لو أنها نثرت على حصبائه
نزعتك من كفي المنية صارمًا ... لمعت بروق الموت في أنضائه
حلم فرشت له الجفون فزارها ... ليلًا ومتع ناظري بلقائه
فصل الورود كثيرة أثوابه ... ويخص أيار بثوب بهائه
ورسمت شخصك فوق مرآة المنى ... حتى طمعت اليوم في إحيائه
رضوان يا ملك الجنان تنحَّ عن ... ملك طيور الخلد من وزرائه

خفق الهلال

سدَّ الثغور بعزمة الإسكندرِ ... جيش يقاد من النهى في جوهر
لبس الحديد مضاعفًا من عزمه ... ومشى على حسك الوشيج الأسمر
زرع القنا فوق العداة فأورقت ... زهرًا بغير نفوسها لم تثمر
يسقيه من حمر الدماء ويجتني ... ثمر المنون من الحديد الأخضر
فكأنَّ سيف النصر فوق يمينه ... برق يشعُّ بعارض متعنجر
وكأنَّ أعواد الوشيج بنقعه ... روضٌ عليه سحابة من عنبر
وكأنما البيض الصفاح جداولٌ ... زهرت بريحان القنا المتعطِّر
يجري بشهباءٍ يصكُّ رنينها ... وجه الكتيبة بالليباب المقفر
أمن السماك به فباع قنانه ... طربًا وحنَّ إليه قلب المشتري
تروي بضحضاح المجرة خيله ... وترود في أس السماء المزهر

ضاق الفضاء بعزمه من بعد ما سدَّ البسيطة بالعديد الأكثر
من كل أبلج ذي عذار أخضر يسقي مجنة صدغه من كوثر
يغزو بسورة عزمه وجفونه في باس ضرغام وفتكة جؤذر
قومٌ إذا ما الشر أسدف مُظلمًا طلعوا نجومًا في سماء العثير
أو أجدب الوادي وصوح نبته زهرت حدائق جودهم في مرمر
وإذا السماء تزلزلت أفلاكها دعموا الكواكب بالقنا المتكسر
برقت مواضيهم وسحب أكفهم تجري بمنهلٍّ الغمام الممطر
أبناء رامة إن مشَوْا نحو الردى دفنوا التمائم في الكثيب الأعفر
تُبنى على حسك الرماح قصورهم وقبورهم فوق الجياد الضمَّر
لبسوا الصباح مفاضةً محبوكة وتسربلوا ليل العجاج الأكدر
خفق الهلال عليهمُ وتأمروا في ظل ملك بالرشاد مظفَّر
بعدت تمائمهم وهن صفائح ففشت برقراق النجيع الأحمر
خطت بأطراف الرماح حروفها وبغير أشلاء العِدا لم تسطر
ذعورا الفضاء فلاذ في أرواحهم وثوت جسومهمُ لحفظ العسكر

* * *

فتيات رومةَ نظمي درر البكا سمطًا يزان بلؤلؤ متنثر
وصفي القلائد للرجال مدامعًا وذري تمائمهم مكان الجوهر
ودعي الخدور لهم فقد نهبتهمُ بيض السيوف بكل ليث مخدر
قد فاجأت غاب الليوث فأصبحت مثل الفريسة تحت ناب غضنفر
رصد المحيط جسومها فلوَ انها نزعت لتفحص في الثرى لم تقدر
تترصد الأجفان سطوة هدبها وتخاف مقلتها عداء المحجر
ترنو الصباح مقلدًا بصوارم وترى الظلام مجندًا في عسكر
وتكاد تهربُ أرضها من تحتها لو كان تبصر مأمنًا في مقفر

الشعر حي لم يمت

خليليَّ ما معنى الشعور فإنَّني ... أرى كل شيء شاعرًا مترنما
أرى الكون في لوح الوجود قصيدة ... تخط عليها الخلق شعرًا منظما
هو الشعر باقٍ ليس تفنى حياته ... نقيم احتفالًا أو نُشَيِّد مأتما
تصوِّره روحٌ الخيال فلو بدا ... إذًا لرآه الطرف شخصًا مجسَّما
وتنشر أسفار الطبيعة شعرها ... رموزًا فيمليها الهزار مُترجما
هل النجم إلا روضة نرجسية ... أرى البدر فيها شاعرًا مُتبسِّما
فدًى لدموع العاشقين فإنَّها ... قصيدة شعر بينها الحب نظما
عرائس حبٍّ إن تجلت بدورها ... لدى الصبِّ ليلًا زفها الوجد أنجما
تُقبِّل خدَّ الجلَّنارة وجنةً ... وتلثم ثغر الأقحوانة مبسما
وزاهرة ما روض الحفل مثلها ... عليها خيال البدر شعرًا مجسما
فرشت بيوت الشعر فوق رياضها ... بساطًا وسامرت الخيال المسلما
لقد نسجت أيدي الفراقد فوقها ... من الليل وشيًا بالنجوم منمنما
نظرت به طوق الهلال مفضَّضًا ... كنصف سوار زان لليل معصما
ولم أرَ مثل الروض في الأرض شاعرًا ... ولُوعًا بأشعار الطبيعة مغرما
وما الشعر تمليه الرياض حقائقًا ... لكالشعر يمليه الخيال توهما
تفريت أسفار الخلائق في الثرى ... وفتشت أسرار العوالم في السما
فلم أرَ إلَّا روضة أو خريدة ... ولم ألْفَ إلا شاعرًا أو متيما
ألا كل صوت طارق صوت شاعر ... وسيان فينا من بكى أو ترنما

الحياة شباب

تطلب في شبابك للصعابِ ... فما عمر الفتى غير الشباب
وسل حسام عزمك للمعالي ... فإنَّ السيف يصدأ بالضراب
ودع طلب الهوان لمبتغيه ... فإنَّ المجد أجدر بالطلاب
وكرِّر لو خطأت الجد يومًا ... فكم خطأ يئول إلى الصواب
إذا ما الجهل أرتج منه بابًا ... فإنَّ الجدَّ مقلد كل باب

ولا ينقصك قولهمُ فتيٌّ ... فإنَّ السيف يقطع بالذباب
وكم قمر تولد من هلال ... وكم شرر توقد في شهاب
وإنَّ الدهر كالميزان يعلو ... إذا يخلو وينزل وهْو رابي
وهل تجدي الشجاعة في غنيٍّ ... تقاعس عزمه عند الغلاب
إذا انعكس السنان لدى طعان ... فليس يُفيد مطرد الكعاب
وإنْ غصن الشبيبة راق حُسنًا ... فما في الشيب فرع للشباب
«ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ» ... لما شمخت على الروض الروابي
ولو معنى الجهالة صيغ طوقًا ... تبرأت النفوس من الرقاب
ولو رهن البطالة حاز فخرًا ... لما افتخر الحسام على القراب
وليس ابن النقيبة في هوان ... أعز عليَّ من بنت النقاب
فأصل أرومة الأخلاق منها ... يمتُّ بكل فرع مستطاب
وينمو من عوائدها ربيب ... كما تنمو الرياض من الرباب
إذا ما الوالدات ... ... فما تلد العقاب سوى عقاب
فأنت أجل مدرسة تسامت ... لدرس بنيك يا صدر الكعاب
وإنك للحياة أجل بيت ... منيع الركن مرعيُّ الجناب
وإنك للوليد أجل سفر ... يطالع فيه شاكلة الصواب
وإنك في ارتجافك خير درس ... تردد فيه ألسنة الخطاب
وإنك كالمراة صفت صقالًا ... بها ارتسمت خلال الإكتساب
وما النزغات تنبض فيك إلا ... لتحريض الصبي على الطلاب
أيا من ضلهم صبح الترقي ... وشع لديهمُ ليل التعابي
سكنتم فوق مهد من خمول ... تهز حراكه شم الهضاب
بليل مغدف الأرجاء داج ... أحم الوجه غربيب الإهاب
تشع لغيركم شمس المعالي ... وشمسكمُ توارت بالحجاب
ألا فلتغنموا فرصًا إليها ... تمر عليكمُ مرَّ السحاب
فمن طلب الفضيلة في هوان ... كمن طلب الفريسة تحت ناب
وما معنى الكمال سوى رموز ... تزين برسمها صدر الكتاب
تطلس جذر مفخرنا وأبقى ... لنا شبه الأصم من الحساب
وما اندرست معارفنا ولكن ... خفى حسن السبيكة بالتراب

المجرة

هذي المجرة بارتجاف نجومها تحكي الصفيحة في يمين جبان
فكأنها والنجم روضة نرجس غرست بفيض العارض الهتان

الكمال

أيها السالكون غير طريق الرُّ شْد أخطا الصوابَ ذاك الطريقُ
ما لكم قد قعدتم عن كمال النـ ـفس مذ قام للكمالات سوق
فأَفيقوا من رقدة الجهل لو كا ن يُثير الأموات قولي أفيقوا
أدرك السابقون ما أملوا اليو م وأعيا بالسابقين اللحوق
أبغير الكمال ينسى غريب عز أوطانه ويسلو مشوق
أبغير الكمال يشقى عدو مُبغض أو يسر خل صديق
أبغير الكمال يصفو ويحلو مورد رائق وعيش أنيق
فالكمال الكمال فالنقص عار بالفتى واتساعه الحال ضيق

* * *

أين أنتم عن رائقات المعاني نظمتها الأفكار درًّا يروق
أين أنتم عمن له وهو دون بالكمال التصدير والتفويق
فاز ذو منية بنيل مناه واستردت مظالم وحقوق
برشاد قد عمنا الرُّشد واستحـ ـكم عقد الإسلام فهو وثيق
من له من مهابة العز جند رحب صدر العدو فيها يضيق
سار بالعدل منه باس ولين ما حريق ذكر اسمه ورحيق
سيرة المصطفى التي أحكماها صاحباه الصديق والفاروق
طابق اسم الرَّشاد فيه مسمًّا ه فطاب المفهوم والمنطوق
جاء كفو العلى يتوق إليها وهي شوقًا إلى علاه تتوق
وبدور السعود بعد أفول عم أفق الإسلام منها الشروق

(٤) الأمل والحقيقة

حياتي وإن أضحت رمادًا على جلدي ... بها شرر الآمال يلهب كالوقدِ
ونفسي وإن طارت شعاعًا من الأسى ... لها من خيالي جذوة سعرت زندي
وإني إذا ما الدَّهر فل تميمتي ... أكرر آمالي فتوثق بالشد
لئن أَصْلَتُوا للحرب سيفًا فإني ... أَصول بسيف لا يسل من الغمد
جزى الله مرآة الأماني فإنها ... جلية سبك الوجه مصقولة الخد
أرى فوقها شخص المحال مصورًا ... لدى الطرف والأوهام معكوسة الطرد
تبيت معي إن ضاف أجفانيَ الكرى ... وتؤنسني إن شفها ألم السهد
وضعنا أمانينا بحجر من الصبا ... وعشنا سواء نمرث الودع في المهد
وما عاطفات المرء إلا حديقة ... بها زهر الآمال تنبت كالورد
إذا لمحت عيني سرابًا من المنى ... رويت ولم أظمأ إلى ترع الورد
وإني إذا ما الرأس جنَّح نمله ... وأودع جسمي في ضريح من اللحد
نعم تصبح الآمال عني بعيدة ... ولكنني أفنى وبي أمل العود
أراني وقد رمت الحقائق طالبًا ... طليقًا من الآمال أرسف في قيد

* * *

تقريت سفر الكون درسًا فلم أبن ... حقائق ما إن زلن مخفية عندي
أصورها فوق الخيال فلا أرى ... سوى شبح يغوي المناظر من بُعد
أرى شيعًا شتى وطرقًا كثيرة ... بها غدت الأعلام وافرة العد
يزمجر كلٌّ نادبًا لطريقه ... ويهتف كلٌّ طالبًا واضح القصد
حنانكم رفقًا لينتشر الهدى ... ونعرف في أي الأدلاء نستهدي
خذوا بيدي عن ذا الضجيج فإنه ... مغبة جهل ضيعت مذهب الرشد
فما كل برق ضاحك بارق الحيا ... ولا كل صوت في السما زجل الرعد
هلموا لنستجلي الحقيقة علَّنا ... نراها وإن أمست مشققة البرد
فمن عرف العنقاء أين محلها ... يهون له لو رامها شرك الصيد

* * *

ألا ليت عقبى الموت ترجع للدنى ... بجملة أعمالي فأبصر ما تسدي

فإما الشقا كيما أزوده الشقا وإما إلى رشد فأرغب للرشد
هرمت ولم تقطع ركابي تهامة وما طرقت عيسى المغاور من نجد
ولم أستلم ركن الحطيم وزمزم ولم أتضرع في منًى خاشعًا وحدي
عبدت إلهي لست راهب ناره ولا رغبت نفسي إلى جنة الخلد
ولكن نور الحق جلى بصيرتي فأيقنت أن الحكم للواحد الفرد

(٥) الحياة

أرى عمر الحياة شواظ نار من الأجسام تكمن في زناد
وما ليل الشباب سوى دخان وما صبح المشيب سوى رماد

هنـــداوي